مَوَازِينُ «الحَقِيقَةِ الصَّعْبَة»

سلسلة الحقيقة الصعبة (١٤)

مَوَازِينُ «الحَقِيقَةِ الصَّعْبَة»

(ردُّ الحريري على ردود مسلمين)

أبو موسى الحريري

دار من أجل المعرفة

ديارعقل ـ لبنان

طبعة منقحة ومزادة ـ ٢٠١٨

سلسلة "الحقيقة الصعبة"

دار من أجل المعرفة، ديارعقل-لبنان. قياس (١٧*٢٤)

١) **قسّ ونبـيّ،** بحـث في نشـأة الإسـلام، أبو موسـى الحريـري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.

٢) **نبيّ الرحمة** ، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣) **عالم المعجزات،** بحث في تاريخ القرآن، أبو موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص.

٤) **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص.

٥) **ألعلويّون النّصَيريّون،** بحث في العقيدة والتاريخ، أبو موسى الحريري، ٢٧٢ ص.

٦) **بين العقل والنبيّ،** بحث في العقيدة الدرزيّة، أنـور ياسيـن، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧) **رسائل الحكمة،** (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين السّموقي، طبعة ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ ص.

٨) **مصادر العقيدة الدرزيّة،** حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ ص.

٩) **ألسلوك الدرزي،** أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ ص.

١٠) **مذبحة الجبل،** (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ ص.

١١) **ألمسيحيّة في ميزان المسلمين،** (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة

في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢) **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص.

١٣) **رغبات النفس والجسد.** (ألحياة الجنسيّة في الإسلام)، أبو موسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص.

١٤) **موازين «الحقيقة الصعبة»**، (ردّ الحريري على ردود مسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ صفحة. وطبعة مزادة ومنقحة، ٢٠١٨، ٢٦٧ص.

١٥) **نصارى القرآن ومسيحيّوه**؛ أ. جوزف قزّي، ط١: ٢٠٠٢، جزآن، ٦٤٠ ص.

١٦) **المسيحيّة في ردود المسلمين**؛ أ. جوزف قزّي، ط١: ٢٠٠٢؛ جزآن، ٦٤٠ ص.

١٧) **مسيح القرآن ومسيح المسلمين**؛ أ. جوزف قزّي، ط١: ٢٠٠٦؛ ٢٢٢ ص.

١٨) **بين المسيحيّة والإسلام**، أ. جوزف قزّي، ط١: ٢٠٠٦؛ ٤١٤ ص.

١٩) **هذا هو الإسلام**؛ أ. جوزف قزّي، ط ١، سنة ٢٠٠٨، ١٤٠٤ص. ط٢: ٢٠١٦.

٢٠) **الشيعة الإثناعشريّة**؛ أ. جوزف قزّي، ط ١: سنة ٢٠٠٦؛ ٢٤٠ ص.

٢١) **محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن**؛ عبّاس عبد النور، دمنهور، ط ١: ٢٠٠٤.

٢٢) **تبرئة الله**؛ أ. جوزف قزي، نسبيه ٢٠١٣، ط١، ٣٤٧ص.

٢٣) **وحدها الحقيقة تنجّي**؛ القاضي سليم العازار، إعداد وتقديم أ. جوزف قزي، دار لأجل المعرفة ٢٠١٥، ط١، ٩١١ص.

مقدمة عامة

ثمّة مغامرة، في هذا الشرق، تستتبعها مخاطر تأتي ، غالباً، من المطمئنّين. هؤلاء القابضين على زمام الحقيقة الأزليّة، المتأكّدين ممّا عندهم من ملفّات سماويّة جاهزة، ألمدافعين عن الله ووحدانيّته وعلوِّه على حساب كرامة الإنسان وحرّيته، ألمتعصّبين له ولو حملوا من أجله السلاح.

وثمّة أيضاً، مغامرة أخرى، في هذا الشرق، تتأتى من قول الحقيقة وإعلانها. وفي هذا أيضاً مخاطر من أديان ومذاهب تقوم على التّقيّة والباطنيّة. لها كتبٌ سرّيّة خفيّة، مليئة بالألغاز والرموز، لا يدخلُ حرمَها ولا يكتشف سرّها إلاّ القيّمون عليها. ومَن يتطاولُ عليها حلّل زهق حياته.

ومع هذا، أيّاً تكن المخاطر، فإنّ انتشالَ المطمئنّين من ركودهم، وحثَّ القلقين على مواظبة البحث والتفتيش والتنقيب، والطلب من متديّني هذا الشرق التصريح بمكنونات صدورهم ومعتقداتهم، أيّا كانت وكيفما كانت، تبقى هي الطريق إلى اكتشاف غنى ما في الإنسان، وإلى احترامِ إنسانيّته.

ألحقيقةُ، بحسب مفهومها الفلسفي الإغريقي، تعني: كشْفَ المحجوب، وإعلانَه، وخلْعَ المظاهر عنه، لاستخراج الدفائن خالصةً من أيّ تشويه، والرجوع إلى المصادر في صفائها... أكثر ممّا تعني، في مفهوم علمِ الحساب، موافقةَ العقلِ للوقائع، أو مطابقة أحكامه على ماهيّة الأشياء.

لهذا تبقى مساحاتٌ واسعةٌ جدّاً بين حرّيّة الإنسان في أبحاثه

اللاّمحدودة، وبين الوصول إلى الحقيقة وامتلاكها. وقد لا يصل أحدٌ، في هذه الحياة المحدودة والمتقلّبة، إلى شيءٍ ثابت. كلّ ما في الوجود ينقلب على ذاته، وعلى غيره، ويئنّ، وكأنّه في مخاض عسيرٍ مستمرّ. فملكوت السموات يُغْتَصب والغاصبون وحدهم يختطفونه[1].

على هذا، لا بدّ، لمَن يتوخّى كشفَ الحقيقة ويغتصب ملكوتها، من أن يقف مواقفَ صريحة رافضة من فرقاء ثلاثة: فريق المطمئنّين، وفريق المحتكرين، وفريق المحتقرين. أمّا الفريق الرّابع، بالرغم من أنّه فريقُ الشكِّ، فهو الفريق الذي يُطمَأنّ إليه.

أوّلاً - فريق المطمئنّين:

هؤلاء اعتبروا الحقيقةَ في حوزتهم قبل أن يبحثوا عنها. امتلكوها قبل أن يجاهدوا في سبيلها. أقفلوا عليها لظنّهم أنّها معهم بكمالها وتمامها. لا يقلقهم فيها شكّ أو ارتياب، لأنّ ما يُطلعونه جديداً قد يناقض ما خلّفه لهم السلف. لا تقضّهم الحاجة إلى السعي في طلب العلم والمعرفة.

ففيما هم مرتاحون في كلّ شيء، نرانا قلقين في كلّ شيء. وفيما هم متّكلون على ما ورثوا من مسلمّات نرانا نعيش في حيرة واضطرابٍ مستمرَّين... نحن نقضي العمر نبحث عن الله والحقيقة، وهم حصل لهم كلُّ ذلك دون أي جهد. نحن لا ننفكّ نَسعى إلى المعرفة دون كَلَل، وهم انقادتْ إليهم المعارفُ دفعةً واحدة. نحن نروّضُ نفوسَنا لنحصلَ على بصيصٍ من الإيمان وبعض السعادة، وهم، منذ نشأتهم، عامرو العقل بالإيمان، غارقو القلب بالسعادة...

---

1 أنظر متّى ١٢/١١؛ لوقا ١٦/١٦.

فكيف يُتاح لنا التلاقي يوماً! وكيف يكون الحوارُ بين مطمئنّين إلى كلّ شيء وبين قلقين في كلّ شيء !!!

ثانياً - فريق المحتكرين:

هذا الفريق، من أهل هذا الشرق، يدّعون، لوحدهم، امتلاك الحقيقة. إنّهم يعتبرون أنفسَهم ، حازوا على العصمة والمعرفة والعلوم الإلهيّة والأرضيّة كلّها... لهم وحدَهم الله. وأبوابُ الدخول إليه موصَدَةٌ في وجه أيّ مخلوق آخر... ألمعارفُ جميعُها في حَوزتهم، وهي مغلقةٌ على سواهم...

هذا الحِجرُ على الحقيقة، وهذا الاستئثارُ بحكمةٍ ممنوعةٍ على الغير، وهذا الانطواء في سرّيّةٍ محكَمَةٍ مبرمة... كلٌّ هذا أملاهُ اضطهادٌ شديدٌ، وتشرّدٌ قاسٍ: إضطهادٌ أفضى بهم إلى الخوف، وخوفٌ ولّدَ عندهم التستّر، وتستّرٌ أدّى بهم إلى السّرّيّة والكتمان. فكانت "التقيّة" و"الباطنيّة" عقيدتهم وناموسَهم وسلوكهم.

مع هؤلاء الناس اختلطتِ الأوراقُ كلّها. وضاعت علينا ميزةُ التمييز بين الحقّ والباطل، أو بين الصدق والكذب. وفاتتنا معرفةُ موقعنا عندهم: أنحن لهم أصدقاء أم أعداء!.. لهذا نجهل في العمق، وسنبقى نجهل، كيف التصرّف معهم.

ثالثاً - فريق المحتقِرين:

أمّا الفريق الثالث فهو فريق المعجَبين بأنفسهم المحتقِرين لغيرهم. إنهّم على القِمّة، والشعوب الأخرى تلهو في الهاوية، عاجزةٌ عن تسلّق المنحدر. هم الذين اختارهم اللهُ وجعل سائر البشر في خدمتهم. أيديهم تطالُ السماء وتحتضن اللهَ، وتبقى السماء ويبقى اللهُ دون متناول الباقين..

بفضلهم نزل اللهُ على الأرض وعرف الناسُ الوحيَ والنبوّةَ. ألكلُّ لهم مدين، وعلى الكلّ إزاءهم واجبات. هم الذين صنعوا التاريخ، والآخرون صنيعةُ التاريخ وصنيعتهم.

هؤلاء، بالرغم من هستيريا التفوّق هذه، برز من بينهم أفرادٌ مدركون خيّرون، تحرّروا من السننِ المسبوكة والنّصوص التي كُرِّسَتْ على مدى قرون، فوَعوَا خطورةَ عقدة "الاختيار الإلهي"، وجاءتْ أقوالُهم تدحضُ ما تأصّلَ في الأذهان. لقد وصفهم واحدٌ منهم: "أنّهم يجعلون الحقَّ أسيراً"[2]. وقال آخر: "تيقّنتُ حقّاً أن اللهَ لا يُفضّلُ أحداً على أحد"[3].

رابعاً - فريق المشكّكين:

وهناك أخيراً فريق رابع، هو فريق القلق والشكّ والبحث. قلقٌ دائم. بحثٌ بدون هوادة. شكٌّ مستمر... إضطرابٌ وارتيابٌ وجهدُ نفس... ميزة هذا الفريق الرفضُ وعدمُ الاستسلام. حريصٌ على حرّيته وكرامته حرصُه على الوجود والبقاء وانفتاحه المطلق على الآخر.

كلّ شيء، عند هذا الفريق، مهزوز مزعزع. لا شيء مربوط بعمد السماء. لا مَلَكٌ أُسقط عليه من فوق. لا حلول جاهزة. لا عصمة على هذه الفانية. لا يخافُ على شيء، لانّه لا يملك شيئاً. بل لا يخاف، حتى على الله، ليدافع عنه. ولا يخاف من السؤال الدائم حول الحقائق والمسلّمات والموروثات كلّها.

وأكثر من ذلك، إنّه فريق يبحثُ عن الشكّ في كلّ موضوع. ويواصل البحث في كلّ قضيّة. ولا تنجو حقيقة من الشكّ، ولو

---

2 روما ١٨/١.

3 أعمال الرّسل ٣٤/١٠.

كانت إيمانيّة. همّه سعيه الدائم إلى المعرفة، معرفة ما ظهر من الأشياء وما بطن. ما يسمعه في المخادع يعلنُه من على السطوح. وما تطمئنّ إليه العقول لن تتنكّبَ الألسنُ عن إعلانه، والأقلامُ عن تدبيجه.

ميدان عمل هذا الفريق ألتاريخ: ألماضي السحيق والقريب لينقّب فيه. المستقبل ليشدّ الرحال إليه. يعتمد على ما توصّل إليه العقل والخيالُ من إنجازات، ويستقرئ الأحلامَ والرؤى، ويدّخر علمَ العلماء وأدب الأدباء وفكر المفكّرين واكتشاف المكتشفين، يستفيد منها، ومن خلالها يطلّ على العالم.

إلتفاتتُه الموغِلةُ في الماضي لا تحولُ دون الشخوص إلى الأمام، ودون تبيّن طريق الغد. واسترسالُه وراء الحريّة والرؤى وغنى الأحلام والأساطير لا يمنعه من إجادة التكيّف مع الوقائع الراهنة.

فريق ينشد الحريّة بكمالها، والكرامة بملء وهجها. يجهد في سبيل العلم والتجدّد. يَعيش في الظلمة والخلوة ليوفّرَ النّورَ والأمكنة العالية لسواه... يمدّ إلى الغير يد الصداقة والأخوّة، لكنّه لا يحسن غالبا اختيار اليد المبسوطة إليه.

***

نحن لهذا الفريق ومعه، لأنّه فريق الجهد الدائب، والعمل الدائم، والقلق المستمرّ، والشكّ في كلّ شيء. وغايتنا من تأييده واضحة. هي: الإنسان. إنّ خوفَنا على الإنسان، على كرامته، وحرّيته، وإنسانيّته، في هذا الشرق كبير.

من هنا، فإنّ السياجَ الذي نُقيمه، لا ذاك الذي يحمي كرامة الله، بل الذي يحمي حرّيّةَ الإنسان. وكلّ ادّعاء ودعوة إلى صَون

الله من الإنسان هو افتئاتٌ وتعدٍّ على الله والإنسان معاً. وفي يقيننا أن لا وصولَ إلى الله إلاّ من خلال الإنسان.

إنّ اللهَ يأبى أن يكونَ موضوعَ تنازع بين الإنسان وأخيه. وهو لم يُسندْ إلى أحد أمرَ الدفاع عنه. ألحماية من الله للإنسان، لا لله من الإنسان. حاشا لله أن يجنّد الإنسانَ حارساً له ولحقوقه. إليسَ هذا طعناً به وبألوهيّته!؟

لقد أطلق اللهُ الإنسانَ حرّاً كي يقيمَ على الأرض ملكوتَه مع آخرين، وليس على حساب الآخرين...

وللإنسان الحقُّ، كلُّ الحقِّ، في أن يفضّ أسرارَ الكون، وأن يتطاولَ إلى اكتناه كلّ ما يبلغه فكرُه، وأن يمارسَ إرادتَه وحريّته دون أي انتقاص.. أمِنَ الجائزِ وضعُ سُنَنٍ وشرائع تناقضُ ما وضعه اللهُ في الإنسان من حرّيّة!!

ألإنسانُ كائنٌ حرّ. وحرّيته نعمة من الله. لا الله ينزع من الإنسان هذه النّعمة، ولا الإنسان، الكافرُ بكلّ نعمة، يتخلّى عن هذه النعمة نفسها. بل قد لا يُفيد اللهُ الإنسانَ شيئاً، إنْ سلبَه هذه الحرّيّة. ولا الإنسانُ يظنُّ بالله خيراً إنْ سلبَ اللهُ منه هذه الحرّيّة.

لهذا، ومن أجل هذه الغاية الكبرى، أيْ احترام الإنسان، وضمان حقوقه وكرامته، وصون سرّه وحريّته، لا شيءَ يردعنا من العمل في أيّ اتّجاهٍ نريد، فنبحث، وننقّب، ونكتب، ونشكّ، دون أيِّ تحفّظ. ونعمل على إعلان الأسرار، واستكشاف المجهول، واستنباط الأحكام، وملامسة الضلال، دون حذر من أيِّ شيء.

همّنا أن يبقى سرُّ الإنسان مصوناً، لا سرّ الدين، أو المعتقد، أو النبيّين، أو الحكمة، أو الحقيقة، أو الله نفسه... ويقيننا أنّ اللهَ، يومَ الحساب العظيم، سيسألنا، كما سأل في البدء قايين: "ماذا صنعتَ

بأخيك؟"[4]. ولن يقول لنا أبداً: ماذا صنعتَ بي؟ أو ما هذه القرابين التي قدّمتَها لي؟ أو لماذا لم تحفظ الناموس؟ أو أين هو الوحي؟ أو الكتاب المنزل؟ أو الحقيقة المطلقة؟ أو الدين السماوي؟ أو الحكمة الأزليّة؟ أو أيّة قيمة أخرى؟..

***

هذه هي المبادئ التي آمنّا بها. وهذا هو السبيل الذي عزمنا على سلوكه دون أيّة مواربة. لا شيءَ محرّم عندنا في نطاق الفكر والبحث والتقصّي إلاّ ما يمسُّ حريّةَ الإنسان وكرامتَه. هذا هو الذي له وحده ننحني. ومن أجله وحده نعمل. منه نبدأ، وعنده نتمركز. وإليه نعود.

لا أبوابَ موصدة في البحث عن الحقيقة. لا حكمة يستحقُّها إنسانٌ ويُحرَمُ منها آخر. لا عصمة أنعم اللهُ بها على مختارِين ومنعَها عن آخرِين. لا ناموس من السماء رسم به اللهُ حدوداً لحريّة إنسان. هذه الحرّيّة التي لا يقف بوجهها سوى أنّ الإنسانَ، في ما هو في طبيعته، محدودٌ بما ليس هو مُطلَقاً.

لهذا، فالمسلّمات كلّها مرفوضةٌ عندنا سَلفاً. وحدَها حريّةُ الإنسان مفروضةٌ علينا، ومحبّتُه مقدّسةٌ عندنا. وحدَها المحافظةُ على كرامته وحقيقته سهلة عندنا، وفيما عداها "حقيقة صعبة"، ندقّ أبوابَها، وندكّ أسوارَها، ونستبيح قدسَ أقداسها.

ولَكَمْ نحن، من أجل هذا، مأخوذون بمعرفة كلّ سرّ، لنغتني بكلّ ما ينطوي عليه. فإنْ صمدَ غُصنا فيه أكثر. وإنِ انهار فلا ردّه الله.

ولا يحدونا إلى ذلك، مرّةً أخرى، سوى احترامِ السرّ نفسه،

4 سفر التكوين ٤/١٠.

ونشدانِ المعرفة أبداً، والبحثِ عن الحقيقة باستمرار، ومحبّةِ الإنسان كلِّ إنسان؛ مردّدين مع بولس: "هل صرتُ عدوّاً لكم لأنّي قلتُ لكم الحقيقة؟"[5]، وواضعين أمام أعيننا قولَه العظيم: "إذا عَملْنا للحقيقةِ بالمحبّةِ نَمَونا وتقدَّمْنا في جميع الوجوه"[6]. وفي جعبتنا حجّة دامغةٌ في وجه مَن يريد محاكمتَنا، قائلين له: تمهّلْ "وحدَهم القدّيسون سيدينون العالم"[7] .

***

ما عرضناه مدخلٌ إلى تحديد المهمّة التي تخوضُ غمارَها سلسةُ "الحقيقة الصعبة": إنقاذ الإنسان، إنسان هذا الشرق، من أوهامه، ومخبّآته، وموروثاته المتخلّفة، ومن كلّ ما يقيّد حرّيّتَه.. إنتشال هذا الإنسان من سحر معتقداته، ومن "أساطير الأوّلين"[8].

تناولتْ موضوعاتها من المجتمع الشرقي الغائص في الأسرار والمعمّيات، والرازح تحت سطوة عقائد ومسلّمات؛ لا يجيز لنفسه محاولة سبر غوامضها، أو إعمال المنطق حول متناقضاتها.

إزاء هذا، تتحّركُ "الحقيقة الصعبة" على ثلاث جبهات:

أولاها - نحن مع الحقيقة، والجِدّ وراءها، وإطلاعها من مخابئها، وعرضها خالصةً من كلّ شائبة، أيّة كانت هذه الحقيقة، وأنّى وُجدتْ، في أيِّ دينٍ أو كتابٍ أو رأسِ إنسان.

---

5 رسالة إلى أهل غلاطية، ٤/١٦.

6 رسالة إلى أهل أفسس ٤/١٥.

7 ألرسالة الأولى أهل قورنتس ٦/٢.

8 تعبير يرد تسع مرّات في القرآن الكريم : الأنعام ٦/٢٥؛ الأنفال ٨/٣١؛ النّحل ١٦/٢٤؛ المؤمنون ٢٣/٨٣؛ الفرقان ٢٥/٥؛ ألنمل ٢٧/٦٨؛ الأحقاف ٤٦/١٧؛ القلم ٦٨/١٥؛ المطفّفين ٨٣/١٣.

ثانيها - إقتناعنا بأنّ كلمة الفصل ليست عندنا. فما نحن إلاّ عاملون على إلقاء بعض من الضوء على بعضٍ من الحقيقة التي لن ندّعي إلاّ شرف البحث عنها دون الوصول إليها.

ثالثها - ألتركيز في اهتماماتنا على مجتمعاتنا الشرقيّة حيث تتصارعُ عقائد، وتتحكّم مسلّمات، وتُحنَّط أوهام؛ حيث تُكبّلُ إرادةُ الإنسان، وتنتقص حرّيّتُه..

***

في هذه الغمرات الطاغية، ترتفع دعوتُنا إلى تمزيق الستائر، ونقضِ ما بُنيَ زَيْفاً. لا نقرُّ أيّةَ عصبيّة. ولا نعترفُ برابطة دمويّة أو إثنيّة. ولا نؤثر طائفة. ولا نحابي وجوهاً. ولا نميل إلى حزبٍ. ولا نوافق على هيمنة. ولا نخاف أيّ سلطان أو تسلّط...

وإذا كان هناك من حبٍّ في صدورنا، ومن حزبٍ يستهوينا، فهو حبٌّ البحث عن "الحقيقة الصعبة"؛ وحزبٌ "مِن أجل المعرفة" مهما كانت المسالك إليه حذرة.

هذا الحزب "من أجل المعرفة" يجوسُ ميادين؛ كلُّ خوضٍ فيها يُعدّ انتهاكاً لحرمات، وعبثاً بمقدّسات: في عهدته مخطوطاتٌ سرّيّة، عمد إلى إطلاعها من الكهوف، ونصوصٌ مصانةٌ قرّر نشرَها على الملأ، ومعتقدات دينيّة محاطة بالسّرّيّة والسحر والرهبة، عمل على جلاء غوامضها، وفكّ رموزها، وعرض حقائقها...

والهدف كلّه من أجل الإنسان ضحيّةِ الآلهة والأنبياء المعصومين.

فإلى، مَن يتوخّى المعرفة من أجل المعرفة، سلسلةٌ من الكتب، تعالجُ قضايا مصيريّة، ومسائل حسّاسة، وموضوعات

سرّيّة، وأبحاثاً نادرة... تستند إلى مراجع أساسيّة، ومصادر جدّيّة، ومخطوطات تاريخيّة. منها كتبٌ تتعلّق بأديان هذا الشرق: الإسلام، واليهوديّة، والمسيحيّة، والدرزيّة، والعلويّة. ومنها كتبٌ تتعلّق بشِيع مختلفة من أديانٍ مختلفة. وقد صدر منها كتب عديدة، وفي البال أخرى.

هذا الكتاب

هذا الكتاب ردٌّ على أولئك "المطمئنّين"، و"المحتكرين" و"المحتقرين" للحقيقة. وردّ على "المنزعجين" من طروحات سلسلة "الحقيقة الصعبة"، وبنوع خاص، كتاب "قسّ ونبيّ"، وقد فاق عددهم الخمسة عشر كاتباً مسلماً. بينهم السنّي، والشيعي، والعلويّ؛ ومنهم اللّبناني، والسوري، والفلسطيني، والسعودي...

غير أنّ ما يشين الردّ، وكلَّ ردّ، هو أنّه لا يخلو من بعض الادّعاء، مع ما يرافقه من قلّة احترامٍ لآراء الآخَر، ومحاولة إبطال منطقه، وإظهار فساد أسلوبه، ورفض منهجه... هذه مواقف لا تخدم مَن يبتغي الانفتاح والحوار وقبولَ الآخَر في أي موقع كان، وإلى أيّ مذهب انتمى.

ثمّ إنّ الرّدّ الديني غير الردّ العلمي. هذا يعمل على استكشاف حقائق علميّة ثابتة. وذاك ينطلق، عادةً، من مسلّمات وتقاليد وماورائيّات لا تخضع لعمل العقل. على الردّ العلمي أن يُظهر وقائع غير خاضعة للقبول أو للرفض، وعلى الردّ الديني أن يُظهر تسامحاً ومحبّة وقبولاً، حتّى ولو على اختلاف.

إنّ المتديّنين، عادةً، متصلّبون، أصوليّون، متحمّسون، غيورون، رافضون، ثورويّون. يؤمنون بأنّ "الحقيقةَ" كلَّها في جيبهم، والباطل كلُّه عند غيرهم. وقد يذهبون إلى أنّ مخالفيهم هم

في طريق الهلاك؛ ولا نجاةَ لهم إلاّ إذا اتّبعوهم واهتدوا بهدايتهم. و"الحلّ"، كلّ الحلّ، لكلّ المشاكل عندهم. و"النّور"، كلّ النّور، في مصابيحهم ومشكاتهم.

إنّ ما أثار حفيظة هؤلاء "المتديّنين"، ما في كتاب "قسّ ونبيّ" من طروحاتٍ غير مألوفة في فهم الإسلام. هذه الطروحات أظهرتْ خفايا، وكشفت عن معلوماتٍ أُخِذَتْ من مصادرها الرئيسيّة والأساسيّة. لهذا تبارى المتبارون في تفنيدها، وتكذيبها، ودحضها، ورفضها رفضاً جازماً.

وما كان سبب هذا الرفض الجازم غير زعزعة طمأنينة "المطمئنّين". هذا الاطمئنان في الدّين، بنوع خاصّ، هو الّذي كان في أساس كتاب "قسّ ونبيّ". إطمئنانٌ رافقه خمولٌ، ورفضٌ لكلّ رأيٍ مخالف. وأخطر ما أوصل هذا الاطمئنان هو "الخوف على الله"، والتعبير عن هذا الخوف بأيّ وسيلة. هذا "الله" أغلقَ أبوابَ الخائفين، الذين رفضوا كلّ حوارٍ وانفتاح.

ومع هذا، لا ننفي "الغيرة" عندهم على معتقداتهم الموروثة. ولا نتّهمهم بغير الصدق والأمانة لتعاليم دينهم، ونقدر فيهم الثقة بتقاليد آبائهم، ثقة تكاد تكون تامّة. وحجّتنا في تقديرنا لهم هو أنّ في الدين مساحات لا يطالها العقلُ، ولا تخضع لمختبر علميّ... فكم في دهاليزها من الغيّبات والمعجزات والأساطير والخوارق، والظهورات المَلَكيّة..

هؤلاء "الخائفون على الله"، المطمئنّون إلى ما عندهم من حلول، هم الّذين تناولوا كتابَ "قسّ ونبيّ" بالنقض والرفض. فكان منهم من كتب كتباً كاملةً، كشريف محمّد هاشم، وأحمد عمران، وحامد حسن، وأحمد علي حسن، والدكتور أسعد محمود حَومَد؛ ومنهم مَن جاءت ردودهم طَيَّ كتبٍ، كالشيخ شفيق يمّوت،

والشيخ سعيد شعبان، والشيخ أحمد حمزه عبد الباقي، والدكتور مصطفى الرّافعي، والدكتورة أمينة أحمد يحيى، والدكتور فتحي يكن، والدكتور عبد اللّطيف اليونس، ونبيل فيّاض، والدكتور محمدّ سعيد البوطي؛ ومنهم من كتب في صفحات الجرائد، والمجلاّت، وهم لا يُحصون.

إليهم شكرُنا لأنّهم أفادونا كثيراً.

ألفصل الأوّل

ميزان السيد شريف هاشم

أوّلاً - أسلوب السيّد هاشم

ثانياً - منطق السيّد هاشم

ثالثاً - منهج السيّد هاشم

رابعاً - ألنصرانيّة في مكّة

خامساً - ألحنيفيّة في مكّة

سادساً - ألإبيونيّة في مكّة

سابعاً - ألمسيحيّة في ميزان السيّد هاشم.

مقدّمة الفصل

كتب السيّد شريف محمّد هاشم كتاباً سمّاه: "**الإسلام والمسيحيّة في الميزان**"، مؤسّسة الوفاء، بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٨٨، (قياس ١٧*٢٤سم)، ٧١٢ صفحة، تجليد فنّي. يدور، في معظمه، على الردّ على كتاب "**قسّ ونبيّ**"، رقم ١ من "سلسلة الحقيقة الصعبة"، لأبو موسى الحريري. وبيّنَ ذلك بقوله: "والكتاب الذي نحن بصدد مناقشته قسّ ونبيّ" (ص ٨). إلاّ أنّ أكثر من ٢٨٠ صفحة يتناول فيها السيّد هاشم المسيحيّةَ في تاريخها ومعتقداتها ومجامعها ونظمها وسلوكها، محلِّلاً منتقداً آخذاً من كلّ موضوع موقفاً جازماً.

سنترك صفحات السيّد هاشم في مناقشته المسيحيّة إلى كتابٍ آخر من سلسلة "الحقيقة الصعبة". ونتناول الآن ردودَه على الحريري، بحسب الموضوعات التالية:

١. أسلوب السيّد هاشم
٢. منطق السيّد هاشم
٣. منهج السيّد هاشم
٤. النّصرانيّة في مكّة
٥. الحنيفيّة في مكّة.
٦. الإبيونيّة في مكّة
٧. ألمسيحيّة في الميزان

***

أوّلاً - أسلوب السيّد هاشم

يشير السيّد شريف محمّد هاشم إلى الأسلوب الذي اعتمده في الرّدّ على أبو موسى الحريري. فهو، كما يقول، أسلوب رصين هادئ موزون بالنسبة إلى أسلوب الحريري. ويستعيذ بالله، ويقول: "معاذَ الله أن يكونَ في نيّتِنا الانجرار إلى أسلوب المؤلّف الرّخيص" (ص ١٠). على القارئ أن يحفظ هذا القول، ويتذكّره فيما هو يسير معنا عبر المخاض العسير.

منذ البداية، وفي الصفحة الأولى من المقدّمة يبتدئ السيّد هاشم بالإشارة إلى "جبهة الدّسّ والتشكيك والتضليل والافتراء... محشوّة بالأفكار الهدّامة والآراء المشكّكة، والكلمة المضلّلة والرأي المسموم، يحقنون بها الفكرَ البشري... والتشويه والإشاعة المغرضة في خطّة خبيثة مشبوهة مرسومة، تسهر على تنفيذها مراجع القرار المسيحي والصهيوني في العالم... ثم الأباطيل والتلاعب الفاضح والأسلوب الرّخيص والاستهجان والكذب والافتراء والأحقاد...". ثم ينهي المقدّمة بإبداء شعور الإحراج، وهو يردّ "على هذا اللّقيط"، كتاب "قسّ ونبيّ" (ص ٧-١٣).

ثم ينطلق السيّد هاشم مردّداً دون ملل بأن مقولات الحريري "ما هي إلا هذيان بهذيان"[9]، مدفوعة "بقطار هذيانه"، ومكتوبة بـ"حمى الهذيان".

ويكشف السيّد هاشم عن الحريري فإذا به "يتحرّق غيظاً" (١٨)، و"يتحسّر" (١٧)، و"يتأسّف" (٢٠)، و"يصبّ جام

---

9 أنظر الصفحات: ١٩ و١٤٥ و٤٤٣ و٤٤٤ و٥٣٢ و٥١٦ و١١٨ و١٠١...

غضبه" (٢١)، و"يتأوّه ويتحسّر" (٤٥٤)، و"يزداد تظلّماً وحسرةً" (٤٥٤)، و"يندب حظّه" (٦٥٢).

وعادةً ما يستعيض السيّد هاشم عن اسم الحريري بألقاب، مثل "صاحب اللّقيط"[10]، و"الحريري المزيّف"[11]، و"المزعوم"[12]، و"المقنّع"[13]...

ويشبّه السيّدُ هاشم الحريري بالكلب الذي يلهث، ويزبد، ويفجر، ويجترّ ويلحس، ويتشدّق، وما أشبه من تعابير لفظها قلمه. يقول مثلاً: "يركض الحريري لاهثاً" (٦٧)، "مزبداً هائجاً" (٤٤٣)، "يجترّ نفسَه، ويلوك طروحاتِه، ليثبتَ بطريقةٍ مثيرةٍ للسّخريّة والضحك، التطابق الوهمي بين الإسلام والنصرانيّة" (٦٣٩)، وسيظلّ الحريري "يجترّ (تهريجَه)، ويلوكه، ويكابر، ويعاند، ويشرح، ويتفلسف في تهويشٍ مضحكٍ" (٦٥٣)، و"يتشدّق" (٦٨٥)، و"يلحس توقيعَه" (١٢١)، أو "يلحس أقوالَه" (ص ٦٥٣، ص ٤٤٩).

هذا الحريري "مليء بالعهر والفجور" (٥٢٦). وكم ذرف من عَينَيه "دمعَ العهر" (٦٧٧). وكم تكلّم "بحماس موتور" (٥٢٢)، حتّى "بلغ العهرُ الرّخيصُ والتذكّي المصطنع حدّاً" (٦٩٤).

وهو باستمرار "يهذي ويهلوس" (٦٨٩)، بأقوال "مليئة

10 أنظر الصفحات: ٣٩ و٥٧ و١٣٤ و٤٦٠ و٥١٦ و٦٤٧...

11 أنظر: ٦٤ و٨٨ و٣٨٥ و٤٤٤ و٥٤٦ و٦٢٨ و٦٧٥ و٦٩٣ و٧٠٣...

12 أنظر الصفحات التالية: ١٠٩ و١١١ و١١٨ و٤٣٠ و٤٤٧ و٤٦١ و٤٧٢ و٥١٠ و٥٢٢ و٥٢٨ و٥٣٤ و٥٤٨...

13 أنظر: ٩٠ و١٤٣ و١٤٧ و١٤٩ و١٥٠ و٤٦٣ و٤٦٩ و٤٨٨ و٥١١ و٥١٥ و٥٥٧ و٦٢١ و٦٢٣ و٦٣٤ و٦٣٥ و٦٥٧ و٦٥٨ و٦٥٩ و٦٧٣ و٦٧٥ و٦٨٥ و٦٨٧ و٦٩٢.

بالهلوسة" (٥٣٢)، و"يذرف دموعَ التماسيح"[14]، و"يبحث عن ثغرة في جدار الإسلام ليدخل منها ناشباً أظافره في جسد الإسلام تهشيماً، شاغلاً معولَ حقده في ركائزه تهديماً، ليتمزّق الجسد، ويتقوّض البنيان، فيرتاح ويطمئنّ" (١٤٦).

"بحقده الأعمى" (١٢٦)، يركّز "معوله الهدّام وقلمه الخبيث" (١٢٥). و"يصل حقدُ المقنّع (الحريري) على الإسلام حدّاً جعَلَه يخرج من حدود اللياقة والأدب والتهذيب" (٦٢٣)، و"لم يستطع أن يرتفع من درك أحقاده" (٥٢١)، في كتاب دعا فيه "إلى التفرقة والتباغض وزرع الأحقاد والضغائن" (٦٩٧). هذا "الحقد الأسود" (٦٩١) تدلّ عليه "نواياه السوداء" (٦٩١). وقد تميّز الحريري، بنوع خاصّ، "في حقده على النّبيّ" (٦١٨)؛ بل هو "يَزْفرُ كلَّ حقدِه على النّبيّ" (١٢٢).

والحريري، في كتابه، "يزفر مخاوفه، وينفّس عمّا يرعبه ويقلقه، ويجمع كلّ ما يفزعه ويفري عظامه" (٦٩٥). لكأنّه مضطرب القلب قلِق الضمير. فهو يكتب "والخوف يأكلُ قلبَه، ويفري عظامَه" (٦٢٦)، و"الحسرة تأكلُ قلبَه" (٦٩٣). يلفّه السواد من كلّ صوب، وهو "المقنّع القابع في الظلام، الغارق في عتمته وظلامه" (٦٩١)، حيث "حارب الصدقَ، وماشى البهتان، وتقنّع، وقبع في الظلام" (١١٨).

والحريري، "رغم أنّه غارقٌ إلى أعمق أعماق ضلاله وبهتانه، إلاّ أنّه يعتبر نفسَه بحاجة إلى انحدارٍ أشدّ، وإلى تعمّق بالدّسّ والتضليل أعمق فأعمق، ليصل إلى أسفل السافلين" (٦٣٢). يحاولُ الحريري باستمرار العملَ "في تشويه صورة الإسلام. ومحاولته حتماً فاشلة" (٨٢). فهو "يختزل أحقادَه

---

14 ألحريري يذرف دموع التماسيح: عنوان فصل كامل، ص ٦٨٩، أنظر أيضاً : ٦٩٤.

ومواقفَه العدائيّة من الإسلام" (١٢٤). ولا يزال، منذ الصفحة الأولى من كتابه حتّى الأخيرة يتابع "دبيبَه على أرض الدّسّ والضلال" (٦٤٠).

هذا "الدّسّ" الذي يحلو للسيّد هاشم الكلام عليه، وقد لصقه بالحريري، مراراً، وتوّج به عنوان الفصل الأخير حيث قال: "بالدّسّ بدأه. وبالدّسّ نهاه" (٦٩٩). وفي متن هذا النّص يجد السيّد هاشم أن الحريري "لم ينسَ أن يفرغ في كبد الحقيقة آخر سهم في جعبته، وأن ينفث في جسدها آخر جرعة سمٍّ تختزنها خبايا نفسه" (٦٩٩). ولا تقلّ أفكار الحريري سمّاً عن أسلوبه، إذ "دسّ سمّه في دسمها" (٦٩٩).

أمّا كتاب الحريري فهو، بنظر السيّد هاشم، "مليء بالهرج الرّخيص" (٤٥٨)، "بالهرج والتلفيق" (٥٠٩)، و"الفجور" (٨٧، ١٠٦). وكل ما يقوله الحريري فيه "ليس إلا ّ هراءً وتلفيقاً" (٦٩٢)، بل كلّ مقولاته "سخيفة تافهة" (٦٩٠)، "شاذّة مستهجنة" (٦٨٩). إنّها، في النتيجة، "أكاذيب وافتراء وتهريج" (٦٧٩).

كلّ ما كتبه الحريري قد كتبه "بأسلوب غوغائيّ رخيص"[15]، بـ"التزوير والتلفيق" (٥٩٩)، بسفسطة فارغة (٦٥١)، بطريقة بهلوانيّة رخيصة (٦١٣)، بمسرحيّة مبتذلة (٦١٣)، بتأتأة (٥٢٧ مرّتين)، "بسخريّة وهزء بدتْ بهما سماجتُه طاغيةً على غروره وادّعائه الفارغَين" (٤٥٣)؛ بل بسخريّة سمجة (٦١٨)، بالهرج الدعائي الظالم (٦٥٩)، بالمستوى الرّخيص المكشوف (٤٦٠)، بالدّسّ والفرقة (٤٦٦)، بالدّس الرّخيص (٦٧٥ و٦٥٩)، بدسّ وكذب وافتراء (١١)، بدوّاخة مضحكة (٦٩٠)، وصرعة من

15 أنظر الصفحات: ١٣ و١١٣ و٦٧٦...

صرعاته المحمومة المضحكة (٦٨٩). بل هو "متيّم بالصراعات الكلاميّة" (١٢٣)، "ببسمة صفراء تملأ شدقَيه" (٦٥٨).

ومنذ بداية كتابه، يعرّف السيّد هاشم بكتاب الحريري، فيقول: "فبعدما رماه مؤلِّفُه وطابعُه وناشرُه على قارعة طريق المجتمع، ثم هربوا منه، أصبح يتلطّى وكأنّه ممنوع من الظهور بقرارٍ ذاتيّ، إنْ أطلَّ على مكتبة فمتسلِّلاً من نوافذها، وإنْ وجدتَه في إحداها فمزويّاً وراء كوم الكتب المهمولة، وإذا طلبتَه دسّه لكَ صاحبُها بالخفاء، كمن يُخفي عَيباً، أو يتستّر على فضيحة. فهو هارب من وجه العدالة الاجتماعيّة، كما هرب مؤلّفه منه وبسببه من وجه المجتمع" (١٣). فهو، بالنتيجة، كتاب "لقيط، حملتْ به أمُّه سَفَاحاً" (٥١٦). والسَّفَاحُ، بلغة العرب، هو الزنا والعهر والفجور.

ويختم السيّد هاشم كتابه بكلام شامل لجميع مَن يمثّلهم الحريري، أو كما يقول، لـ"مَن هم وراءه"[16]، فيصفهم بـ"القلّة المتشنّجة المتعصّبة... قلّة حاقدة موتورة" (٧٠٣)، أو أيضاً "الفئة الحاقدة الموتورة" (٧٠٤).

***

حظّ أبو موسى الحريري، مع الّذين يردّون عليه، لا يُحسَد عليه. قَبل السيّد هاشم، قامتْ قيامةُ **النّجّاد** في جريدة **صوت العروبة** البيروتيّة، في خمس مقالات نُشرت تباعاً بين ١٦-٢٠/٧/١٩٧٩، وفي الصفحة الأولى، أي بعد صدور الكتاب بشهرين. وخطر للحريري، يومَها، أن يطبَعها وينشرها، ويوزّعها مرفقةً بكتابه، وذلك ليكون القارئ على بيّنة من الحقائق والمواقف.

جاء في عناوين مقالات النّجّاد ما يلي: "عصابة الهراطقة اللّبنانيّة والمسخرة المسمّاة قسّ ونبيّ". "الافتراء على التّاريخ

16 تعبير مألوف عند السيّد هاشم، يرد مراراً في ص : ٨ و٩ و٢٢ و٨١ و١٠٦ و٤٧١.

والدّس على الإسلام والقرآن". "عصابة من الهراطقة اللّبنانيّين يحاولون هدمَ الإسلام". "كلام أبي موسى الحريري هريري" (والهرير، بحسب شرح النّجّاد، يعني نباح الكلاب. وقد حصل الحريري على هذا اللّقب في كتاب السيّد هاشم).

ونقرأ في متن نّص النّجاد ما يلي: إنّ "إسم إبي موسى الحريري تغطية شفّافة جدّاً لعصابةٍ من الدّجاجلة الأفّاكين الّذين يمتهنون فقط التهجّم على الإسلام وعلى نبيّ الإسلام... إنّه عملٌ شارعي تهويشيّ سفيه... بأسلوب الغوغائيّة التّافهة". واضعو هذا العمل هم "مجمع الهراطقة"، وكم هؤلاء "طبخوا من سموم في كتاب قسّ ونبيّ؟!!".

وفي علاج السيّد النّجّاد يجدُ القارئ الوصفةَ التالية. يقول: "قائلُ مِثل هذا الهراء يستحقّ أن تُفرَكَ أُذُناه الطويلتان، وأن يُصفَعَ على قفاه، وأن يُربَطَ من رقبتِه بحبلٍ، ويَدخلَ إلى أحد المصحّاتِ المخصّصة لشفاء مدمني المخدّرات... لأنّه واحدٌ منهم قَطعاً".

ثم ينتقل السيّد النّجّاد من الحريري إلى النّصارى جميعهم، فيقول: هؤلاء "لا نصوص عندهم، فيما يعتمدونه من أناجيل، تمنعهم من سبٍّ نبيِّنا. ولا أدبَ ولا تهذيب يحبس ألسنةَ بعضهم القَذِرَة من التطاول عليه والإساءة إلينا وإليه"!!! و"يبدو أنّ النّصارى، كالنّساء المصابات بعقدة الساديّة، يعشقون مَن يجلدُهم ويهين إلهَهم وَيَتَرَاذَلُ على أمِّه... ونصارى بلادنا ليسوا ساديّين فحسب، ولكنّهم ينافسون كافورَ الإخْشيديّ في طبعه المرذول".

أمّا معالجة هذه العصابة، التي أصدرت كتاب قسّ ونبيّ، فواضحة. وهي تقوم على "اللّجوء إلى السّموم"، والرّش بـ"المبيدات"، لأنّ "المجتمع المهدّد بالوباء الخطير... لا بدّ له من حملةِ تلقيحٍ عامّة".

وفي الختام، رحنا نسألُ أنفسَنا: لمَ هذا الأسلوب العنيف الّذي جرى تحت قلم السيّد هاشم؟ ما مبرّرُه؟ هل تقع المسؤليّة، أو بعض منها، على مسبِّبه؟ يبدو ذلك، لأنّ السيّد هاشم، يوضح في ردّه قائلاً: إنّ الحريري "يحاول أن يوقد نار فتنة كبرى... وعلينا أن نكون إطفائيّين، لكي نخمد نارَه في مهدها، قبل أن تأتي على الأخضر واليابس" (١٧).

وكذلك أفتى السيّد النّجّاد بملاحقة الحريري ودعا المجتمعَ الإسلامي إلى "أن يباشر فوراً بحملة تلقيح عامّة يحمي بها نفسَه وكيانه" من سمومٍ قد تقضي عليه إنْ سكت ولان.

ونحن نجدُ المبرّرَ لكل ذلك. فهو يأتي من شدّة الغيرة على الإسلام ونبيّ الإسلام. وهو، بالفعل كذلك، لأنّ للدّفاع عن الإسلام وعن كلّ دين منطقاً خاصّاً وأسلوباً خاصّاً. والمدافعون، عندما يدافعون، يجهدون في تحطيم مناوئيهم، وينقلون المعركةَ إلى معسكر الخصوم، ويتوجّهون نحو المسيحيّة مثلاً، فيفكّكون أوصالها، وينزعون عنها ميزتها الإلهيّة، ويشكّكون بصحّة كتابها، ويلاحقون المسيح بالتّهم والتجريح، ويغربلون رجالات الكنيسة، ويبرزون ضعفَهم ومآثمهم...

ونحن لا نعجب من هذا الأسلوب العنيف، والمشين، أحياناً؛ ذلك لأنّ الدّين هو أعمقُ وألصق ما يكون بالشخص البشري. وتناولُ هذا الدين، من قِبَلِ الخصم، بالتحليل والتفنيد والتساؤل والبحث والقلق، يقيمُ الأرض ويقعدها عند الإنسان المؤمن الذي يجد إيمانه عرضةً للاتّهام، وفي كفّة "الميزان". فمن الطبيعي أن ينتفض المتديّنون كلَّ مرّة يرون دينَهم بين أيدي الباحثين.

***

ثانياً - منطق السيّد هاشم

١. نقول، بادئ ذي بدء، إنّ الحريري اعتمد في بحثه على مصادر إسلاميّة أساسيّة كثيرة، أمثال كتب التفاسير، والسير، والأحاديث، والتواريخ... كلّها مشهور وله اعتباره عند المسلمين كافّة. ولولا هذه المصادر لما كان بوسع الحريري أن يذهب في بحثه بعيداً.

هذه المصادر لم يبدِ السيّد هاشم فيها رأياً. لم يذكر منها في "ميزانه" إلاّ القليل جدّاً. لم يعتمد عليها. لم يناقشها. لم يفسّرها. لم يأوّلْها. لم يأخذْ منها موقفاً يختلفُ أو يتّفق مع الحريري. لم يعترض على أيِّ استشهاد نقله الحريري منها -أللّهمّ سوى حديث السيّدة عائشة عن موت القسّ ورَقة-.

فهل صمتُ السيّد هاشم على مصادر الحريري يعني جهلَه بها؟ يبدو ذلك بالرّغم من ثقافته الواسعة التي ظهرت في لائحة ما ذكرَ من مراجع لكتابه. إنّما يأخذ على الحريري الذي، بنظره، لم يقدّم لأبحاثه دليلاً. يقول: إنّ الحريري "افترضَ كلّ هذه الأمور دون أن يكلّفَ نفسه إبرازَ دليلٍ واحدٍ يدعم به افتراضَه، ومع ذلك يريدنا أن نصدّق" (٩). ويقول أيضاً: "ألحقيقة أنّنا لم نجد لأيٍّ من رواياته وآرائه سَنَداً مقبولاً، أو أساساً معقولاً" (٩).

مثلُ هذا المنطق في الرّدّ يحتاجُ، هو الآخر، إلى أدلّةٍ عليه. فهو أيضاً كلامٌ بدون سَنَد. وقد وقع السيّد هاشم في التّهمة نفسها. ومثل هذا المنطق أيضاً، يؤثّر، حتماً، على القارئ، فيظنّ الأمرَ كذلك.

٢. ونقول أيضاً: كان على السيّد هاشم، بعد ٧٠٠ صفحة من كتابه، أن يناقش، ولو لمرّة واحدة، المصادر التي اعتمد عليها الحريري، ويتخلّى عن مناقشة الحريري نفسه. وليته استشهد مرّة واحدة بنصٍّ استشهد به الحريري وفسّره، لنكون معه أو عليه. ولكنّه لم يفعل؛ فبتنا لا نعرف معتَمَدَ السيّد هاشم في مناقشته وطروحاته.

٣. ومن مآخذ السيّد هاشم أنّ الحريري سمّى "الآيات" القرآنيّة "نصوصاً". وبسبب ذلك ناله هذه الملامة قال: "لسانه (أي الحريري) لا يطاوعه أن يقول الآيات" (٦٢٧)؛ وقال أيضاً: "لو لسانه طاوعه لقال آيات" (٦٢٨). قد نقبل بهذه الملاحظة شاكرين لولم نجد سماحةَ مفتي الجمهوريّة اللّبنانيّة الشيخ حسن خالد، وشيخ الإسلام إبن تيميّة، والإمام العلاّمة إبن قيّم الجوزيّة، وغيرهم، يستعملون لفظة "نصوص" مكان "آيات".

٤. ويأخذ السيّد هاشم على الحريري بأنّه يجزّئ الآيات، فيقول: "حمّى الهذيان بدأت فعليّاً عندما أورد الحريري آياتٍ من القرآن"، ويذكر بعضاً منها ليدلّ، في الحاشية، على أنّها مجتزئة مشوّهة، فيقول أيضاً: "أوردنا هذه الآيات مجتزئةً حسبما وردتْ في كتاب قسّ ونبيّ تدليلاً على طريقة التشويه التي اعتمدها المؤلّف" (١٠١).

نقول: إنّ الآيات التي يشير إليها السيّد هاشم تدور، عند الحريري، حول ألفاظ فقط، مثل "أحزاب" و"شيع" و"فرق"، وما أشبه. والمقصود منها الإشارة إلى وجود مثل هذه الأحزاب والشيع والفرق في بني إسرائيل، لا من أجل معانيها وتفاسيرها ومقصودها وأبعادها في علم الكلام والفقه... لهذا، يحقّ للحريري نقلُ ما نقل بالطريقة التي نقل.

٥. ثمّ إنّ معظم نصوص الحريري، التي استشهد بها السيّد هاشم، جاءت في كتابه مشوّهة مهشّمة. فهو ينقل دون مراعاة فاصلة، أو نقطة، أو رجوع إلى السطر، أو وضع ثلاث نقط عند إهمال مقطع أو أكثر... ثم يُهمل إهمالاً تامّاً ذكر أي مصدر اعتمد عليه الحريري. ومن المعلوم أنّ كلام الحريري قد لا يكون له شأن إن لم تُذكر مصادره بتمامها وكمالها ودقّتِها.

٦. يضاف إلى ذلك مهارة عند السيّد هاشم في ربط جمل الحريري بعضها ببعض. فهو يأخذ جملةً من صفحة، وجملةً ثانية من صفحة ثانية، وثالثة من ثالثة... ويجمعها في جملة واحدة، دون تبرير لهذا القضم العجيب.

ولئلاّ نبقى في مستوى التعميم فللقارئ عيّنات من التهشيم:

لنبدأ بالبداية: ألنصّ الأوّل الذي ينقله السيّد هاشم عن الحريري، والنّص الثاني والثالث، في صفحة ١٥ و١٦ من كتابه، هي نصوص مهشّمة يتبرّأ الحريري منها. وكذلك نصوص الصفحتَين التاليتين: ١٧ و١٨، حتّى آخر الكتاب. يبدو أن السيّد هاشم يأخذ الفكرة بالأسلوب الذي يريد، ثم يتّهم على هواه.

٧. بالإضافة إلى هذا النّوع من التشويه، هناك نصوص عديدة، يقول السيّد هاشم بأنّه ينقلها عن الحريري، ولا نعلم أين هي في كتاب الحريري. مثلاً: هناك نصّ في صفحة ٤٦٥ في كتاب السيّد هاشم، على أنّها من صفحة ٨٤ من كتاب الحريري. وليست هي لا في الصفحة المذكورة ولا في سواها[17]... وكذلك أيضاً نصٌّ في صفحة ٥١٠ ينقله عن صفحة ٩٧. وهو غير موجود، لا في

---

17 نصّ السيّد هاشم: "القرآن، وهو يعرف أهله النّصارى، حاكاهم، وهو يعتبرهم أعلم النّاس بحاله، وأدركهم بوضعه. ولذلك فلقد اتّجه إليهم وهم على علم بما فيه" (ص ٤٦٥)!!! هذا النّص لا مقابل له عند الحريري، لا في ص ٨٤، ولا في سواها.

هذه الصفحة ولا في سواها[18]... وأيضاً نصٌّ في صفحة ٦٢٥ الذي لا أثر له عند الحريري[19].

٨. وثمّة صفحاتٌ عند الحريري قضمها السيّد هاشم بدون رفّة جفن: ففيما يعالج الحريري، في أربع صفحات، قصّة الوَحدة بين النّصرانيّة والحنيفيّة والإسلام؛ يجيء السيّد هاشم وينقلها بجملتَين فقط: الواحدة من الصفحة ١٠٦ والثانية من الصفحة ١٠٨. ولا يفصل بين الجملتين سوى نقطة واحدة. والأنكى من ذلك تعليقُ السيّد هاشم بعد هذا القضم بقوله: "وبهذه البساطة وحّد الحريري النّصرانيّة والحنيفيّة فصارت النّصرانيّة هي الحنيفيّة" (٥٣٧). والقضم إيّاه حدث في الصفحة ٤٥٨ المليئة بالتّهم.

٩. وأخيراً يسرّ السيّد هاشم اتّهام الحريري بأنّه يزوّر الآيات القرآنيّة ويحرّفها. وحقيقة ذلك، كما هو في الصفحة المذكورة (٤٥٨)، أنّ الحريري يأخذ آيةً قرآنيّة والسيّد هاشم يأخذ آيةً أخرى مشابِهةً لها، وينقل إلينا في كتابه هذه الآية المشابِهة، ثمّ يروح يكيل على الحريري بتزوير القرآن وتحريفه، وينزّل عليه لعنات الملائكة والأولياء.

١٠. وثمّة نوع آخر من المنطق الهاشمي في الردّ يقوم على اتّهام الحريري بشيء لم يقله. ويروح السيّد هاشم يدور حول ما اتّهم به، ويبرهن على خطإه. من ذلك ما ورد في فصل "موت القسّ ورقة" الذي عالجه الحريري في صفحتَين من كتابه؛ وعالجه السيّد هاشم في تسع صفحات (١٠٧-١١٥).

---

18 نصّ السيّد هاشم: "إنّها حبشيّة نصرانيّة، كانت متعلّقة بمحمّد ومتعلّق (كذا) بها" (ص ٥١٠)!!! غير موجود عند الحريري.

19 نصّ السيّد هاشم: "عرف محمّد السريانيّة بواسطة معارفه الشخصيّة واحتكاكه المباشر ببعض مؤلّفات السريانيّة" (ص ٦٢٥)!!! غير موجود عند الحريري.

يقول السيّد هاشم: "طالما أن ورقة كان لمحمّد أستاذاً... هل مات ورقة بن نوفل مسلماً؟". ويسأل: "أليس غريباً ومستهجَناً أن يموت باعثُ الإسلام على غير الإسلام؟!" (١٠٩). ثمّ يشفق السيّد هاشم على الحريري ويقول: "أتصوّرُ أن المؤلّف مرتبكاً (كذا) أيّما ارتباك لستْر هذه العورة الفضيحة ولفلفتها" (١٠٩).

نجيب: ألسؤال عن إسلام ورقَة غير مطروح عند الحريري، لسبب واحد واضح جليّ كرّره الحريري في كتابه مرّات؛ بل إنّ كتابَه كلَّه يقوم عليه، ألا وهو أنّ ما يدعو إليه ورقة ليس غير ما يدعو إليه محمّد. وبأكثر وضوح نقول: إنّ نصرانيّة ورقة لا تختلف عن إسلام محمّد. وبوضوح أعظم: ألإسلامُ والنّصرانيّة، عند القسّ والنّبيّ، هما، دين واحد، لا دينان.

ومع هذا، وبالرّغم ممّا بيّناه مراراً، يصرّ السيّد هاشم على تهمة الحريري، ويقول: "لعمري! كيف يصحّ أن يكونَ مَن عاشَ وماتَ نصرانيّاً، هو باعث الإسلام ونبيّ الإسلام؟! (٥٥)؛ ويقول أيضاً: "بيدٍ محترفة لا ترتجف يزوّر الحريري المزعوم وقائعَ التّاريخ" (١٠٩).

١١. ثمّة عيّنة ثانية نأخذها من اعتراض السيّد هاشم على مصادر القرآن في موضوع "الحسنات والصدقات". ففي الصفحتين ٦١٤ و٦١٥ يقول السيّد هاشم: بما أنّ الدّعوةَ إلى أعمال البرّ والإحسان موجودة في كلِّ دين، في الوثنيّة وأديان مجاهل أفريقيا... فلماذا يقول الحريري، يا تُرى، بأنّ القرآن أخذَ فقط عن النّصرانيّة، ولم يأخذ من هذه الأديان المذكورة؟! ثمّ يقول: "لماذا لا نضمّ تلك الديانات، أينما كانت، إلى عائلة الأناجيل: متّى ولوقا والعبراني الضائع، طالما أنّها مثلها تقول بالحسنات والصدقات؟!".

يريد السيّد هاشم أن يقول لنا بأنّ القرآن لم يتأثّر بأيٍّ مصدرٍ بشريّ! وأنّ القرآن، إذا كان له مصدر، فلماذا لا يكون له أكثر من مصدر! ويريد أن يقول أيضاً: إنّ القرآن أخذَ نظريّاته، في أعمال الحسنات والصدقات، من تراث البشريّة كلّها، وليس من مصدر قريب!

نقول: قد يكون ذلك. إلاّ أنّ تعاليم القرآن في الحسنات والصدقات مأخوذة مباشرة عن تعاليم الإبيونيّين، بموضوعاتها، وأساليبها، والتعابير عنها، والتركيز عليها، واعتبارها مرجعاً أساسيّاً لها، كما هو بيّن في أكثر من اثنتَي عشرة صفحة في كتاب قسّ ونبيّ.

١٢. وعيّنة ثالثة من المنطق الهاشمي. يقول السيّد هاشم: "لماذا استبعدَ المؤلّف (الحريري) طيلةَ مراحل كتابه إنجيلَ يوحنّا من دائرة المقارنة والبحث؟ علماً أنّ المنطق يفرض أن يكونَ ما يُقاس بأناجيل متّى ولوقا ومرقص يُقاس بإنجيل يوحنّا أيضاً. أليستْ وحدةُ الأناجيل الأربعة قائمةً ثابتة راسخة حول كلّ شيء؟ أم أنّها متّفقة أحياناً، وعلى تناقض وخلاف أحياناً أخرى؟" (٦١٦).

نقول للسيّد هاشم الذي يجهل كيفيّة الوحي في المسيحيّة جهلاً مطبقاً:

أوّلاً - ليست الأناجيل، في رواياتها الأربع، كالقرآن، من يدٍ واحدةٍ. إنّها روايات كتبها أناسٌ يحتفظ كلّ واحد منهم بشخصيّته وأسلوبه وإلهاماته... أمّا الوحيُ، في مفهوم المسلمين، فهو "تنزيل" من الله على محمّد، وليس فيه شيء من يد محمّد. وفي المسيحيّة لا "تنزيل" ولا "إنزال". لهذا، قد تكون روايةُ متّى غير رواية مرقس، ومرقس غير يوحنّا، ويوحنّا غير بولس. وهكذا.

ثانياً - لكأنّ السيّد هاشم يريد أن يقول: لماذا لم يتأثر القرآن بإنجيل يوحنّا؟ ألعلّ الحريري لا يعترفُ به؟ ألجواب بسيط، وهو: أنّ القرآن لم يعرفْ إنجيلَ يوحنّا. لا أكثر ولا أقلّ.

ثالثاً - وقد يكون علينا أن نذكّر السيّد هاشم باستمرار، ونقول له: إنّ كتابَ قسّ ونبيّ يدور حول المقارنة بين القرآن العربي والإنجيل العبراني. فالقرآن أخذ عن هذا، وليس عن يوحنّا. والإسلام، في بدايته المكّيّة، هو "النّصرانيّة" التي كانت تأخذ بالإنجيل العبراني وليس بإنجيل يوحنّا.

١٣. ثمّة تعدٍّ آخر على المنطق يظهر في ما يلي:

يقول الحريري في موقف أبي طالب من زواج محمّد بأنّ أبا طالب فرح جدّاً بزواج محمّد من خديجة، وحمد اللهَ كثيراً بسبب هذا الزواج، الذي، كما تقول كتبُ السِّيَر، أراحه من عبء الحياة وهموم العيش، وهو الكثير العيال القليل المال.

هذا الكلام لم يرضِ السيّد هاشم، بل قامت قيامتُه على الحريري بسببه، واتّهمه بالهذيان والبهتان (١١٨)... ولكنّه يعود، في الصفحة التالية مباشرةً، ليقول مقولةَ الحريري نفسَها. يقول: "ألصحيح هو أنّ محمّداً، الفقير مادّيّاً، كان يفتّش عن الاستقرار، علّه يرتاح من فقره، وَيُرِيحُ عَمَّهُ أبَا طَالِب الشَّهيرَ بفقرِهِ وكثرةِ عِيالِه، ومحمّد اليتيم المفتقد إلى الحنان والعاطفة... وجدَ بهذا الزّواجِ من خديجة اسْتِقْرَارَهُ المادّي وحنَانَه المفقود" (١١٩).

وهل يريد أبو موسى الحريري من السيّد هاشم غير هذا الكلام؟! وهل يقول الحريري، الذي قامت قيامة السيّد هاشم عليه، غير هذا الكلام؟!

١٤. من زواج النّبيّ أيضاً نأخذ عيّنةً أخرى على هذا النّوع من المنطق: يقول السيّد هاشم: زواج النّبيّ "حدثٌ مباركٌ وكبيرٌ...

كان له كبير الأثر في حياة النّبيّ، وفي مسيرة دعوته، لِما كانت تتمتّع به خديجة من مزايا طيّبة وصفات حميدة، ساعدتِ النّبيَّ في تذليل الصعاب، وإزالةِ العقبات من طريق دعوته، كما كانت خيرَ زوجة، وأوفى شريكة حياة وجهاد، وأوّل مَن آمنَ بنبوّة محمّد وصدّقها" (١١٩).

وهل يقول الحريري، في كتابه، غير هذا الكلام حتّى يتّهمَه السيّد هاشم، في مطلع كلامه في هذا الموضوع، بأنّه "حمّل موضوعَ زواج محمّد من خديجة أكثر ممّا يستحقّ؟"، أو ينعته أيضاً بأنّه "خاصم الصدقَ وماشى البهتان؟" (١١٨).

١٥. وأيضاً، وفيما الحريري يدلّ على اكتفاء محمّد بخديجة كزوجة وحيدة له، بسبب ما أمّنتْ له من عاطفة وحنان ومال وجمال...، على ما تقول كتبُ السير؛ يقوم السيّد هاشم ويقول الكلامَ نفسه: "وماذا ينشد (محمّد) من زواج آخر أكثر ممّا أمّنتْه له خديجة؟" (١١٩). ولكن بعد أن يكيل للحريري أكيالاً من التّهم والشتائم بسبب قوله مثل هذا الكلام.

١٦. وأيضاً، وفيما الحريري يُلفت النظرَ إلى أهمّيّة وجود القسّ ورقة ودورِه في حفل الزواج، يقوم السيّد هاشم ليقول الكلام نفسه: "ألثابت أنّ ورقة حضر هذا الحفلَ فقط لكونه ابن عمّ خديجة، وأكبر المسنّين في عائلتهما، والعادات تفرض أن يتصدّر مثلَ هذه المناسبات كبارُ السنّ في العائلتَين" (١١٩). ولكن استحقّ الحريري على مثل هذا الكلام ما استحقّ من صفات كـ "السخيف والمبتذل".

١٧. وأيضاً، يقول السيّد هاشم: "لقد أمضى (الحريري) الساعات الطوال، وهو يدفعنا باتّجاه الاقناع بأنّ زواجَ محمّد من خديجة ما كان إلاّ نتيجة مخطّط ربّاني، وقعة إلهيّة، قدر مرسوم،

جزء من خطّة رسمها القسّ..."، ويكمّل: "وفجأة... نراه يغيّر ويبدّل فيقول: لن ندرك الآن مقصدَ القسّ في ذلك! لعلّه يريد الاهتمام باليتيم محمّد... أو يريد خليفة له من بعده... أو يريد قائداً على قريش...". ثمّ يستنتج السيّد هاشم من كلام الحريري هذا تناقضاً، فيقول: "أي تناقض فاضح! في كلّ الصفحات ظلّ (الحريري) يعاند ويكابر... فما باله الآن ينقلب على نفسه ويلحس توقيعَه؟" (١٢١).

نقول للسيّد هاشم: أين هو التناقض الفاضح في هذا الكلام؟ ألحريري يقول بوضوح: إنّ القس ورقة دبّر زواجَ محمّد من خديجة، لأمرٍ ما. هذا الأمر أعلنه الحريري مراراً. ولئن لم يقلْه الآن إلاّ بصورة سؤال فهذا لا يعني تنكّراً لما أعلنه سابقاً. وعلى السيّد هاشم ألاّ يضطرب ويشكّك بما أعلنه الحريري وظلّ يعلنه في طول كتابه وعرضه. و"التناقض الفاضح"، الذي يتّهم به الحريري، غير موجود. ويُخشى أن يكون في نيّة السيّد هاشم تضليل القارئ فقط. وهذا أيضاً "أمر مدبّر" قد يكون أخطر ممّا دبّره القسّ!

١٨. ثمّة مثلٌ آخر من منطق الردّ الهاشمي نأخذه من موضوع "أمّيّة النّبيّ". ألأمّيّ، عند الحريري، تعني مَن ليس له كتابٌ منزل. وليس مَن يجهل القراءة والكتابة. أمّا السيّد هاشم، الّذي ينتقد الحريري على هذا المعنى، فلا نعرف ما يقصد من كلامه. فهو يقول تارة: إنّ "الأمّيّين هم العرب المشركون الذين لا يُجيدون قراءةً ولا كتابةً" (١٢٨). وطوراً يقول: إنّ "الأمّيين، وكانوا يعنون بهم العرب. وهم، في الحقيقة، يعنون كلّ مَن سوى اليهود" (١٢٨-١٢٩). ثمّ يعود ليؤكّد مع السيّد قطب والطبرسي ليقول: "قيل إنّ العرب سمّوا بالأمّيين لأنّهم لا يقرأون ولا

يكتبون... وربّما سمّوا كذلك كما كان اليهود يقولون أمميّون نسبة إلى الأمم... وحكمة الله اقتضت أن يكون هذا النّبيّ من العرب، من الأمّيين غير اليهود" (١٢٩).

لقد اختلطت علينا المعاني المتضاربة عند السيّد هاشم. وهو موضوع لم يقل فيه كلمة الحسم إلاّ في عنوان الفصل : "أمّيّة الرّسول حقيقة. وهذه براهين عليها" (١٢٤).

١٩. ومن منطق الردّ أيضاً كلام السيّد هاشم في حديثٍ شهير عن لسان السيّدة عائشة. يقول: "عندما يعوز صاحب قسّ ونبيّ الدليل والبرهان نراه يلجأ إلى أسلوب رخيص، فيخترع أحاديث ينسبها إلى مؤرّخٍ ما بصفة المجهول، ومنها قول كرّره عشرات المرّات في كتابه، نسبه إلى السيّدة عائشة، هو: "لم ينشب ورقة أن توفّي وفترَ الوحي" (١١٣).

نقول: إذا كان ثمّةَ من مرجع أكيدٍ، صحيحٍ، مُسنَدٍ، معتمدٍ عليه، للأحاديث النّبويّة عند المسلمين فهو كتاب "صحيح البخاري"، الذي يقول فيه المسلمون: "صحيحه أصحّ كتب السنّة". فإذا كان هذا مقامُ البخاري في "المحدِّثين"، فكيف يجوز للسيّد هاشم أن يتّهم الحريري بأنّه يعتمد على "مؤرّخ مجهول"! وكيف يحقّ له القول بأنّه حديث "نُسب إلى السيّدة عائشة"!؟ أللّهمّ إلاّ إذا كان السيّد شريف محمّد هاشم على مذهب أهل الشيعة الذين يرفضون عائشة وما تقول عائشة.

بعد هذا التوضيح، هل يُعقل أن يتّهم السيّد هاشم الحريري بالتزوير؟ وهل هذا "أسلوب رخيص"؟ وهل هو "اختراع" منه؟ وهل السيّدة عائشة تنقل الأحاديثَ زوراً؟ وهل البخاري "مؤرّخ مجهول"؟ وهل هو ينقل ممّا قالته عائشة بدون سند؟... إنّنا نؤكّد للسيّد هاشم الشيعي صحّةَ الحديث، ولو شعر ببعض الانزعاج.

حديث يراه في كتاب "صحيح البخاري"، في باب الوحي، في أوّل الكتاب الأوّل. ويراه القارئُ مبتوراً عند الشيخ الدكتورصبحي الصالح السنّي، فينقل منه: "ولم ينشب ورَقَة أن توفّي"، ويُهمل: "وفترَ الوحي"؛ وذلك ليدلّ الشيخ الدكتور على أنّ القسّ، عندما تعرّف النّبيُّ عليه، كان قد أصبح عاجزاً أصمّ أبكم أعمى. وقد كان للحريري من هذا البتر موقفاً في كتابه.

٢٠. ثمّة دليل آخر على منطق الردّ الهاشمي، نأخذه من تساؤل الحريري حول نبوّة ورقة الّذي كان باستمرار يؤكّد لمحمّد أنّه نبيّ هذه الأمّة. على هذا التساؤل الحريريّ يعلّق السيّد هاشم: "ألحريري هو، وليس سواه، مَن زعم بأنّ ورقة قد تنطّح لهذه المهمّة" (٤٤٤)، أي مهمّة نبوّة القسّ ورقة.

ونحن نسأل السيّد هاشم: هل الحريري هو الّذي تولّى إعلان نبوّة القسّ ورقة؟ أم الحريري يستنتج نبوّةَ القسّ مِن كتبِ السيرِ والأحاديث؟ أيتناسى السيّد هاشم ذهابَ السيّدة خديجة إلى القسّ ورقة، عشرات المرّات، لتستشيرَه في شأن زوجها وما كان يحدث له من إرهاصات وظهورات ورؤى!! ثمّ تعود إلى بعلها لتطمئنَه بما كانت تسمع من ابنِ عمّها القسّ ورقة!! ألم يقرأ السيّد هاشم كلام القسّ في شأن النّبيّ: "قدوس قدوس... إنّ محمّدا لنبيّ هذه الأمّة". وكان الحريري يتساءل دائماً: مَن هو النّبيّ هنا؟ ألحريري؟ أم السيّد هاشم؟ أم محمّد؟ أم القسّ ورقة؟

وكانت النتيجة لهذا المنطق أنْ صبّ السيّد هاشم على الحريري لعنات التاريخ والأجيال، وراح يصفه وينعته "مزوِّراً للحقائق، مزيِّفاً للوقائع، باذراً الفتنة، محرِّضاً على الفرقة والشرّ" (٤٤٤).

٢١. وعيّنة أخرى من منطق السيّد هاشم قوله: "نرى الحريري المزعوم، برعونةٍ مبتذلةٍ، يسمحُ لنفسِه أن يوزّعَ شهادات معرفة ِ علم ِ الغيب ِ على الرّهبان والقسّيسين بسخاء غريب" (٤٤٧-٤٤٨). جاء كلامُه هذا بمناسبة كلام الحريري على تنبّؤات الرهبان والقسّيسين في شأن محمّد.

نقول للسيّد هاشم: ليس هو الحريري الّذي يوزّع علومَ الغيب على الرّهبان والقسّيسين والأحبار... بل هم كتبةُ السير النبويّة والأحاديث الّذين قالوا ذلك. والحريري يستنتج ولا يقرّر. ينقل ولا يؤلّف. يكتشف ولا يخترع. وإذا شاء القارئ التأكّد ممّا نقول فليرجعْ إلى مئات الصفحات في كتبِ السير التي تجعل على لسان الرهبان والقسّيسين والأحبار والكهّان والعرّافين والنّجوم والملوك وحتّى الشياطين... تنبّؤات عن مجيء نبيّ إسمه أحمد.

٢٢. ونريد أخيراً أن نعود إلى "الإهداء" حيث نقرأ : "إلى كل ّ مَن آمن.. أن ّ الأديان َ براء ممّن.. يتظاهرون بالدّفاع عنها" (ص ٥)؛ نقرأ أيضاً: "هدفنا الدّفاع عن الإسلام" (ص ١٠). وفيما يقول: "إنّ طريق الإنسان إلى محبّة الله هي في محبّته لأخيه الإنسان"... نقرأ مباشرةً، بعد ذلك، وفي السطور الأولى من "المقدّمة": "إذا كانت المعارك قد توقّفت بين الإسلام وأعدائه، بفضل انتصار الإسلام العسكري الحاسم في القرن الأوّل من ظهوره، فلم نعد نسمع للسلاح قرقعة ولا للسيوف صليلاً". ثمّ يعلن بقاء "الإسلام سيفاً مسلّطاً فوق رقاب المنافقين" (٧)؛ ويؤكّد بأنّ "الإسلام حسم الموقف لصالحه".

يكفي القارئَ هذا القدرُ من العيّنات التي تبيّن سوء التركيز، والتواء المنطق، وضعف التأليف عند السيّد هاشم.

ثالثاً - منهج السيّد هاشم

١- نظرية "الحرب... والدفاع"

يبتدئ السيّد شريف محمّد هاشم كتابه بقوله: "من أوّل صفحة في مقدّمة كتابه، أعلن الحريري حربَه على الإسلام" (١٥)... ويضع فصلاً بعنوان: "ما يبحث عنه (الحريري) حقيقةً هو تقويض الإسلام" (١٤٤). ويعلن بأنّ الحريري "يتسلّط على القرآن، ويدبّ سخطه وفجورَه عليه" (٤٥٥). "كلّ ذلك بخطّةٍ خبيثةٍ مشبوهةٍ مرسومةٍ.. محشوّةٍ بالأفكار الهدّامة والآراء المشكِّكة" (٨).

هذه "الخطّة" قام بها الحريري على طريقة اليهود والصليبيّين والمأجورين لهدم الإسلام. قال: "والّذين تجنّدوا إلى هذه (الخطّة) هم اليهود، منذ زمن النّبيّ حتّى اليوم، والمسيحيّون في إرساليّاتهم الدينيّة، ومدارسهم التبشيريّة، وبعثاتهم المأجورة الصهيونيّة، وثقافتهم المنتشرة" (٨).

وهدف الحريري، على ما يقول السيّد هاشم، "زرع بذرة الشكّ في الأذهان حول نبوّة محمّد وسماويّة القرآن وصدق التعاليم الإسلاميّة برمّتها... وهدفنا الدفاع عن الإسلام" (١٠-١١). إنّها "محاولة محمومة لتحطيم معجزات النّبيّ ورفض نبوّته" (١٤٤). هذه النبوّة "هي أكثر من غيرها من الدعوات حاجةً لمن يُدافع عنها ويقف إلى جانبها" (١٦٢).

بوسعنا القول بأنّ كتابَ السيّد هاشم، كلّه، كتاب دفاع عن الإسلام والنّبيّ والقرآن. ولكأنّ الحريري، "ومَن هم وراءه"

يطاردون النّبيّ ويعملون على هدم الإسلام، ويمسّون قدسيّة القرآن. وما قيامة السيّد هاشم على المسيحيّة وتعاليمها إلاّ من قبيل الدفاع هذا؛ بالرّغم من أنّه أهدى كتابَه، كما رأينا: "إلى كلّ من آمنَ قولاً وعملاً أنّ الأديان براء ممّن يتظاهرون بالدّفاع عنها" (ص ٥).

ولكن، لنا على "موقف الحرب.. والدّفاع" التوضيح التالي:

أوّلاً - إنّ الحريري قام ببحثٍ تاريخيٍّ عن نشأة الإسلام وعلاقته بالنّصرانيّة. ولم يكن في برنامجه أن يشنّ حرباً، أو يفتحَ معركةً، أو يطربَ لهدم الإسلام. إنّ مختصر برنامج الحريري واضح، وهو التالي: للقرآن مصدر في التاريخ، علينا أن نبحث عنه. ووراء النّبيّ شخصيّة فذّة، علينا أن نعطيها دورَها. ووراء الإسلام شيعة إسمها الإبيونيّة تركت فيه بصماتها. غير ذلك لم يكن في نيّة الحريري شيءٌ. وليت السيّد هاشم يساعده في أبحاثه!!.

ثانياً - وهناك هدفٌ واضحٌ جدّاً يسعى إليه الحريري بكلّ جهده، إنْ جُهلَ بات عمله بدون فائدة. والهدف هو هذا: إنّ الحريري مَعْنِيٌّ بالإسلام والقرآن ومحمّد. والسبب هو هذا: إنّ الحريري يعتبر الإسلامَ والقرآن ومحمّداً من تراث الكنيسة النّصرانيّة الحنيفيّة الإبيونيّة العربيّة المكّيّة من أوائل القرن السابع للميلاد. وما الإسلام، في نظره، سوى حركةٍ دينيّة، روحيّة، إجتماعيّة، ثوريّة، قلبَت المجتمع المكّيّ والجزيرة العربيّة رأساً على عقب. وإنْ كان في التاريخ العربيّ من فخرٍ فإنّ الحريري لا يفتخر إلاّ بهذا.

ثالثاً - ونقول أخيراً، إنّنا لا نخال الحريري مصاباً بمصيبة الإسلام، بقدْر ما هو مصابٌ بمصيبة مَن حيّدوا الإسلامَ عن مساره التّاريخي الصحيح. فالكلام بأنّ "مصيبة الحريري وأمثاله بوجود

الإسلام في العالم اليوم. هذا الإسلام الّذي ينغّص عليه، وعلى مَن هم وراءه، عيشَهم وحياتهم" (٢٢)، هو كلامٌ يُدمي قلبَ الحقيقة. وللمرّة الألف بعد الألف نقول: إنّ فخرَ الحريري يقوم على هذه المقولة التي لا يملّ من ترددادها: إنّ للقرآن مرجعاً غير "اللّوح المحفوظ"، هو "الإنجيل العبراني"؛ وللإسلام تاريخاً غير "الأفق الأعلى"، هو "الإبيونيّة"؛ ولمحمّد معلّماً خبيراً محنّكاً غير "جبريل"، هو القسّ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَي... هذه كلّها من تراث النّصرانيّة العربيّة المكيّة المعروفة.

٢ - نظريّة "الوفاق... والحوار"

لم يدعُ أبو موسى الحريري يوماً إلى الوفاق، أو الحوار، بين المسيحيّة والإسلام. هذا الوفاق، في رأيه، لا يمكن أن يكون، إحتراماً لا للمسيحيّة ولا للإسلام. والحريري يعلن موقفه هذا منذ الصفحة الأولى من كتابه. يقول: "لن تمرّ بالبال قط أيّة محاولة للتقارب بينهما. تلك المحاولة المستمرّة التي ضلّت الحقيقة وعطّلت العقول. إنّها محاولة فاشلة وضالّة ومُضلّة، مع كونها تدعو إلى الوئام والإلفة والسلام..."[20]. ومع هذا، يصرّ السيّد هاشم، دون أن يدري، على اتّهام الحريري. فيقول: "ولا ندري كيف يقبل المؤلّف أنْ يبحث بوفاقٍ بين المسيحيّة والإسلام، في وقتٍ يؤكّد فيه أنّ هذا الإسلام مزوّراً ومشوّهاً (كذا) (٢٣).

ويبني السيّد هاشم نظريّته على ما افترضه عند الحريري من وفاق؛ فيقول: "كيف يمكن لهذا الإسلام المسكين، وهو يحمل كتاباً مزوّراً، غير معترف به، أن يقف قبالة إنجيلٍ سماويّ، ليتحاورا ويتفاهما على قدم المساواة، قبل أن يسوّي هذا الإسلامُ أوضاعَه، ويستر عورتَه، ويكشف قرآنه المفقود؟" (٢٣).

---

20 مقدّمة كتاب قسّ ونبيّ، ص ٥.

مرّة جديدة **نقول** للسيّد هاشم، ولمن معه من المسيحيّين والمسلمين: إنّ الحريري لم يبحث، ولا يبحث، ولن يبحث، في الوفاق الديني العقائدي. لأنّ الموضوعات الدينيّة العقائديّة هي من خصوصيّات كلّ مؤمنٍ في علاقته الحميمة مع ربّه. ولا دخل لأحدٍ فيها إطلاقاً. كم من موضوعاتٍ مسيحيّةٍ لا يحقّ للمسلم أن يُخضعها لأبحاثه؛ وكم من موضوعات إسلاميّة لا يحقّ للمسيحي أن يمسّها.

ولكن، بقدْرِ ما يرفض الحريري هذا النّوع من الحوار، بالقدْر نفسه يسعى إليه على الصعيد الإنساني والوطني والاجتماعي والسياسي بين المسيحيّين والمسلمين واليهود والوثنيّين والمشركين والكافرين والعلمانيّين وسائر المواطنين على أيِّ دين أو مذهب كانوا.

إنّ الحريري، في موضوعات الإيمان لا يريد لا وفاقاً ولا خلافاً؛ لا حرباً ولا سلماً؛ لا حواراً ولا جدالاً؛ لا إلفةً ولا خصاماً؛ لا صداقة ولا عداوة...إنّما يريد فقط البحث في التاريخ، في نشأة الإسلام، في مصادر القرآن، في مَن كان وراء النّبيّ. يريد النّظر في كلّ هذه لأنّها إرثٌ نصرانيّ عظيم.

لقد جرت تهمةُ الحريري بأنّه عدوّ الوفاق والسلام والإلفة بين البشر. وردّد كثيراً أنّ الحريري داعي حرب وتفرقة واقتتال، حتّى أنّ قارئَ كتابِه يتساءل عن فساد هذا الرّجل. وبتنا لا نعرف كيف نصحّح للقارئ العادي ما اعوجّ عليه.

هذه الظاهرة في الوفاق أو عدم الوفاق بين المسيحيّة والإسلام لم ترد في بال الحريري، لا نفياً ولا إثباتاً. وتهمة الحريري بها، ليست، على ما يبدو، إلاّ لتمرير نيّةٍ غير سليمة عند السيّد هاشم نفسه. فهو القائل، وليس بعد قوله، مجالٌ لأيٍّ عيش

مشترك بين المسيحيّين والمسلمين. وهاك ما قال: "كلّ شيء في المسيحيّة غريبٌ وشاذّ. كلُّ أمْرٍ فيها معقّد. لا دورَ للوضوح فيها ولا مكان" (٣٦٧). وقال: "كم كنّا نتمنّى لو انّ القديس المتشدّد (بولس الرسول) يعود للحظةٍ واحدةٍ إلى الحياة الدنيا ليرى بأمّ عينيه ماذا فعل تشدّدُه اللاّمعقول بحالِ أتباعِه، فيجدهم في مواخير الجسد والشهوات أفواجاً أفواجاً" (٢٣٢).

٣ - نظريّة السيّد هاشم في مصادر الحريري

من الطبيعي أن يعتمد الحريري، في بحثه، على المصادر المسيحيّة الأساسيّة، التي فيها تراث الكنيسة وتعاليمها وطقوسها. هذه المصادر منها بيبليّة كالعهدَين القديم والجديد، ومنها مؤلّفات آباء الكنيسة الأوّلين، ومنها الكتابات المنحولة، ومنها كتب التّاريخ والتراث...

هذه المصادر، في معظمها، غير موجودة، في اللّغة العربيّة. فلهذا السبب كانت ضحيّة "علم" السيّد هاشم. يقول فيها بأنّها "كتب بائدة" (٤٥٣)، "كتب وهميّة" (٤٥٣)، "مصادر يتيمة" (٨٨). هذه "الكتب البائدة... وهي كتب مفقودة. لا وجود لها بين يدَي النّاس ليُجرَى التدقيق بها والتثبّت من مضامينها" (٥٥٩).

إنّ قِدم هذه الكتب يجعلها، في رأي السيّد هاشم، بدون فاعليّة أو تأثير. يقول: "والمعروف أنّ هذه الكتب قد ألّفها أصحابُها منذ أكثر من سبعة عشر قرناً تقريباً. وهي من الكتب المفقودة منذ زمن بعيد، على الأقلّ في المكتبة اللّبنانيّة، إنْ لم نقل العربيّة أيضاً" (٨٨).

ويقول أيضاً: "إنّ المؤلّف (أي الحريري) لم يستعِنْ في دعْم مزاعمه بأيّة مصادر من أهل الأخبار المعروفين، عرباً أم

مستشرقين. فاكتفى بما زعم وجودَه في كتب لا وجود لها في زماننا الحالي، ممّا يدلّ أنّ الحديث عن هذه البدعة (الإبيونيّة) لم يرد في أيّة مصادر تاريخيّة معاصرة، وإلاّ لكان الحريري المزيّف قد نقبها واستشهد بها" (٨٨).

ثم يعود السيّد هاشم، بعد حوالي أربعمائة صفحة، ليقول القولَ نفسَه: "والملفت للنظر أنّه (أي الحريري) لم يُوردْ رأياً واحداً لأيّ باحث، أو مؤرّخ، أو ناقدٍ، من حقبة التاريخ الجلي، أو المعاصر. ويتساءل الإنسانُ بدهشة: لماذا سكتَ جهابذةُ المسيحيّة طيلة ١٥ قرناً من الزمن، وبين أيديهم معلومات يملكونها لطعن الإسلام وفضْحِه، وهم المتلهّفون دائماً وأبداً لمثل هذا الأمر مذ كان الإسلام، فانتظروا حتّى جاد الزمانُ عليهم بحريريٍّ ليقوم بما قصّروا به وقعدوا عنه" (٥٦٠)

ثمّ إنّ الاعتماد على آباء الكنيسة، في رأي السيّد هاشم، هو اعتماد على هراطقة، منهم موجود، ومنهم غير موجود، ومنهم مزيّف، ومنهم غير جدير بتصديقه. يقول مثلاً عن أوريجانوس: "وحصيلة الأمر أنّ المهرطق أوريجانوس، في معرض ردّه على المهرطق سِلْسْ، تحدّث بشكلٍ ما عن هرطقة، هي الإبيونيّة. فكيف لنا، والأمرُ يدورُ بين هرطقات ومهرطقين، أن نعتبر مصادرَ الحريري موضعَ ثقةٍ واحترام؟!!" (٩٠).

ويخلص السيّد هاشم إلى هذه النتيجة: "وهكذا أجاز المؤلِّف لنفسه أن ينسب الدين الإسلامي إلى هرطقة، ذكرَ أحدُهم اسمَها في كتابٍ ما، وتحدّثَ عنها مهرطقٌ ما، بكلماتٍ عابرة، منذ أكثر من ١٨ قرناً من الزّمن" (٩٠).

نقول:

نتصوّر الحريري عاجزاً عن الردّ على مثلِ هذا المنطق

الهاشمي، وعاجزاً أيضاً عن الردّ بأسلوب لا يؤذي السيّد هاشم. ونحن لا نريد أذيّة السيّد بأيّ شكل، ليبقى معنا في رحلتنا الممتعة عبر كتابه. ومع هذا نقول ببساطة:

أوّلاً - إنّ آباء الكنيسة الأوّلين، مثل أوريجانوس، وإبّيفانوس أسقف سلمنكا، وأوسابيوس القيصري، وإكليمنضوس الرّوماني، وإكليمنضوس الإسكندري، وجيرولاموس، وإيريناوس أسقف ليون، وإفرام السرياني... -وهم بعض مَن ذكر الحريري-، هؤلاء هم خير مرجع للبحث في مثل هذه الموضوعات الدينيّة، وفي الشيع النّصرانيّة، وتعاليمها...

ثانياً - إنّ ما يعني الحريري من مؤلّفات هؤلاء، أكانوا "مهرطقين" أم على الصِّراط المستقيم، لا استقامة عقيدتهم أو فسادها، بل المعلومات الصحيحة التي نأخذها من أقوالهم. فالحريري يهمّه مثلاً، لا قانونيّة "الإنجيل العبراني" أو عدم قانونيّته، بقدر ما يجد فيه من تعاليم شبيهة بما في القرآن؛ وكذلك، لا يهمّه "الإبيونيّة"، إنْ كانتْ على الدّين القيّم أم كانت مهرطقة، بل يهمّه ما يجد فيها من تعاليم هي نفسها موجودة في القرآن. فصوابيّة العقيدة أم خطأها لا تعني الحريري في بحثه، ولا أمياله أو رغباته هي في "الميزان".

ثالثاً - ثمّ لو كان لنا بعض الاقتناع بما يقول السيّد هاشم عن المصادر التي يرفضها بسبب قِدَمِها، وإنّه لا يطمئنّ إلاّ إلى المصادر الحديثة الموجودة في المكتبة اللّبنانيّة والمكتبة العربيّة، وعند الكتّاب المعاصرين لنا، وعند أحدٍ من المستشرقين، ولو عدوّاً لدوداً... لو أقتنعنا بهذا الكلام لقلنا حقّاً لقد انتصر السيّد شريف محمّد هاشم على الحريري "ومَن هم وراءه". إلاّ أنّنا نترك الحكمَ للقارئ؛ فهو الذي يولينا حقَّنا أو يولي تأييدَه للسيّد هاشم.

رابعاً - ما كان في نيّتنا أن نشير إلى موضوع "المصادر" لو لم يكن السيّد هاشم صادقاً ومقتنعاً بما يقول. إنّه، باختصار الكلام، يريد مصادرَ حديثة لموضوعات قديمة. وإذا كان العطل في المكتبة العربيّة فما ذنب مَن يلجأ إلى مكتبات غير عربيّة، إذا ما وجد فيها ضالّتَه!!!

***

رابعاً - ألنصرانيّة في مكّة

يقول السيّد هاشم، مصرِّحاً، معلناً، مقرّاً، مثبتاً، دالاً على وجود نصرانيّ فاعل في مكّة. وقد خدم الحريري في كلامه هذا من حيث لا يدري. يقول: "كان في مكّة جيلٌ من الشباب قد بدأ يشرئبُّ بأعناقه متطلّعاً بعينٍ حائرةٍ متسائلةٍ إلى ما يحيط به من أصنام ووثنيّة... لقد بدا واضحاً أنّ رياحاً فكريّة جديدة هبّتْ على عقول أولئك الشباب، وأنّ مفاهيم جديدةً مختلفةً يحملونها في أذهانهم لا تلتقي أبداً ومفاهيم الوثنيّة السائدة، اكتسبوها من جرّاء أسفارهم التجاريّة إلى الشام، أو العراق، واحتكاكهم هناكَ ببعض الرّهبان الّذين كانوا قد زرعوا أنفسَهم في أديرةٍ -مصائد- كان لا بدّ لكلِّ آتٍ إلى الشام، أو راجعٍ منها، أن يمرّ بها لبعض الوقت، يقضيه بضيافتهم في جوٍّ من التعبئة النفسيّة والتثقيف النّصراني، أو من جرّاء قراءتهم الكتب ومطالعتهم لها، ممّا مكّنهم من الاطلاع على بعض مبادئ النّصرانيّة أو اليهوديّة أو على شيء من كليهما..." (٣٦).

نقول:

ما كان يتجرّأ الحريري على مثل هذا الكلام في إثبات دور النّصارى والرّهبان في المجتمع المكّي. لقد خدم السيّد هاشم الحريري من حيث لا يدري. فله الشكر... وبالرّغم من ذلك، لا يستطيع الحريري الاعتمادَ على إثباتات السيّد هاشم، حتّى ولو كانت تخدمه. والسبب سببان:

أوّلاً - إنّ السيّد هاشم لم يعوّدنا على استنتاجات سليمة؛ **ثانياً**

- إنّنا لا نرى مرجعاً موثوقاً لكلام السيّد هاشم، غير مرجع حديث من الدكتور جواد عليّ الذي يستند إليه. يقول: جواد علي: "أثّرتِ الأديرة تأثيرا ً مهمّا ً في تعريف تجّار العرب والأعراب بالنّصرانيّة"، ويضيف السيّد هاشم على هذا القول ما قاله جواد علي: "ولا يسعنا إلا الاعتراف بأنّه كان للرهبان فضلٌ كبير بتحويل أولئك الشباب عن عبادة الأصنام إلى عبادة قوّة أخرى" (٣٦).

ومع هذا التأكيد، يعود السيّد هاشم، ليقول عكسَ ذلك. فهو يقدّم الأدلّة على ضعف النّصرانيّة في مكّة:

١ - لـ "استمرار الوثنيّة في مكّة قويّة منيعة، بدليل استشراس أهلها في الدّفاع عنها بالأرواح والأموال عند ظهور الإسلام" (٧٣)؛

٢ - لـ "بقاء العادات الهمجيّة التي لا يقرّها دين ولا عقل، سائدة ومعمول بها (مثل: الوأد، والسطو، والثأر، والغزو، والقتل، والسبي)" (٧٤)؛

٣ - لأنّ "أهل الأخبار لم يتحدّثوا عن أماكن في مكّة، أو عن قرى في محيطها محسوبة على النّصرانيّة، كما كان الحال بالنسبة لليهود أمثال خَيبر وسواها" (٧٤)؛

٤ - لأنّ "أهل الأخبار لم يتحدّثوا عن أيّ نفوذ سياسي أو اجتماعي مارسه نصارى مكّة، بحيث ظلّ تأثيرهم في الأحداث محدوداً حتّى ظهور الإسلام" (٧٤).

نقول:

نجيب **على الأوّل**: لقد عالج الحريري ذلك في كتاب "نبيّ الرّحمة" وقال ونختصر قوله: إنّ قريشاً اضطهدت النّبيَّ، لا بسبب

الدفاع عن آلهتها ووثنيّتها، كما يقول السيّد هاشم ومعظم المسلمين، ولا بسبب دعوة محمّد إلى دين جديد... بل بسبب دعوته إلى إصلاح مجتمع منهار يتقاتل فيها "الأعزّة" مع "الأذلّة"، والطبقة الثرية المترفة مع الطبقة الفقيرة المعدمة. وأهل قريش، حفظاً لتجارتهم، عُرفوا، كما يصفهم الجاحظ، بميلهم إلى السلم والتسامح الديني والتساهل في قبول الآخرين، وبعدهم عن التعصّب، وتجنّب الحروب والغزوات... لقد كان لهم، في الكعبة نفسها، أصناف من الصور والتماثيل والعبادات والطقوس والكتب المقدّسة... فهم، إذاً، لم يضطهدوا محمّداً، بسبب دينٍ جديدٍ، بل بسبب إصلاح وضع إجتماعيّ فاسد ناتجٍ عن مجتمع تجاريّ مفكّك، يأكل قويُّه ضعيفَه.

ونجيب **على الثاني**: إنّ هذه العادات القبليّة والبدوية كانت قبل النّصرانيّة وبقيت بعدها، كما كانت قبل الإسلام واستمرّت بعده، وحتّى اليوم. ألعادات الاجتماعيّة البدائيّة البدويّة لا علاقة لها، ببقائها أو زوالها، بالدّين، لا بالنّصرانيّة ولا بالإسلام. وبقاؤها في مكّة لا يعني عدم وجود النّصرانيّة، كما أن بقاءها اليوم في مكّة وفي حواضر العالم الإسلامي لا يعني أنّ الإسلام هو الذي يحفظها ويحافظ عليها.

وعن **الحجّةالثالثة** نسأل: لماذا يريد السيّد هاشم أن يتعيّنَ أمكنةً خاصّة بالنّصارى في مكّة؟! فهل هو يعرف أمكنةً تعيّنَ فيها، في مكّة، لا في خيبر وأطراف يثرب، وجودٌ وثني؟ أو يهودي؟ أو مجوسي؟ أو رومي؟ أو حبشي؟ أو قبطي؟.. وأكثر من ذلك: ماذا يقول السيّد هاشم عن "غار حراء"! أهو مكان وثني أم حنيفيّ ونصرانيّ؟! وماذا يقول عن "بيت الكعبة" نفسها، وعن "الحجر الأسود" نفسه؟!! على السيّد هاشم أن يعيد قراءة "قسّ ونبيّ" في طبعاته الجديدة، في الصفحات ١٤٥-١٤٧.

وعن **الحجّة الرّابعة** نجيب: إنّ السيّد هاشم نفسَه عدّد شخصيّات نصرانيّة، أو حنيفيّة بارزة، في الصفحتَين ٤٨ و٤٩ من كتابه. وهم، على بعدهم عنّا، بلغوا معه ١٩ شخصيّة مرموقة معروفة ذات نفوذ وسيادة. وهذا ليس بالقليل.. ومع هذا، نريد أن نشير إلى دور عثمان بن الحُوَيرِث، إبن عمّ السيّدة خديجة والقسّ ورقة، وقد قيل عنه أنّه عزم على انتزاع الملك في مكّة، وقد طلب مساعدة قيصر الرّوم على ذلك. وعثمان هذا كان، بحسب شهادات أهل الأخبار، نصرانيّاً، عاش نصرانيّاً، ومات نصرانيّاً، ولقّب بالـ"بطريك"، ولم يكن له عقب... وليس على السيّد هاشم أن ينسى قصّة "قُصَيّ"، الّذي ساعدته قبيلةُ بني عذرة النّصرانيّة في تملّكه مكّة، وهو الجدّ الخامس للنّبيّ... كما ليس له عذرٌ في جهله آية النّحل (١٠٣/١٦) حيث بعض النّصارى كان يُملي على النّبيّ بعض الآيات...

ولكن، ومع هذا كلّه، يستنتج السيّد هاشم ويؤكّد، اعتباطاً، بـ"أنّه كان في مكّة وجود نصرانيّ هشّ مبعثر محصور" (٧٤). ويتساءل عن سبب هذا "الوجود الهشّ" فيردّه إلى ما "عرف عن الديانة النّصرانيّة من تعقيدات فلسفيّة نظريّة جدَليّة يصعب على البدوي فهمها أو استيعابها" (٧٤).

ونجيب السيّد هاشم: ألإسلامُ أيضاً، بقوله بالإنزال والتنزيل، وبأنّ القرآن هو كلام الله الأزلي، وبأنّ النّبوّة خُتمت بمحمّد، وبأنّ محمّداً ملأ الدنيا عجائب، وبأنّ الله موصوف معروف بما وصفه به القرآن وعرّف عنه، وبأنّ الجهادَ واجبٌ مقدّس، وبأنّ قتل المرتدّ، وقطع يد السارق، ورجم الزاني والزانية، وجلد عاقر الخمرة، والزّواج ممّا ملكت اليمين، والمتعة، والأربعة، والطلاق من طرف واحد... وغيرها وغيرها هي أيضاً، معقّدة، وصعبة، ولا يستوعبها عقلٌ، بدويّاً كان أم متحضّراً.

إنّما الجواب الصحيح على مقولة السيّد هاشم في "الوجود النّصراني الهشّ" هو من السيّد هاشم نفسه حيث يقول في مكان آخر، ويؤكّد بأنّ النّصارى في الجزيرة العربيّة، كانوا في عزّهم وأوج مجدهم، و"رهبانهم يُعَسْكِرُونَ عَلَى طُرُقِ مُواصَلاتِها"، و"إنّ الصراعَ الذي يغطّي منطقة الشرق الأوسط برمّته يومذاك كان صراعاً طوائفيّاً مسيحيّاً محموماً" (٨٠).

فهل يريد الحريري من السيّد هاشم أكثر ممّا سمع منه؟! ليت السيّد هاشم يتجنّب المتناقضات قليلاً لنعرف كيف نقرأ كتابَه بمتعةٍ قليلة. وليتَه يقرأ كتاب سماحة مفتي الجمهوريّة اللّبنانيّة الشيخ حسن خالد الّذي يؤكّد قائلاً: "ثبت أنّه كان في مكّة العديد من العبيد والأرقّاء، وأنّ عامّتهم كانوا على النّصرانيّة، وأنّهم كانوا ذوي كفاءة وبراعة في العلم والمعرفة والصناعة، وأنّهم كانوا أرباب خبرةٍ عريضةٍ في الحياة، ومداخلها ومخارجها، وأنّ أسيادهم كانوا يعتمدون عليهم، إلى حدّ بعيد، في تصريف شؤونهم المعاشيّة"[21]. وفي مكان آخر يقول: "يلفت النّظر إلى أنّ أهلَ الكتاب هؤلاء كانوا في مكّة في وفرة عدديّة"[22]. ثمّ يقول: "ولقد انتشرت النّصرانيّة في بعض القبائل العربيّة العريقة، فكانت في ربيعة، وغسّان، وقسم من قضاعة، وطيّ، ومذحج، وبهراء، وتنّوخ، ولخم... وقريش... وكما دخل في النّصرانيّة كثيرٌ من ملوك الغساسنة. فقد أشار أهل الأخبار إلى تنصّر بعض ملوك الحيرة، ونسبوا إليهم بناء الأديرة"[23].

21 الشيخ حسن خالد، **موقف الإسلام من الوثنية واليهوديّة والنّصرانيّة**، سلسلة "الدراسات الإسلاميّة"، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦، قياس (١٧*٢٤ سم)؛ ٨١٢ صفحة. أنظر صفحة ٥٣٥.

22 ألمرجع المذكور آنفاً، ص ٥٥١؛ أنظر أيضاً: صفحة ٥١٥ و٥٥٣ و٥١٦...

23 ألمرجع نفسه، ص ٥١٤.

ونختم بما جاء به سماحة المفتي. قال: "مهما يكن من أمر فقد كان للنّصارى وللنصرانيّة وجودٌ في مكّة المكرّمة، قبل مبعث الرّسول وبعده... وكان للنّبيّ بهما لقاء. وكان له معهما احتكاك قبل البعثة... وكان للرسول والمسلمين صلة ولقاءات بعد البعثة بالنّصارى... وكانت مكّة بالإجمال مسرحاً شهد حوار المشركين مع النّصارى في عقائدهم، وحوار المسلمين مع النّصارى في عقائدهم أيضاً..."[24]. هذا كلام جيّد.

***

24 ألمرجع نفسه، ص ٥٥٥-٥٥٦.

خامساً - ألحنيفيّة في مكّة

لا يقلّ موضوع الحنيفيّة في مكّة أهمّيّةً عن موضوع النّصرانيّة. بل هو نفسه أهمّيّةً وهويّةً. ويهمّ السيّد هاشم أن يقول، في موضوع الحنيفيّة هذا، أنّ القسّ ورقة كان حنيفيّاً لا نصرانيّاً؛ لأنّ الحنيفيّة غير النّصرانيّة. فيما الحريري يصرّ على أنّ الحنيفيّة هي النّصرانيّة. ويدلّ السيّد هاشم على قوله بأنّ الأحناف لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، بدليل ما جاء في القرآن عن إبراهيم : "ما كان إبراهيم يهوديّاً -ولا نصرانيّاً- ولكن كان حنيفاً مسلماً"[25].

ولكن، وبعد قليلٍ من قوله هذا، يعود ليجمع بين الحنيفيّة والنّصرانيّة. يقول: "مهما يكن من أمر فالأرجح أنّ المبادئ الحنيفيّة التي فهمها أو طبّقها حنفاء مكّة، على قلّتهم، كانت مزيجا من بعض التعاليم النّصرانيّة التي عرفها الحنفاء من اتّصالهم بالنّصارى، فأخذوا عنها طرحَ عبادة الأصنام والوثنيّة، ومن بعض التعاليم اليهوديّة التي أخذوا عنها وحدانيّة الله وعدم الشرك به" (ص ٤٣).

نريد أن نسأل السيّد هاشم: وماذا بقي للحنيفيّة إذاً؟ كيف كانت الحنيفيّة، قبل اتّصالها باليهوديّة والنّصرانيّة؟ وما كانت عقيدتها لو لم تأخذ عن النّصرانيّة ما أخذته من طرح عبادة الأصنام، وعن اليهوديّة ما أخذته من وحدانيّة الله؟... فالقرآن نفسه يشهد على أنّ إبراهيم كان، قبل اليهوديّة والنّصرانيّة، حنيفاً مسلماً. فما بال السيّد هاشم يضع القرآن وراء ظهره؟!

---

25 سورة آل عمران٦٧/٣.

ثم ماذا يريد الحريري أكثر من القول بأنّ "الحنيفيّة كانت **مزيجاً** من التعاليم النّصرانيّة والتعاليم اليهوديّة"؟ ولو كان المنطقُ، عند السيّد هاشم، سليماً، لاستنتج بأنّ الحنيفيّة، في ما أخذت عن اليهوديّة والنّصرانيّة، هي "اليهوديّة-المتنصّرة"، أي باصطلاحٍ قرآني: "النّصرانيّة". لأنّ النّصارى هم أولئك اليهود الذين اعتنقوا النّصرانيّة، وحافظوا على التوراة والتعاليم الموسويّة، ولم يعترفوا ببنوّة المسيح لله، ولا بصلبه، ولا بكونه فادياً ومخلِّصاً كما هم عليه المسيحيّون.

وفيما السيّد هاشم يدافع عن استقلاليّة كلٍّ من النّصرانيّة والحنيفيّة، يقع في "المزج" بينهما. فهو يسمّي شخصيّات عديدة، تارة هي، بنظره، نصرانيّة، وطوراً، حنيفيّة. يقول: "من بين الأحناف (وكان بإمكانه أن يقول: من بين النّصارى) أسماء وشخصيات معروفة:

«١. عبدالله بن جحش (إبن عمّة النّبيّ)، بدأ حنيفيّاً، ثمّ نصرانيّاً، ثم أسلم، ثم عاد إلى النّصرانيّة في الحبشة ومات عليها"؛

«٢، ٣. عدي بن زياد العبادي ورباب بن رئاب الأسدي، ماتا على النّصرانيّة (والسيّد هاشم يقول في مطلع كلامه بأنّهما "من بين الأحناف")!!!

«٤، ٥. ألحميري الأبرصي وزهير بن أبي سلمى، مشكوك بأمرهما (يريد السيّد هاشم أن يقول: هما إمّا على النّصرانيّة وإمّا على الحنيفيّة)؛

«٦. قسّ بن ساعدة الأيادي، اختُلِفَ فيه: فمنهم من جعله نصرانيّاً.. ومنهم مَن أماته على الحنيفيّة" (والقسوسيّة وظيفة نصرانيّة)؛

«٧. زيد بن عمر بن نَفيل، بدأ حنيفيّاً متشدِّداً، ومات لا على النّصرانيّة ولا على اليهوديّة!!!

«٨. عثمان بن الحويرث، مات نصرانيّاً على مذهب الرّوم (فيما هو، كما يقول السيّد هاشم في مطلع كلامه، "من بين الأحناف» (٤٨-٥٠).

أمّا القس ورقة بن نوفل، بطل الرواية، فالسيّد هاشم لا يقطع بديانته، أهي نصرانيّة أم حنيفيّة أم يهوديّة أم!!! وهو، أي القسّ ورقة، بالنسبة إلى السيّد هاشم، "لم يكن شخصيّة مؤثّرة... إنّ ورقة كان شخصيّة إنطوائيّة هامشيّة...لم يذكره أحدٌ من أهل الأخبار والمستشرقين إلاّ بكلماتٍ قليلةٍ عابرة... فيما كتبوا عن رفاقه الأحناف... صفحات وصفحات، وفي أدقّ التفاصيل" (٥٤).

منطق غريب حقّاً. إنّه منطق ردّات فعل على غير هدًى. يتجنّى على التّاريخ. وليس على السيّد هاشم إلاّ أن يعود بنفسه، فهو راشدٌ وقارئٌ بامتياز، إلى سيرة ابن هشام وما فيها من أخبار عن القسّ ورقة، ومهمّته، ودوره، في حياة محمّد، وزواجه، وتدريبه، وإعلاناته عمّا سيكون عليه، واسترشاد خديجة بآرائه، ومدائح النّبيّ له، ورؤيته إيّاه في الجنّة... إلى ما هنالك ممّا جمعه أبو موسى في كتاب "قسّ ونبيّ".

وبات معروفاً لدى القاصي والداني، لماذا يُبعِدُ السيّد هاشم القسَّ ورقة عن مسرح الأحداث، عن حياة محمّد. ولماذا يُخفيه بعيداً عن الأنظار. كلّ ذلك في سبيل إظهار النّبيّ ودوره واستقلاله عن معلِّمه ومدرّبه وناصره.

ومع جهل السيّد هاشم للقسّ ورقة، واعتباره إيّاه "شخصيّة هامشيّة"، نراه يعود عن جهله هذا، فيعرف، ويؤكّد ما كان يحدث للقسّ ورقة من تقلّبات نفسانيّة وروحانيّة. فيقول عنه: "بدأ ورقة

بن نوفل حنيفيّاً، وانتهى نصرانيّاً... لقد كانت الحنيفيّة جسْراً عَبرَ (القسّ) منها إلى النّصرانيّة" (٥٥).

وهل يريد الحريري غير هذه النتيجة التي ظلّ السيّد هاشم يدور حولها!!!

ويتنبّه السيّد هاشم إلى ما قال، فيعود يفصل فصلاً تامّاً بين الحنيفيّة والنّصرانيّة. يقول: "إنّ جميع المصادر التاريخيّة التي تحدّثت عن الحنيفيّة لم تخلط بينها وبين النّصرانيّة، كما لم تعتبر أنّ المؤمنين بالحنيفيّة يمكن اعتبارهم نصارى" (٧٨).

هذا "المزيج" أكّده السيّد هاشم أيضاً فيما بين الحنيفيّة والإسلام، يقول: "إنّ أكثر الذين عُرفوا بهذه الخلقيّة من الزهد، والانقطاع عن الناس، والتأمّل، وسواها، هم الحنفاء. وممارسة النّبيّ لهذه المسلكيّة كانت، على الأغلب، بتأثير الحنيفيّة عليه، التي كانت **تشغل أفكاره، وتثير إعجابَه**" (١٤٢)[26].

ونردّد قولَنا: لا يريد الحريري أكثر من ذلك أو غير ذلك. لقد أكّد له السيّد هاشم ما كتبه تحت عنوان "الحنيفيّة والنّصرانيّة والإسلام"... ثلاثة أسماء لمسمّى واحد.

***

26 أنظر ص ١٤٧ حيث يؤكّد السيّد هاشم تلاقي الحنيفيّة والإسلام في أمور دينيّة كثيرة، وأنّ الإسلام اعتبر نفسه دينَ إبراهيم الحنيف.

سادساً - الإبيونيّة في مكّة

عندما يريد الباحث الكلام على قضايا دينيّة أو فكريّة غابرة، طُمِسَتْ في خفايا التاريخ، فإنهّ يستدلّ عليها، لا من حجج وبراهين حسّيّة دامغة، بل من إشارات، من هنا وهناك، تأتي في مستوى الاستدلال والتخمين.

هذه القاعدة تُطبَّق على هويّة نصارى مكّة: على أي معتقد كانوا؟ إلى أيّة شيعة انتموا؟ من أين أتوا؟ مَن يمثّلهم؟ ما هي عشائرهم وقبائلهم؟ مع مَن كان لهم علائق؟ أين نجد لهم آثاراً وعمراناً؟ هل انقرضوا من التاريخ، أم تحوّلوا إلى جماعات أخرى؟... وغير ذلك من أسئلة يجب أن نطرحها لمعرفة شيءٍ عن نصارى مكّة وهويّتهم الدينيّة.

وإنْ لم يكن أحدٌ من المؤرّخين المسلمين الأوائل تناول هذا الموضوع المهمّ. فإنّنا، اليوم، لا يسعنا أن نتجاهل ذلك. فطرحُ السؤال واجب. والجواب عليه واجب. وليتفضّل كلّ باحث ويخوض غمارَه. ويوم تتأكّد لنا هويّة هؤلاء النّصارى ومعتقداتهم، ونقيم المقاربة بينها وبين تعاليم القرآن، نكون حصلنا على نتيجة علميّة مثيرة، قد تقلب وجهَ التّاريخ الديني في هذا الشرق. وها قد بدأ مسلمون مؤمنون يكشفون عمّا في بطون الكتب والأحداث.

أبو موسى الحريري، مع قلّة من هؤلاء الباحثين، أقلقه السؤال عن هويّة نصارى مكّة، فحاول الجواب؛ وهو يصرّ على المحاولة الصعبة؛ وتوصّل إلى القول: بأنّ في مكّة نصارى، موزّعين على شيع عديدة، أشار القرآن إليهم، كما أشارت إليهم

كتب الأدب والتاريخ. تناولهم الحريري في كتابَيه: قسّ ونبيّ، ونبيّ الرّحمة وقرآن المسلمين. وتوقّف طويلاً على أكبر شيعهم، وهي الشيعة "الإبيونيّة". وكذلك مسلمون عديدون قاموا في البحث عن ذلك؛ فكان منهم الحسن بن طلال[27]، ود. سلوى بالحاج صالح-العايب[28]؛ ومسيحيّون أمثال الأب لويس شيخو[29]، والأب جورج قنواتي[30]، وأدمون ربّاط[31]...

أمّا السيّد شريف محمّد هاشم فلم يعرف عن الإبيونيّة شيئاً، لا إسمها ولا تعاليمها، ولا عمّا إذا كانت موجودة... وما عرفه عنها أخذه عن الحريري. وفي همّه تصحيح معلومات الحريري عنها. يقول مثلاً: إنّ هذه "البدعة الإبيونيّة مطرودة من مراكز القرار النّصرانيّة المحيطة بمكّة من كلّ جانب" (٨٠)؛ ثمّ يتّهم "الحريري، ومَن هم وراءه، بتدبير بدعة كيفما كان" (٨١).

هذا جهل مطبق. وفوق جهله، يبدي السيّد هاشم حكمه فيقول بوجود "خلاف جوهري بين الإبيونيّة والإسلام"[32]. ومن جهله أيضاً، يقول: "والقليل المعروف عن هذه الجماعة يؤكّد أنّها حركة طوباويّة صرفة. قالت بنظريّات فيها من الحلم والخيال أكثر ممّا فيها من الواقعيّة" (٩٤)؛ ويقول أيضاً: إنّ الإبيونيّة "تمثّل أشدّ حالات التطرّف الطوباوي الرّوحاني في المسيحيّة" (٩٤)، وذلك

---

27 ألمسيحيّة في العالم العربي، ألمعهد الملكي للدراسات الدينيّة، عمّان، ١٩٩٥، ١٣٤ ص.

28 ألمسيحيّة العربيّة وتطوّراتها، من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧، ٢٤٠ صفحة... تونس، ١٩٨٨.

29 ألنصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة، بيروت، ١٩١٢.

30 ألمسيحيّة والحضارة العربيّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات ، بيروت، بدون تاريخ.

31 Les Chrétiens dans l'Islam des premiers temps; t.I et II; Beyrouth 1980 et 1981

32 هذا عنوان فصل تامّ، صفحة ٩٢-٩٧.

بالمقارنة مع الإسلام الذي "امتاز بواقعيّته ومساواته المنصفة بين الرّوح والمادّة" (ص٩٥).

***

سابعاً ـ ألمسيحيّة في الميزان

بمناسبة الردّ على أبو موسى الحريري، راح السيّد هاشم، في ٢٨١ صفحة من كتابه (ص ١٥٩ـ٤٤٠)، يستعرض المسيحيّة، من بدايتها؛ ويعالجُ، على نور القرآن والإسلام، عقائدها، وكتبَها، وسلوك رجالاتها، وخلقيّاتها...

ابتدأ بالله، والثالوث، والمسيح، والإنجيل، والوحي، والكنيسة، وأسرارها، وممارساتها... وكان له مآخذ جمّة على الحياة الرّهبانيّة، والزواج، والطلاق، والإرث، والأطعمة، والأشربة، والمحلّلات والمحرّمات جميعها...

وبكلمة، وبحسب قوله، كان له "جولةٌ في هيكل الإيمان المسيحيّ" (١٦١). غير أنّ "جولَتَنا" نحن فسوف نرجئ الكلام عليها في جملة كتب من كتب سلسلة "الحقيقة الصعبة".

ألفصل الثانـي

ميزان السيد أحمد عمران

أوّلاً - عرض كلمات المادحين

ثانياً - عمران يختصر الحريري ويقدّمه

ثالثاً - ورقة بين الحريري وعمران

رابعاً - ألقسّ والنبيّ في المعترك

خامساً - إنجيل العبرانيّين وقراءته العربيّة

سادساً - ألنصارى المسلمون في مكّة

سابعاً - حقّ القسّ على النّبيّ

ثامناً - نجاح وفشل

مقدّمة الفصل

كتب الإستاذ أحمد عمران، ألنقيب السابق للمحامين في طرطوس، كتاباً، بعنوان "**الحقيقة الصعبة في الميزان**"، يردّ فيه على كتاب " قسّ ونبيّ" لأبي موسى الحريري. وظهر كتابه في "مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات"، بيروت ، لبنان، طبعة ثانية سنة ١٩٩٥؛ ٤٤٦ صفحة، (١٧*٢٤)، تجليد فنّي.

امتدح الكاتبَ والكتابَ ثمانيةُ "علماء":

" راجع آياته القرآنيّة الشيخ أحمد حمزه عبد الباقي

والدكتورة أمينة أحمد يحيى

وراجع لغته ودقّق فيه الدكتور فائز يوسف محمّد

وقدّم له السادة البحاثة الكبير حامد حسن

والعلاّمة المجاهد الشيخ سعيد شعبان

والشيخ أحمد حمزة

والدكتورة أمينة يحيى

والإستاذ محمّد عبد الستّار السيّد

وعلّق عليـــه الدكتـــور فتحي يكن

والدكتور عبد اللطيف اليونس"

ونحن، بدورنا، نقدر للإستاذ أحمد عمران سهره الطويل على تفنيد كتاب أبي موسى والردّ عليه فقرة فقرة، ومعاناته الجسيمة في تفسير الآيات تفسيرا يختلف، بالطبع، عن تفاسير أبي موسى،

وإخلاصه الكبير في إيمانه وتديّنه، ومحافظته على عقيدته، ودفاعه المستميت عن الله، وحدود الله، وكتاب الله، وجبريل، والصحابة، وأهل البيت النبويّ.

هذا الاندفاع المخلص الذي يكنّه الإستاذ عمران لدينه ومعتقده، ظهر في أسلوبه ومنطقه وحججه ومراجعه وتفاسيره والتشدّد على كلّ من حاول ويحاول النيل من الإسلام أو أيّ قيمة من قيم الإسلام.

انّه، بدون شكّ، الإيمان والإخلاص والصدق وراء ذلك كلّه، بالإضافة إلى ما يعود إلى بعضِ التعصّب والغيرة والحماس والجهاد والرغبة في تصنيف النّاس وتكفيرهم وأخذ مواقف منهم.

ومع هذا، فإنْ نحاول الردّ على الردّ - مع صعوبة ذلك على القارئ- فلكي نوضح للإستاذ عمران وسواه بعض الأمور، ونضع النقاط على الحروف، ونبيّن له ما لم يكن بوسعه، لوحده، أن يستبينه.

وسنبيّن للإستاذ أحمد عمران ما بيّنّاه للسيّد شريف محمّد هاشم الذي، هو أيضاً، حمل الميزان في كتابه "**الإسلام والمسيحيّة في الميزان**"، وأجبرنا على حمل الميزان. سنحمل الميزان حتى يكون كلّ شيء، لدى القارئ، في قسطاس مستقيم. خاصّة لأنّ القرآن الكريم يدعونا إليه في قوله: "وَزِنُوا بالقسطاس المستقيم"[33]؛ وفي قوله: "وأقيموا الوزنَ بالقسط. ولا تُخسِروا الميزان"[34]؛ وفي قوله: "وأوفوا الكيلَ والميزان بالقسط"[35].

ومع هذا، لن يغلبَ دفاعُنا عن الحقّ الذي في كفّة ميزاننا

33 سورة الإسراء ٣٥/١٧؛ ألشعراء ١٨٢/٢٦.

34 سورة الرّحمن ٩/٥٥.

35 سورة الأنعام ١٥٢/٦؛ أنظر أيضاً: ٨٥/٧؛ ٨٤/١١-٨٥؛ ٨/٥٥.

محبّتَنا للإستاذ عمران الذي يودّ وجودَ حقّه في كفّة ميزانه. فكلانا مخلص في موقفه وعمله. وهذا ما يشجّعنا على الإقدام، ولو عبر مخاطر، ليس أقلّها ما نوّه به أحد المدّاحين للإستاذ عمران ولكتابه، ألا وهو التصفية الجسديّة.

ولن نتوقّف، في ردّنا على الإستاذ عمران، على كلّ شيء؛ إنّما التوضيح هو المقصود. ولن نعيد ما جاء في كتاب "قسّ ونبيّ" وغيره من كتب سلسلة "الحقيقة الصعبة"، فلسنا في حاجة الى الترداد والتكرار، فالقارئ قد يتحمّل جزءا من المسؤوليّة، فيعود بنفسه الى الكتب المذكورة.

غايتنا من هذا الردّ، إذاً، التوضيح. ونهجنا تتبّع النقيب عمران صفحة صفحة، ضمن مقاطع صغيرة، مرقّمة، ومعنونة. وعنوان كتابنا هو نفسه "الميزان" الذي حمله كلٌّ من السيّد هاشم والنقيب عمران. إنّما هو، بالنسبة الى أبي موسى والى القارئ "صعب" و"الحقيقة صعبة" أيضا؛ لأنّه لا حقّ مطلق في الدنيا بيد أحد. وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في قوله: "ونضع الموازين القسطَ ليوم القيامة"[36].

***

36 سورة الأنبياء ٤٧/٢١.

أوّلا - عرض كلمات المادحين

١ - "كلمة قيّمة" للشيخ شعبان

في "كلمة قيّمة" للعلاّمة المجاهد الشيخ سعيد شعبان إشارة الى "الهجمة البربريّة الشرسة" التي يقوم بها "أعداء الإسلام" بالأباطيل والأكاذيب، الذين "حاولوا تصوير الإسلام على أنّه بدعة نصرانيّة"، "أو انّه ترجمة للإنجيل باللغة العربيّة".

وفي "الكلمة القيّمة"أيضا إشارة الى تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وحسدهم للمسلمين... هؤلاء، ومنهم أبو موسى الحريري، الذي اختار لنفسه أن يكون أحد أعداء الإسلام وأحد أولياء الشيطان.. وراءه مؤسّسات تبشيريّة وإلحاديّة تحاول أن تطفئ نور الله" (ص ٤).

لهؤلاء يوجّه الشيخ سعيد شعبان تبليغ القرآن: "موتوا بغيظكم> فمحمّد هو خاتم النبيّين باعتبار كبار النصارى الذين أسلموا"(ص ٤)[37].

٢ - " تقديم" الشيخ والدكتورة

للشيخ أحمد حمزة عبد الباقي، مدرّس مادّة التربية الإسلاميّة في ثانويات مدينة طرطوس ، والدكتورة أمينة أحمد يحيى، مدرّسة مادّة التربية الإسلاميّة في ثانويات مدينة طرطوس أيضا، كلمة في " تقديم" كتاب المحامي أحمد عمران، جاء فيها :

"أمّا بعد فقد اطّلعنا على كتاب "الحقيقة الصعبة" لمؤلّفه

---

37 **ملاحظة** : نرجئ تقويمنا لكلمة الشيخ شعبان وللكلمات التالية الى ما بعد استعراض كلمات المدّاحين، لأنّها متشابهة في الدفاع والهجوم والمدح والذم.

الإستاذ المحامي أحمد عمران فراقنا مطلعه، وشغفنا به الى آخره، وامتلأت قلوبنا وعقولنا إعجاباً وهو يردّ على كتاب "قسّ ونبيّ" المملوء بالمهاترات والمتناقضات والتزييف وتحريف الكلم عن موضعه" (ص ٦).

٣ ـ " الكتاب والمؤلّف"لمحمّد عبد الستّار

للسيّد محمّد عبد الستّار السيّد، مدير الأوقاف الإسلاميّة في محافظة طرطوس، كلمة في "الكتاب والمؤلّف". فيها شتائم لـ"أعداء الإسلام المعاندين الحاقدين"، أكثر ممّا فيها إظهار لمقدرة الإستاذ المحامي أحمد عمران... فعنوان كلمة مدير الأوقاف غير مضمونها.

جاء تحت هذا العنوان : " يتصدّى الأعداء والمعاندون والحاقدون، وما أكثرهم، للنيل من الإسلام ومحاولة هدمه.. إنّه الحقد الأبدي لليهود على الأمّة العربيّة وروحها الإسلام"... حقد كان "من بني إسرائيل، هذا الشعب الخبيث، الى بني إسماعيل العرب"(ص ٨).

هذا "ما قام به اليهود، من فجر الإسلام الأوّل وحتى يومنا هذا، من الكيد للإسلام بكل الوسائل"(ص ٨-٩). ويأتي، بعد اليهود، ألمستشرقون الذين لم يَسلموا من الهوى وسوء النيّة. ومنذ الحملات الصليبيّة ابتدأت صورة الإسلام عندهم ممسوخة وناقصة.. وهذا ممّا سمّم العقل الأوروبيّ برمّته (ص٩).

والنتيجة من هذه المقدّمة الشاتمة "إنّنا نخبركم بأنّ أبا موسى الحريري، هذا الأفّاك المشاق، الذي دأب على اللبس والغش وقلب الحقائق.. ليس عربيّا، ولا مسيحيّا، وإنّما مأجورا صهيونيّا، يحاول الإفساد، ولبس الحقّ بالباطل، وإيقاظ الفتنة من رقادها"(ص١٠).

٤ - "ألمقدّمة" للإستاذ حامد حسن

هذه الكلمة الرابعة هي بقلم "الباحث الكبير، والشاعر الملهم، الإستاذ حامد حسن"، بعنوان : "أبو موسى الحريري رجل المواراة والممارة". فيها يوازي الشاعر الملهم، بادئ ذي بدء، بين ما جرّت عصور المسيحيّة من "المآسي والأوجاع"، وما جلبته العصور الإسلاميّة من "السعادة والطمأنينة المادّية والروحيّة" (ص١٢). إنّه التوازن المادي والروحي في رسالة محمّد، والخلل والجنوح في رسالة الناصري.

لنترك الماضي، يقول الباحث الكبير، ونستعرض الحاضر. في الحاضر، "هناك مجموعة من الناس تتوارى وراء أسماء مستعارة تُصدر كتبا تحت شعار "الحقيقة الصعبة"؛ والحقيقة الصعبة كتبٌ تتوالى تباعا وسراعا، وترمي الى زرع الأحقاد، وإيقاظ الفتن، ونشر القطيعة، والتحريض على الوقيعة، بين المسيحيّة والإسلام.. لقد أوغلت هذه المجموعة في الغرابة والتغريب، والعمالة والتخريب، باسم الدين" (ص ١٣).

إنّها تستخدم الدين وسيلة لغاية يتنكّرها الوجدان والإنسان. بلغ الإستهتار، عند هذه الجماعة، بالقيم والأعراف، والابتعاد عن الاعتدال والإنصاف، أنّ رئيسها، المتكلّم باسمها، والحامل وزرها وإثمها، المتنكّر باسم أبي موسى الحريري، ينكر على محمّد (ص) رسالته، ويجأر بهذا النكران، ويمعن في هذا البهتان...ولم يحترم عقيدة مليار من المسلمين..."(ص١٣).

ثمّ ينتقل الشاعر الباحث الى لفت "الأنظار الى أنّ اليهوديّة-المسيحيّة والشهوديّة-اليهوهيّة هما إسمان مختلفان في اللفظ، متّفقان في الغاية والعمل ضد المسيحيّة والإسلام لصالح الصهيونيّة العالميّة"(ص١٤).

بعد ذلك ينتقل الى الكلام على هويّة المستشرقين والباحثين، فيقول :"كلّ ثقيف حصيف في البلاد العربيّة والإسلاميّة يعلم من هم المستشرقون.. كما يدرك الجميع من هم المبشرون!!.. وقد كان أبرزهم في هذا القرن الأب لامنس البلجيكي، وبولس شيخو اليسوعي الحلبي[38]، وماسينيون الفرنسي، وريموند مارتيني الإيطالي" (ص ١٤-١٥). "وها هم اليوم يتابعون طريقهم، وينشرون تحت شعار "الحقيقة الصعبة" أفكارهم المسمومة، ويوالون مكائدهم ودسائسهم على العروبة والإسلام. وقد خندقوا في لبنان.. الذي حوّلوه الى مقرّ وممرّ للدسائس والعمالة" (ص١٥).

من بين هؤلاء المكيدين للإسلام أبو موسى الحريري ألذي يقوم منهجه على "تجريد محمّد من الوحي والنبوّة، وتجريد القرآن من الوحي الإلهي".

"ويجهل أبو موسى أنّ الجزيرة العربيّة، على اتّساعها، لم يكن فيها كنيسة، إلاّ رهبانيّة في نجران. فما على أبي موسى إلاّ أن يفتعل تاريخا"(ص١٥). والتاريخ الذي افتعله أبو موسى يقوم على أنّه أوجد لمحمّد ألقسّ ورقة بن نوفل، وللقرآن ألإنجيل العبراني، وللإسلام ألنصرانيّة. "ولكنّ محمّدا، في نظر الباحث الكبير، جاء بقرآن عربي، لا عبراني ، نزل به الروح الأمين مباشرة، لا بالترجمة"(ص ١٦).

هذه الحقائق أجمع عليها الباحثون المؤرّخون. ولا يستطيع أبو موسى وشركته لها دفعا، وإن حاولوا الإنكار (ص١٧).

ولكي يرفض الباحث الكبير مقولة أبي موسى في انتماء محمّد الى الإبيونيّين، قال : "كلّ حَمَلَةِ الرسالات السماويّة كانوا

38 والأصح لويس، لا بولس.

إبيونيين فقراء.. وكلّ الرسالات جاءت لإنصاف الإبيونيين" (ص ١٦-١٧).

والبرهان الذي نسوقه على ضلال الحريري ما نجده عند "موريس بوكاي، طبيب فرنسي معاصر، الباحث النزيه" (ص١٧). وعند غوتيه الفيلسوف الألماني الشهير (ص١٨). وعند أرنولد توينبي الفيلسوف المؤرّخ (ص١٨). وعند كارليل الذي ألحق العار بمن يصغي الى ما يقال عن الإسلام، ولا يبحث بنفسه ما هو الإسلام (ص١٨-١٩). وعند اللورد هولي وغاندي وغيرهم...

كلّهم أجمعوا على ما يعتبره أبو موسى كفرا.

بالرغم من كلّ هذه الشهادات "يأتي هذا الأبو موسى ولفيفه من بقايا اليهوديّة-المسيحيّة، فيشرعون الأقلام ليغتالوا دعوة ودعاة الإسلام، ويتّخذوا من الدين ومن رسالات السماء وممّا يوحى إلى الأنبياء وسيلة لنشر الفتن على الأرض"(ص ١٩).

فأبو موسى، بعمله هذا، "لا يجني من وراء كلّ ذلك إلاّ المقت والإستهجان والازدراء والشفقة"(ص١٩).

وبعد كلّ هذا، "نسأل أبا موسى الحريري وشركته اليهوديّة-المسيحيّة-اليهوهيّة التي تمتهن العمالة للصهيونيّة، وتذيع البغضاء، وتكرّس الكراهيّة بين الأديان، وخاصّة المسيحيّة والإسلام، هل هو ولفيفه مسيحيّون؟" (ص ٢٢).

يبدو، في نظر الباحث الكبير، انّ التفاهم الذي حدث بين المسيحيين والمسلمين "أقضّ مضجع دعاة التفرقة، وأوجع أرواحهم، وفي طليعتهم أبو موسى الحريري وشركته اليهوديّة-المسيحيّة اليهوهيّة، فأحدّوا أظفارهم، وانقضّوا على الإسلام هدما وتحطيما وتدميرا"(ص ٢٢).

وأبو موسى، في موقفه هذا، لا يبعد عن "زميله مصطفى جحا الذي لقي جزاءه عاجلا في الشارع العام، وفي وضح النهار"(ص٢٢). إلاّ أنّ الشاعر الملهم يستدرك ويقول : "لسنا مع التصفيات الجسديّة، ونشجب إغتيال الأشخاص، ولكنّنا لسنا مع اغتيال الدين"(ص٢٢).

إلاّ أنّ الله "يسّر للحقيقة داعما وناصرا وللضلالة راغما وداحرا، وهو الإستاذ الأديب الباحث المحامي أحمد عمران.. يتعقّب أبا موسى الحريري، ويوقفه أمام الحقيقة عاريا، ويدلّل على بهلوانيّاته، وتهالك أسلوبه، وتهافت آرائه، وعقم أفكاره" (ص٢٣).

وفي رأي "الباحث الكبير والشاعر الملهم الإستاذ حامد حسن": "على مـن أراد أن يبلغ منزلة في علوم الكائنات أن لا يصدق البتة شيئا من أقوال أولئك السفهاء. فإنّها نتائج جيل كفر، وعصر جحود، وإلحاد. وهي دليل على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح. ولعلّ العالم لم يـر قط رأيا أكفر من هذا وألأم؟!

"ماذا؟! أقوال مخجلة سخيفة، مزاعم سيّئة، أهلها جديرون بالرثاء والرحمة. أقوال سفهاء"(ص١٨).

هذا مختصر لاثنتي عشرة صفحة، حاولنا فيها نقل أفكار الباحث الكبير والشاعر الملهم الإستاذ حامدحسن، بإسلوبه، وتعابيره، وصوره، ونيّاته؛ وذلك ليعرف القارئ بنفسه صعوبة الردّ على مثل هذا المنطق، وصعوبة الاحتكام الى مثل هذا الـ"ميزان"...

٥ - "ألميزان" للدكتور اليونس

يبدأ الدكتور عبد اللطيف اليونس ، أوّل ما يبدأ، بتقريظ الكتاب والكاتب، ويضفي عليهما الصفات الفخمة: فالكتاب جامع

شامل و"مؤلّفه الكاتب الكبير والمحامي القدير الشهير". وأسلوبه شيّق رقيق، ولفظه كثير الحلاوة، وتعابيره بالغة الأناقة، وكذلك صوره وتصاويره...

وينتهي الدكتور اليونس، كما بدأ، وكما سار طوال الصفحات الثلاث، باستكمال المديح، وإضفاء الكمالات على الكاتب، دون أن "نشتلق" بأنّ الدكتور، الذي يشيد بالثقافة وأهمّيّة المطالعة، قرأ كتاب الإستاذ أحمد عمران، أو الكتاب الذي يردّ عليه الإستاذ عمران...

***

٦ - رأي أبي موسى في المدّاحين

نشمل، في حكمنا هذا، وفي خاتمة كلامنا، كلمات هؤلاء المادحين للإستاذ عمران والقادحين بأبي موسى الحريري. فهم، جميعا، متّفقون على المدح والذمّ، ومتّفقون على إطلاق الأحكام بإسلوب، يكاد يكون واحدا. فنقول :

أوّلاً - إنّ الكلام عامّ، والأحكام كلّها جاءت للتقريظ والمديح للإستاذ عمران وكتابه، كما جاءت أيضا لقدح أبي موسى وذمّه، وللنيل من كتابه. نقول: لا المحامي عمران يحقّ له أن ينفخ صدره لهذا المديح، ولا أبو موسى يموت غيظا من القدح والذمّ وكثرة الشتائم. إنّه كلام عامّ، لا يفيد ممدوحا، ولا يهين مشتوما؛ بل لا يضرّ إلاّ قائله وسامعيه وقارئي كتابه. إنّ الأحكام العامّة ممقوتة، بحدّ ذاتها، فكيف بها اذا ما دعمها الجهل والغرور واسلوب الشتائم!!!

ثانياً - نقول للمدّاحين الشتّامين، الذين استرسلوا في جهلهم:

ليس وراء الحريري أيّ "مؤسّسة تبشيريّة إلحاديّة"، ولا هو "من شهود يهوه"، ولا يعمل في "خدمة الصهيونية"، ولا يشنّ حربا صليبيّة جديدة، ولا هو ينتمي الى طغمة المستشرقين، ولا يخطر في باله الفتح على حساب أمير أو زعيم.. إنّما أبو موسى الحريري يعمل وحده، بقناعاته؛ ويعمل في التاريخ باحثا ومنقّبا الى أبعد ما يتمكّن من البحث والتنقيب.

ثالثاً - إنّ همّ الحريري، نقول للمدّاحين الشتّامين، ليس "تقويض دعائم الإسلام"، ولا "النيل من الإسلام ومحاولة هدمه"، ولا "الكيد للإسلام"، ولا أيضا كره المسلمين و"زرع الفرقة والشقاق والحقد والخلاف" بينهم، ولا "الغشّ وقلب الحقائق"، ولا "إيقاظ الفتنة من رقادها"، ولا "نشر القطيعة والتحريض على الوقيعة"، ولا "تجريد محمّد من الوحي والنبوّة"، ولا "تجريد القرآن من الوحي الإلهي"... همّ أبي موسى الحريري محاولة الكشف عن مصادر الإسلام والقرآن في التاريخ...

رابعاً - في علم الحريري وأبحاثه أنّ الإسلام والقرآن هما من تراث الكنيسة النصرانية التي كانت شيعها منتشرة في مكّة والحجاز، ومعظم القبائل... وما الإسلام سوى حركة دينيّة نصرانيّةاجتماعيّة توحيديّة وفاقيّة ثوريّة في قلب المجتمع المكّي... وما القرآن سوى "قراءة"، "عربيّة"، "مصدّقة" و"ميسّرة" للإنجيل العبراني المنحول، بالإضافة الى كتب نصرانيّة منحولة عديدة أخرى، والى التوراة، وبعض العادات المكيّة... فالنصرانيّة هي الإسلام عينه. والإسلام هو النصرانيّة المكيّة في مختلف شيعها وتعاليمها ومعتقداتها وعاداتها وممارساتها.

لهذا نقول: إنّ مسيحيّي اليوم لا يسعهم رفض الإسلام في أيّ حال، لأنّه من تراثهم ومن تاريخهم؛ بل عليهم أن يستوعبوا

الإسلام، لكونه حركة دينيّة إجتماعيّة، حدثت في تاريخ كنيستهم. وأن يستوعبوا القرآن أيضا، وبخاصّة القرآن المكّي، لكونه كتابا من جملة كتبهم.

هذا كلام صعب على المسيحيّين والمسلمين معا : لأنّ القرآن، بالنسبة الى المسلمين، هو كتاب الله المنزل، بواسطة الملاك جبريل، من "اللوح المحفوظ"، على النبيّ محمّد؛ وهو، بالنسبة الى المسيحيين، يخالف مخالفة مباشرة وواضحة لتعاليمهم ومعتقداتهم الأساسيّة. ومع هذا، نقول للمسلمين والمسيحيين معا : لا يمكن أن تتبرّأ الشعوب، مهما تحضّرت، ممّا كانت عليه في سالف الأزمان..

خامساً - ثمّ نريد أن نسأل الذين قدّموا لكتاب الإستاذ عمران: مَن أقامهم مدافعين عن حقوق الله؟! مَن كلّفهم بالجهاد والقتال في سبيل دين الله؟! إنّه لموقف صعب اختاروه لأنفسهم. من كلّفهم به !!! وليتهم يعلمون أنّ الدين القيّم هو الدين الذي يهتمّ بمحبة الإنسان والحفاظ على كرامته وحرّيته. هذا موقف الدول والمجتمعات والأنظمة البشريّة كلّها، حتى ولو كانت ملحدة وكافرة. فهل تكون هذه الدول والمجتمعات والأنظمة رحيمة بالإنسان أكثر من الإسلام الذي يدافع عنه المدافعون!!! هل هذه الدول والمجتمعات والأنظمة الملحدة تعالج السارق والزاني وعاقر الخمرة والمعتدي على حدود الله، برحمة أكبر وتسامح أعظم من الله الذي يريده المدافعون عنه قاطعا ليد السارق وراجما للزاني والزانية وجالدا لشارب الخمرة وقاتلا للكفرة والمشركين!!!

إنّ اللهَ، واللهِ، بريء من كلّ دين لا يرحم. لا يسامح. لا يحبّ الإنسان الخاطئ قبل سواه. لهذا نقول : إنّ ما في الإسلام من اعتداء على الإنسان هو من عادات تلك البيئة التي نشأ فيها. وليس

لله في ذلك أيّ إصبع. وكم يكون الإسلام اليوم أعظم إن هو ميّز بين ما هو من الله وبين ما هو من عادات البيئة وتقاليدها.

سادساً - ما بال مقدّمي الإستاذ عمران يقدّمون لنا البراهين على عظمة الإسلام من أناس ارتدّوا الى الإسلام لدوافع غير دينيّة!!! يقدّمون لنا الأدلّة على صحّة القرآن من ارتداد موريس بوكاي وروجيه جارودي وسواهما... فهل هؤلاء خبراء في الدين، أم في اللاهوت، أم في التاريخ الكنسي، أم في الوحي، إم في الإسلام والنبي؟!! أم إنّهم طالبو جاه ومال ورخاء ونساء وطلاق ووظائف عالية في دولة إسلاميّة وجنّات تجري من تحتها الأنهار وحور عين وغلمان مخلّدين؟!!!

سابعاً - وما بال مدّاحي الإستاذ عمران يسارعون الى الإعجاب بـ"ما جاء في القرآن من آيات دالّة ومنطبقة على مكتشفات العلم الحديث في الفلك والطبيعة والإنسان والكون"(ص١٧). فهل هذه هدف من أهداف الدين، أم أنّها حجّة للمؤمنين ليتمكّنوا من إيمانهم لئلاّ يبقى مهزوزاً ضعيفاً؟!

***

ثانياً ـ عمران يختصر أبا موسى ويقدّمه

مقدّمـــة

يعرض الإستاذ عمران، ردودَه، وهو منفعل جدّا في أسلوبه وتعابيره وألفاظه وصوره ومنطقه وأحكامه، دون أن يتمكّن من إخفاء انفعاله هذا عن القارئ؛ وكأنّ أبا موسى يطعن بالإستاذ عمران مباشرة، ويتعمّد النيلَ من كرامته الشخصيّة؛ أو كأنّ الإستاذ عمران نصّبَ نفسَه مدافعا عن الإسلام الذي يظنّ أنّ أبا موسى ينال منه. وفي هذين المنهج والأسلوب دليل في جعبة القارئ، فيعرف، منذ البدء، منطق الأمور، وأسلوب الردّ، والإندفاع النفسيّ العارم.

تـــمـــهـــيـــد

يبدأ الإستاذ عمران كتابه "الحقيقة الصعبة في الميزان" بتعداد الكتب الإسلاميّة في سلسلة "الحقيقة الصعبة"وهي أربعة : قسّ ونبيّ، أعربيّ هو؟ عالم المعجزات، ونبيّ الرحمة وقرآن المسلمين، ويعتبرها، مع سواها من كتب السلسلة "تهدف الى خلخلة القناعات والعقائد الإسلاميّة"(ص٢٧).

ويعتبر مؤلّفها "شخصيّة فارغة غامضة، فيقول مستلهما آيةً من سورة القصص (١٠/٢٨):"وكنّا من قبل نظنّ أنّ فؤاد أمّ موسى وحده هو الفارغ، ولكنّنا، بعد أن قرأنا سلسلة الحقيقة الصعبة، ووضعناها موضع النقد والتدقيق، وجدنا أنّ فؤاد أبي موسى أشدّ وحشة وأكثر غربة"(ص٢٧).

أبو موسى هذا، في رأي الإستاذ عمران، "جَفَتْه عنايةُ الله، فلم تربطْ على قلبه، لذلك ظلّ محكوما في كتبه بالعواطف اللّدودة الموروثة"(ص٢٨). أمّا هويّة أبي موسى، في نظر الإستاذ عمران أيضا، فـ"كتلة من الوهم والتنكّر.. إنّه مظلّة وجدار لمؤسّسة فكريّة سياسيّة، على نمط تلك المؤسّسات التي ما فتأتْ تغزو قيمَ العالم العربي الإسلاميّ"(ص٢٨). هذه المؤسّسة شبيهة بمؤسّسة يهوديّة تعمل لمحاربة الأديان عامّة والإسلام بنوع خاصّ.

ثم ينتقل الإستاذ عمران مباشرة الى تحذير القارئ المسلم بقوله له : " فاحرص أيّها القارئ، وأنت تقرأ في كتب الحقيقة الصعبة، وكن على حذر شديد.." هذه الكتب "اعتمدت أسلوبا يسلك بين يديك ومن خلفك، ويحيط بقناعاتك وقيمك، ينفث عليها من لعابه الزعاف.. فإنّما أنت هدف لحرب فكريّة ضروس"(٢٩).

وفي اعتقاد الإستاذ عمران، أنّ أبا موسى جهد نفسه، وكتب ما كتب، من أجل تهديم الإسلام في عقر داره، وإحلال النصرانيّة محلّه، وذلك "إرضاء لقناعات بعيدة عن ثوابت التاريخ والجغرافيا وجميع العلوم"(ص٣٥)، ونفثا في دماء الناس "سموم الشكوك"(ص٣٦).

وغاية الإستاذ عمران شريفة. إنّها الدفاع عن صحّة إيمانه، وصدق ما ورثه عن آبائه وأجداده، ضد أبي موسى "الذي جاء، في هذا الزمن، يمعن (في القيم الإسلاميّة) تحطيما وتخريبا وتقويضا"(ص٣٦).

نقول :

إنّ ما يلاحظه القارئ عند الإستاذ عمران جملة أمـــور :

اوّلا - إخلاص الإستاذ لدينه وإيمانه الموروث.

ثانيا - تحذير القارئ من حملة تخريب الإسلام وتقويض دعائمه.

ثالثا - أسلوب الردّ أسلوب طعن وشتم بألفاظ جائرة وغير جائزة.

رابعا - حكمه على أبي موسى جاء قبل إعطاء أيّ دليل.

خامسا - دفاعه المستميت عن الإسلام والقرآن جاء، وكأنّ أبا موسى يطعن بالإسلام والقرآن، في الوقت الذي يجهد أبو موسى في وضع الإسلام والقرآن في موقعهما التاريخي الصحيح.

سادسا - ونأسف أن نقول أخيرا : إنّ منطق الردّ وإسلوبه لمما يخجل.

تعريف عمران بأبي موسى وكتابه

في صفحتين فقط يعرّف الإستاذ عمران بأبي موسى الحريري وبكتابه قسّ ونبيّ. ويردّد مأخذه على انزواء أبي موسى في الظلام، فلا يكشف عن اسمه الحقيقي، ولا عن جنسه، أو موطنه، أو وطنه.

ويعطي أيضا معلومات خاطئة عن كتاب قسّ ونبيّ، ويعتبره "قد صدر عن دار الفرح التي لم تعط أي إيضاح عن عنوانها"(ص٤١).

نلفت نظر القارئ إلى أن "دار الفرح" ليس لها علاقة ، لا من قريب ولا من بعيد، بالكتاب. ولا نعلم إذا كانت هذه الدار - في حال وجودها- اختلست الكتاب ونشرته بحسابها ولنفعها، كما فعلت دور أخرى في اختلاس كتب أخرى من السلسلة نفسها.

ثم يقدّم الإستاذ عمران بالتفصيل محتوى كتاب قسّ ونبيّ

ليردّ عليه، فقرة فقرة. فيقول : "تتبّعت الكتاب بفصوله ومواضيعه، تاركا إيّاه في قبضة يدي، لا تنفكّ عنه، حتى لا تفوتني منه شاردة ولا واردة"(ص٣٧).

ونلفت نظر القارئ أيضا إلى أنّ الإستاذ عمران اعتمد الطبعة الأولى لكتاب قسّ ونبيّ، ألصادرة سنة ١٩٧٩؛ وهي، في ترقيم صفحاتها، وفي بعض موضوعاتها، وتصحيحاتها العديدة، تختلف بعض الشيء عن الطبعة الثالثة عشرة، ألصادرة بعد عشر سنوات من الطبعة الأولى.

ثم يتتبّع الإستاذ عمران، في ردّه، موضوعات الكتاب كلها، بحسب تبويبها وتفصيلها . كما يقدّم تفسيرا مختلفا لآيات القرآن جميعها، تفسيرا يختلف عمّا هو عند أبي موسى اختلافا شاملا. وهذا التفسير العمراني هو الدليل الأهمّ الذي به يعارض أبا موسى وينتقده.

عمران و"مقدّمة" قسّ ونبيّ

يأخذ الإستاذ عمران على أبي موسى بأنّ "هويّة ورقة بن نوفل لم تُغيَّب تحت جلاميد التاريخ، ولم تدفن تحت التراب، بل هي معروفة"(ص٤٤)، بدليل أنّ الحريري نفسه يعرفها ويكتب عنها.

نقول : مأخذ الإستاذ عمران في محلّه. وهو فيه محقّ. فالقسّ ورقة معروف في كتب السير النبويّة. معروف الهويّة، والسيرة، والمهمّة، والدور، وحتى معروف في نيّاته، وخلفيّاته، ومقاصده البعيدة. ومن يقرأ كتب السير والأحاديث النبويّة والمراجع التاريخيّة لن يفوته ذلك الدور الذي لعبه القسّ ورقة مع النبيّ

محمّد. بقي شيء واحد أظهره أبو موسى وركّز عليه، هو ذلك الدور الذي لعبه القسّ ورقة مع النبيّ محمّد.

هذا الدور الذي شدّد عليه الحريري يعود النقيب عمران ليقول فيه : "سوف يظلّ أبو موسى باحثا طوال الحياة، مثلما بحث سواه، فقضوا نحبهم بلا طائل، ومثلما يفد آخرون في مقبل الأيّام"(٤٤). فدور القسّ ورقة، في نظر النقيب، غير معروف إذا، ولا شأن له في رسالة محمّد، أو في القرآن، لأنّ "القرآن، برسوخه، وثبات نصّه، وإعجاز مبناه ومعناه.. أدلّة على أنّ الرسالة هي من عمل السماء، وأنّ القرآن وحي السماء"، ولا دور إذا لورقة (ص٤٥).

ويختم الإستاذ عمران كلامه على مقدّمة الحريري بإسلوب فظّ، فيقول : "إنّ مؤلّف قسّ ونبيّ سوف يسير في كتابه محكوما بحالة من عمى الألوان في البصر والبصيرة، بحيث تختلط عنده المفاهيم، فلا يستطيع التفريق والتمييز بينهما"(ص٤٨).

نلفت نظر القارئ الى أنّ الاختلاف بين الإستاذ عمران وأبي موسى حاصل منذ البداية : أبو موسى يبحث الى أيّ هدف أوصله البحث؛ والإستاذ عمران يدافع عن معتقد موروث. أبو موسى يبحث في التاريخ ويعتمد عليه، والإستاذ عمران يأخذ من "اللوح المحفوظ" ويُنَزِّل منه.

نقول ونردّد، ولو في القول والترداد ملل : أبو موسى الحريري لا يهوى تحطيم أديان، ولا تنزيل آلهة، ولا تكسير أصنام؛ ولا يرغب في تغيير إيمان إنسان، ولا يعمل لمصلحة أحد من الآلهة، ولا يؤمن بأديان أو كتب منزّلة من السماء؛ ثم لا يشاء إرضاء قناعات عملاء، ولا تهمّه الصهيونيّة بنوع خاص، لأنّه يجهلها جهلا مطبقا، وما يعرفه عنها مكروه.

وكلّ ما عند أبي موسى رغبته في أن يضع يده بيد الإستاذ عمران، ليعملا معا باتّجاه الحقيقة وفي البحث عنها مهما كانت صعبة. وبعد هذا، فليبق كلّ منهما على إيمانه وقناعاته.. ومحبّتهما المتبادلة بعضهما لبعض. مع أمنيّة واحدة ، ألا وهي أن يتخلّى الإستاذ عمران عن فضيلة الدفاع عن حقوق الله، ذاك لأنّ الله لا يحتاج، لا للإستاذ عمران ولا لأبي موسى، للدفاع عنه.

***

ثالثاً - ورقة بين الحريري وعمران

١ - مقدمة

نحن أمام خيارات عديدة للردّ على الإستاذ عمران. كلّها سيّئة، بسبب ما نتعرّض فيها للترداد والتكرار؛ وبسبب ما يتعرّض له القارئ من ضياع بين الموضوع الأساسي، كما هو في كتاب "قسّ ونبيّ"، وردّ الإستاذ عمران عليه، ثم ردّنا هذا على ردّ الإستاذ عمران...

في كلّ حال، لن نكرّر ما جاء في "قسّ ونبيّ"، ولن نتّبعَ التصميمَ نفسَه، ولن نعالجَ الموضوعات ذاتَها التي عولجت في كتاب "قسّ ونبيّ"، لئلاّ يملّ القارئ... إنّما قد نتعرّض لبعض التكرار، الذي لا بدّ منه، من أجل التوضيح. وفي التوضيح، لا محالة، زيادةٌ وتركيز.

في هذا الفصل، كما في الفصول اللاحقة، نأخذُ كتابَ الإستاذ عمران، ونتتبّع موضوعاته، كما جاءت، صفحة صفحة، نبحث فيها، ونناقشها.. وقد تتردّد معنا بعضُ الموضوعات، في عناوينها ومحتوياتها، وذلك من أجل متابعة الإستاذ عمران، خطوة خطوة، ومن أجل القارئ كي لا يضيع.

وحقٌّ القارئ على أبي موسى أن يستوضح منه بعض النقاط التي تناولها الإستاذ عمران بتفاسيره الخاصّة وموروثاته الإيمانيّة، كما من حقّه أيضاً أن ينال أجوبة واضحة على تساؤلات كثيرة اختلف فيها الإستاذ عمران مع أبي موسى. ولكن، إذا كان للقارئ

حقٌّ ما على أبي موسى، فعليه أيضا مسؤوليّة الاطّلاع الشخصي، والبحث الجدّي والحكم الصائب.

٢ - فرع عبد العزّى

يقول الحريري: إنّ المؤرّخين اهتمّوا بفرع عبد مناف بن قصيّ، وكتبوا عنه، أكثر ممّا اهتمّوا بفرع أخيه عبد العزّى بن قصيّ، وكتبوا عنه؛ وذلك لأنّ النبيَّ محمّدا سيخرج من سلالة الفرع الأوّل.

وجاء الإستاذ عمران ليقول لأبي موسى: هذا غير صحيح. فـ"المؤرّخون لم يفرّقوا في الاهتمام بين عبد مناف وعبد العزّى.. ذلك، لأنّ الرجلين، كليهما، ينتميان الى العصر الجاهلي، وهما أخوان، ليس لأحد منهما حقّ التقدّم على الثاني"(ص٥٤).

للحال نسأل الإستاذ عمران: كيف هو المنطق الذي ربط فيه بين اتّفاق المؤرّخين، من جهة، وانتماء الأخوين الى العصر الجاهلي؟ أبسبب انتماء الأخوين، إبنَي قصَيّ، الى العصر الجاهلي، يكون الأخوان متساويَين؟

ثمّ يعود الإستاذ عمران مباشرة، ليعطي أبا موسى الحقّ في اهتمام المؤرّخين بفرع عبد مناف، على حساب فرع أخيه عبد العزّى؛ وذلك بسبب تركيزهم "على شخصيّة النبيّ محمّد؛ لأنّها وحدها، من بين العرب، - كما يقول الإستاذ عمران- كان لها ذلك الحضور العظيم"(ص٥٤).

ثم يروح الإستاذ نقيب المحامين يكيل المدائح للنبيّ، حتى خرج تماما عن الموضوع، ليعود مرّة جديدة ليأخذ على أبي موسى بأنّه، هو نفسه أغفل سائر أولاد قصيّ. فلِمَ يلوم سواه على هذا الإغفال؟

ونردّ على الإستاذ النقيب مأخذه بقولنا: يجوز إغفال كلّ ما لا يمتّ إلى موضوع البحث بصلة. يجوز ذلك، على المؤرّخين، وعلى أبي موسى الحريري، وعلى الإستاذ أحمد عمران أيضا. يجوز ذلك، لأنّ البحث مقصور على الموضوع الذى يعالَج. ولأنّ سائر الموضوعات لا علاقة لها بالبحث.

٣ - نصرانيّة قُصَيّ

فيما أبو موسى يعطي إشارات وتلميحات -لا أدلّة وبراهين- الى إمكانيّة نصرانيّة قصَيّ، بسبب انتمائه الى قبيلة أمّه الغسانيّة النصرانيّة، والتي ساعدته على أن "يتملّك على مكّة"، بحسب إجماع كتب السِّيَرِ على ذلك. وبهذه المساعدة، استطاع أن يجمع أهل مكّة المشتّتين تحت قبيلة واحدة، هي قبيلة "التجمّع"، أي قريش. يجيء عمران ليقطع بوثنيّة قصَيّ، لـ "أنّ قصيّا جلب الحجرَ الأسود.. وهذا العمل.. يقطع في الدلالة على أنّ قصَيّا لم يكن نصرانيّا"(ص٥٦).

نقول للإستاذ عمران:

أولا - إنّ أبا موسى يشير إلى إمكانيّة نصرانيّة قصيّ، بسبب وجود قرائن على ذلك. ولا يبرهن أو يدلّ على ذلك؛ لأنّ البحث لم يكتمل بعد حتى نؤكّد ما نشير اليه.

ثانيا - نسأل الإستاذ عمران عن المنطق الذي ربط به استنتاجه: لماذا يكون قصيّ وثنيا إن هو جلب الحجر الأسود؟! فهل الحجر الأسود هو رمز للوثنيّة؟ لو قرأ الإستاذ قليلا حول هذا الحجر، لتبيّن له بأنّه رمز من رموز النصرانيّة الكبيرة. ونعفيه من البحث كثيرا إن تناول كتاب "قسّ ونبيّ" في طبعاته اللاحقة.

٤ ـ "ألحمس" من قريش

يأخذ الإستاذ عمران على أبي موسى تفسيره كلمة " الحمس الذين يشكّلون كلّ قريش" بأنّها لا تعني جماعة النصارى المتديّنين، كما أشار الى ذلك اليعقوبي.. بل هي تعني "المتشدّد في شجاعته ودينه فلا يُطاق"(٥٩).

نحيل الإستاذ عمران الى سيرة ابن هشام وتاريخ اليعقوبي نفسه الذي يرجع اليه. كلاهما يفسّر الحمس بالمتدينين المؤمنين بالتوحيد، وكلاهما ينعتهم بصفات وأخلاق نصرانيّة، وكلاهما ينسب القسّ ورقة ورفاقه اليهم تارة والى النصرانيّة طورا والى الحنيفيّة طورا ثالثا.. ممّا يؤكّد مرّة أخرى نصرانيّة هؤلاء الحمس.

ثم يعود الإستاذ عمران ليؤكّد "أنّ ورقة وزيد(اً) ومعهما عبد المطلب وأبو طالب وأبو بكر وعثمان بن عفّان وعبدالله بن جدعان وسواه، كان يطلق عليهم اسم الحمس لشدّة تمسّكهم بفضائل وأخلاق إبراهيم عليه السلام"(٦١).

ونحن **نقول** للإستاذ عمران: إنّ أبا موسى لا يطلب أكثر من هذه الشهادة. فلِمَ يجهد نفسه ليعود حيث انتهى أبو موسى، وبالشهادة نفسها؟! بل لماذا يتلاعب الإستاذ عمران بمنطق الناس فيوهمهم بأنّه يصحّح مقولات أبي موسى، فيما هو يؤكّد، في نقضه، ما ذهب اليه أبو موسى نفسه!!!

٥ ـ نصرانيّـة مكّـة

يتّهم الإستاذ عمران أبا موسى بأنّه "لم يكلّفْ نفسَه عناء تقديم أيّ دليل، ولا الدلالة على أيّ مرجع، يفيد بأنّ مكّة كانت نصرانيّة"(٦٢).

نقول: نأسف لصدور هذه الأحكام العامّة والمطلقة عن

النقيب عمران. فكتاب "قسّ ونبيّ"، كلُّهُ، مجموعةُ أدلّةٍ على هذا الموضوع. وهو، إنْ لم يكن كذلك، فالمشروع كلّه باطل من أساسه.

ثمّ إنّ رفض الإستاذ عمران الدخول في البحث عن النصرانيّة وشيعها لدليل على أنّه لم يسمع، في حياته، ولم يقرأ، إلاّ في كتاب أبي موسى عن النصرانيّة وشيعها الإبيونيّة والقيرنثيّة والكسائيّة والغنوصيّة وغيرها.. وهو معذور جدّا لإنّ مثل هذه العلوم لا يسعه التقاطها من المراجع الإسلاميّة، بل من التاريخ الكنسي، ومن آباء الكنيسة، والمجامع المسكونيّة والمحليّة... فكيف يجيز عمران لنفسه الكلام في موضوعاتٍ يجهلها!!

٦ - ألقسّ ورقـة

... ويحشر الإستاذ عمران، لفرط ذكائه، أبا موسى بسؤاله: "نسأل أبا موسى، ولا نأمل منه جوابا: مَن انتخب ورقة بن نوفل قسّا على كاتدرائيّة مكّة؟ ومَن رسمه أسقفا على أبرشيتها المركزيّة؟ أين هم جماعة الإكليروس والشعب؟ مَـن باركَ ووضع يدَه على رأسه؟ مَـن هو الأسقف الأكبر الذي منحَه الحقوقَ الرئاسيّة؟؟؟" (٦٤).

ثمّ يعلّق النقيب، ويُجيب عن أبي موسى الذي يعجزه الجوابُ طبعا، فيقول: "تلك الأسئلة وسواها ليس لها أيّ جواب... فكيف وجدت نفسها عند أبي موسى؟!" (٦٤).

ومع هذا **نجيب**: إنّ أبا موسى لم يطرح هذه الأسئلة ليهتمّ بالإجابة عليها. بل هي أسئلة لم تَطرحها الكتب الإسلاميّة، لأنّها لا تستطيع الجواب عليها... ولكن، يكفينا من هذه الكتب أن تقولَ لنا: إنّ ورقة بن نوفل كان قسّا على النصارى في مكّة، وكان عالِما بكتبهم وعلومهم، وكان يهتمّ بنقل الإنجيل العبراني الى العربيّة،

وكان نديما لعبد المطلب، وقد عاش مع محمّد أربعا وأربعين سنةً ونيّفا، وهو الذي زوّجَه، وعلّمه، ودرّبه، واختاره ليكون قائدا لحركة دينيّة إجتماعيّة رائدة.

وكان على الإستاذ عمران ألاّ يسرع الى السجع والحكْم الإعتباطي ويقول مستنتجا: "هكذا دون مستند، أو دليل من تاريخٍ مكتوب، أو شعرٍ منظوم، أو رقيمٍ مرقوم، أو خبرٍ معلوم"(٦٤). هذا كلام لا فائدة فيه.

٧ - ألإبيونيّـــــة

هنا، نجد الإستاذ عمران لا يجيد السباحة أبدا. إنّه في عالم يجهلُه تماما، وفي مجالات علميّة تاريخيّة لا يعرف عنها شيئا. وليس من المفروض، في حقيقة الأمر، أنْ يعرفَ عنها شيئا؛ لأنّ مثل هذه الموضوعات هي من شأن المتخصصين بتاريخ الكنيسة، وعلم الآباء، والمجامع الكنسيّة، والشيع المختلفة.. وهو معذور أيضا بحكْمِ إيمانِهِ بجِبريلَ والتنزيل.

فالإبيونيّة ليست من الموضوعات التي بحثها المسلمون في كتبهم، أو التي عرفوا عنها شيئا. فهي لم تدخل يوما في نطاق اهتماماتهم الفكريّة أو الدينيّة. والإستاذ عمران، بالتأكيد، لم يسمع بها، أو لم يبتدئ يهتمّ بها، إلاّ عندما قرأ عنها في أبي موسى. ثم هو اكتفى بما قرأه في أبي موسى، ولم يكلّفْ نفسَه الرجوع إلى أيّ مرجع، لا في العربيّة -وهي ضحلة- ولا في الأعجميّة -وهو يأباها- فكيف يريد القارئُ منّا أن نعتمدَ على الإستاذ في جهله؟!!

ثم يستنتج الإستاذ عمران، بعد استعراضه مقالات أبي موسى -وكم نودّ أن يتبعنا القارئُ في قراءة هذا المقطع، فنفهم معا مقصودَ الإستاذ عمران. وليسمحْ لنا القارئُ أيضا بإبداء رأينا ضمن كلام عمران بين قوسين. قال:

"... يتبيّن أنّ الفِرَقَ الثلاثة (ألإبيونيّة والقيرنثيّة والكسائيّة) لم تكن ذات معتقدات نصرانيّة وفقاً للعقيدة المسيحيّة (صح)، ووفقا لما نصَّتْ عليه الأناجيلُ الأربعة المعتمدة (صح). وكانت (هذه الفرق) تتّهم بولسَ الرسول بالكفر والارتداد عن اليهوديّة (صح). ولم يكن لتلك الفرق تعاليم موحّدة (صح). وبالتالي (نرجو الانتباهَ الى هذا الاستنتاج)، يكون قولُ أبي موسى بوجود إنجيل خاصّ بها هو الإنجيل العبراني، وإنّ ورقة بن نوفل قضى عمرَه وهو عاكفٌ على ترجمته، هو من قبيل المزاعم التي تتعارض مع التاريخ الكنسي، ولا تجد لها دعما أو مؤيّدا ثابتا"(٧٦).

نسأل الإستاذ عمران: كيف استنتج ذلك؟ ما الصلة بين هذه النتائج وتلك المقدّمات؟ لماذا اعتبر الفِرَق الثلاثة، مع تعاليمها واختلافاتها وتكفيرها للقديس بولس هي "من قبيل المزاعم"؟ فيما هي حقيقة وواقع. والواقع الأعظم هو أنْ لا علاقة للقسّ ورقة، لا بالأناجيل الرسميّة الأربعة، ولا بالمسيحيّة في عقيدتها في الثالوث، أو في الصلب، أو الفداء، أو القيامة...

٨ - إنجيل متّى

والأدهى من كلّ ما قرأنا عند الإستاذ عمران قوله: إنّ "التاريخَ لم يُثبتْ وجودَ إنجيلٍ لمتّى غير الإنجيل الحالي. وهذه نقطة مهمّة جدّا"(٧٧).

نسأل الإستاذ عمران: إلى أيِّ مرجعٍ من مراجع العلوم البيبليّة، أو اللاّهوتيّة، أو التاريخ الكنسي، اعتمدَ ليقولَ لنا ما قال؟ علماء الكتاب المقدّس، جميعهم، أثبتوا وما زالوا يثبتون وجودَ إنجيلٍ لمتّى باللّغة الأراميّة، هو الأصل، ومنه أخذ مرقس ولوقا، وعليه بُني إنجيل متّى اليوناني. في كل حال، هذا الموضوع، وما

يدور حوله، هو من صميم كتاب "قسّ ونبيّ". بل لم يقم أبو موسى إلاّ بالبحث فيه، وإثبات البراهين عليه.

وقد نعذر الإستاذَ النقيبَ، مرّةً أخرى، في جهله، لأنّ المراجعَ الإسلاميّة والعربيّة لا تتكلّم على مثل هذه الموضوعات، لا من قريبٍ ولا من بعيد. مراجعُ هذه العلوم هي كتب التاريخ الكنسي، ومؤلّفات الآباء، والكتابات البيبليّة، بما فيها الكتابات الرسميّة والمنحولة.

٩ - لا مقارنة عند عمران

يقول الإستاذ عمران: "لا يوجد بين القرآن وتعاليم هذه الفِرَق الثلاثة أيّ تقارب، أو تلاقٍ، أو اقتباس، علماً، أم أحكاماً، أم فروضاً، أم عبادات"(٧٧).

هذا الكلام نجدُ جوابا عليه في أكثر من مائة صفحة من كتاب "قسّ ونبيّ". هذه الصفحات زاخرة بالمقارنةِ والمقاربةِ بين المصادر النصرانيّة والقرآن. فمن أين جاء أبو موسى بهذه المقارنة؟ أيُعقل أن تكون اختراعا؟ أو تكون كلُّها خطأ بخطأ؟ أم أنّ أبا موسى يتجنّى على القرآن والإسلام والمسلمين ومحمّد وجبريل أيضاً؟

١٠ - ألخلــوة

والعجبُ عندما يأخذ الإستاذ عمران على أبي موسى تناقضه في شأن خلوة النبيّ. فبينما يقول أبو موسى بأنّ النبيّ كان يختلي في غار حراء مع القسّ ورقة؛ تقوم قيامة الإستاذ عمران ويبدي عجبَه: كيف هي خلوة؟ وهي في الوقت نفسه، تقام مع شخص آخر؟ إنّه تناقض فاضح... ثم يعود الإستاذ، لتمسّكه بهذا التناقض، إلى هذه الملاحظة مراراً.

ونحن نقول بكلّ بساطة: غالبا ما تكون الخلوة الروحية، عند النصارى والمسيحيين، -وأيضا عند الصوفيين المسلمين- برفقة مرشد روحي، يراقب المختلي، ويوجّهه، ويدرّبه، ويعلّمه، ويقرأ عليه القراءات المناسبة من الكتاب المقدس، أو من شيوخ الطريقة. وتكون الرياضة في مكان ناءٍ عن المجتمع، في دير عامر، أو في كهف بوادٍ، أو في برّيّة بعيدة، أو في خيمة على رأس جبل، أو في بيتٍ مسوّر، أو في أيّ مكانٍ كان، ومع أيّ مرشدٍ من المرشدين...

١١ - ألحنيفيّـة

وفيما الإستاذ عمران يعمّم في أحكامه، ويتكلّم على تناقضات أبي موسى ، ويجدها "موجودة في أغلب أحكامه"(٧٩)؛ فإذا هو لا يقدّم سوى دليل واحد فقط على هذه التناقضات، وهو في موضوع الحنيفيّة. يقول فيها، ويردّد باستمرار بأنْ لا علاقة للنصرانيّة بالحنيفيّة. لقد كانت الحنيفيّة سابقة عليها؛ ثم جاءت بعدها لتصف الإسلامَ الذي هو "الدين الحنيف" بامتياز.

نقول للإستاذ عمران: إنّ ما جاء في كتاب "قسّ ونبيّ" عنها يكفي. والعود إليه ترداد. إنّما نشدّد مرّةً أخرى ونقول: إنّ الحنيفيّة ليستْ دينا مستقلا؛ إنها صفة للنصرانيّة المكيّة. والذين كانوا ينتمون إليها هم نصارى، أو حنفاء، سواء بسواء. وطقوسها وممارساتها ومعتقداتها وتعاليمها الروحيّة والاجتماعيّة، هي نصرانيّة، أو حنيفيّة، سواء بسواء. وما جاء في القرآن عن إبراهيم على أنّه "كان حنيفا مسلما" لا يعني سوى أنّه كان مؤمنا، موحِّدا، مسالما، متعاليا، مترفّعا عن الخلافات الدينيّة التي حدثت، فيما بعد، في اليهوديّة والنصرانيّة.

١٢ - أهداف أبي موسى

يتّهم الإستاذ عمران أبا موسى بأنّ له أهدافاً معروفة، "قائمة

على عواطف حزبيّة تعصبيّة، وعلى موروثات سلفيّة".. وهذا ما أوجب عليه "أن يتعقّب أفكاره مثلما يُطارَدُ الهاربُ من العدالة"(٨٦).

نقول: ليس لأبي موسى هدف إلاّ هدف واحد، وهو أنْ يخلِّصَ القرآنَ والنبيَّ من إثنتين: من هيمنة جبريل ومن إيمان عمران؛ ثمّ يعود بهما الى تلك الحركة الدينيّة الاجتماعيّة الرائدة التي حدثت في مكّة في أوائل القرن السابع للميلاد، والتي إسمها الإسلام.

١٣ - ألإنجيل الأرامي

يعترف النقيب عمران هنا بما كان قد أنكره سابقا، أي يعترف بوجود إنجيل أراميّ هو أصل إنجيل متّى اليوناني. ويستند، في ذلك، إلى قصّة الحضارة لـ"ديورنت"(ص٩١). ثم، وعندما انتبه إلى تناقضه، لفت انتباهنا بقوله: "وكيلا نُتَّهَم بالتناقض، نبادر إلى القول بأنّنا لم ننفِ وجودَ إنجيلٍ باللغة العبرانيّة... إنّ المصادرالتاريخيّة تفيد بأنّ الكتابة الأولى لإنجيل متّى كانت باللغة الأراميّة في أواخر القرن الأوّل"(٩٠-٩١).

نقول :

أوّلاً - لا إنجيل باللغة العبرانيّة، بل هناك إنجيل إسمه الحرفي:"ألإنجيل بحسب العبرانيين" أي: Evangile selon les Hébreux، وهو الإسم العلمي والتاريخي لما سمّي بـ"إنجيل العبرانيين"، أو"الإنجيل العبراني". وهو إنجيل معروف في التاريخ الكنسي، وعند آباء الكنيسة. وقد اعتمدت عليه، بنوع خاصّ، ألشيعة الإبيونيّة، بحسب شهادة إبيفان أسقف قبرس وغيره من الآباء. ونجد ذلك موسّعا في "قسّ ونبيّ".

ثانياً - يعود الإستاذ عمران عن خطإه السابق، حيث قال بأنّ إنجيل متّى كُتب أوّلا بالعبرانيّة. ويقول هنا بأنّه كُتب بالأراميّة، دون تعليل أو تفسير لتراجعه المفاجئ. وإذا كان كتاب "الأغاني" هو مرجع النقيب في ذلك، فإنّ مثل هذا الكتاب ليس مرجعا صالحا لعلوم الكتاب المقدّس. وليته رجع الى صحيحَي البخاري ومسلم، فهما مرجعا الأغاني، ومصدران أكثر أهمّيّة.

ثالثاً - ثمّ إنّ أبا موسى يشير إلى بعض نصوص من الإنجيل العبراني موجودة في كتابات آباء الكنيسة. وهذا البعض يكفي ليفيدنا عن مدى التقارب الحاصل بينه وبين القرآن المكّي.

١٤ - ألإنجيل المنزل

يقول النقيب عمران : إنّ هناك "إنجيلاً منزلاً من عند الله على عيسى"(٩٦). ويقول أيضا: إنّ الأناجيل واحدة، و"لا يجوز النظرُ إليها على أنّها عدّة أناجيل"(٩٧)؛ فقد تكون، بهذه الحالة، إمّا روايات متناقضة، وهو محال؛ وإمّا روايات متشابهة، فلا فائدة منها؛ و"كلا الأمرَين مرفوض" (٩٨). لهذا، لا يمكن "أن نتعامل مع الأناجيل الأربعة إلاّ بصيغة المفرد"(٩٨).

نقول للأستاذ عمران. وليطمئنّ إلى قولنا. فهو إيمانٌ لا كفر :

١. لا إنجيل منزل من عند الله على عيسى، ولا على غير عيسى. ليس من إنزال في المسيحيّة. ولم يقل بـ"الإنزال" مسيحيٌّ واحدٌ من بدء المسيحيّة حتى اليوم والى منتهى الدهر.

٢. عيسى لم يكتب لا إنجيلا ولا رسالة.

٣. بعض تلاميذ عيسى كتبوا. وما كتبوا نُسِبَ إليهم.

٤. الإنجيل سيرة ذاتيّة لعيسى في حياته على الأرض. وليس هو كلام الله الأزلي المنزل من السماء..

٥. الإنجيل مذكّرات كتبها شهود عيان، ألهمهم "الروح" ليعرِّفوا الناس على سيرة يسوع، وأعماله، وتعاليمه، وآلامه، وصلبه، وموته، وقيامته...

٦. هناك أربعة أناجيل رسميّة وقانونيّة وأصيلة، اعترفت بها الكنيسة، منذ البدء، وميّزتها عن سواها، بعد مخاض عسير. وثبّتت ذلك في مراحل كثيرة من تاريخها.

٧. وهناك عشرات الأناجيل المنحولة؛ لا تنكر الكنيسة وجودها؛ إلاّ أنّها لا تعترف بقانونيّتها وأصالتها، لأسباب تتعلّق بالنصّ نفسه.

٨. هذه المنحولات لم ولن "تمزّقها" الكنيسة، أو "تحرقها"، كما فعل عثمان بن عفّان بمصاحف القرآن..

٩. والقرآن العربي، في مرحلته المكّيّة، ليس سوى إنجيل من هذه الأناجيل المنحولة؛ كُتب بلسان عربيّ مبين.

هذه حقائق تاريخيّة، لاهوتيّة، إيمانيّة، علميّة. وسيضطرّنا الإستاذ النقيب للرجوع إليها في سياق بحثنا. لأنّها تغيبُ عن علمِه غيابا تامّا. وهذه الحقائق، -وليطمئنّ النقيب عمران - ليستْ من اختراع أبي موسى، لكي يتعالى بها عليه. إنّها حقائق عامّة وشاملة وثابتة في تاريخ الكنيسة.

١٥ - ألمعاصـرة

"ألقسّ ورقة رئيس النصارى". قائلُ هذا الكلام ليس أبا موسى، بل أصحاب السِيَرِ النبويّة؛ ومنهم، بنوع خاص، صاحب "السيرة الحلبيّة". غير "أنّ صاحبَ هذه السيرة، على حدّ قول الإستاذ عمران، لم يعاصر ورقة. بل وُلِدَ بعدَه بأكثر من قرن ونصف القرن"(١٠١).

نقول: إذا كانت هذه هي الحجّة لرفض الإستاذ عمران لقسوسيّة ورقة بن نوفل، فقياساً على ذلك، تُرفَضُ من تاريخ الفكر، علوم كثيرة جدّا. وبنوع خاصّ، تسقط من تاريخ الفكر الديني الإسلامي، على سبيل المثال لا الحصر، كتب السير النبويّة كلّها، وكتب الصحاح والسنن والمساند، وكتب التاريخ والأخبار، وحتى مصحف عثمان... فهذه كلّها، كانت في عصور متأخرة وبعيدة وغير معاصرة لعصر النبي محمد. فهل تلغى هذه الكتب عن بكرة أبيها، بسبب أنّها لم تعاصر الحدث الذي تذكره؟!

١٦ - ألنصرانيّة في مكّة

يرفض النقيب عمران أن يكون في مكّة جماعة نصرانيّة(١٠٢).

نقول : ألم يقرأ النقيب في كتب السير النبويّة وفي كتب التاريخ والأخبار والتفاسير وغيرها عن الوجود النصراني في مكّة والحجاز؟ ألم يسمع بقبائل كبيرة، نصرانيّة فاعلة، كانت موجودة في مكّة والحجاز ومختلف أنحاء الجزيرة العربيّة؟ ألا يعرف هويّة القسّ ورقة، ورئاسته على مكّة، وقرابته من خديجة، وصداقته لجدّ النبيّ، وملازمته لمحمّد؟ ألا يعترف بتأثير شخص، إسمه "قين النصراني"، على النبيّ، إلى درجة أن اتُّهِم بـ"أنّه كان يلقّنُهُ القرآن". هذه التهمة وردّ التهمة واردان في سورة النحل، آية ١٠٣؟! ألا يتذكّر النقيب، والنبيّ يتذكّر، تأثير القس ابن ساعدة الأيادي، الذي، لشدّة تأثيره على النبيّ، تذكّره، وذكره لوفد من أياد بعد أربعين سنة؟! ألم يسمع النقيب بأسماء، أمثال: الراهب عيص من الشام، والراهب عدّاس النينوي، اللذين عالجا النبيّ من رمد في عينيه؟! ألم يقرأ النقيب سورة المائدة وسورة الحديد، حيث رهبان وقسّيسون؟!!

فلماذا يمنع النقيب عمران عن القس ورقة أن يكون له جماعة نصرانيّة في مكّة وفي فناء الكعبة، يمارس فيها خدمته؟! ثم من قال للنقيب بأنّ الكعبة لم تكن مركزا دينيا للنصارى، يمارسون فيها صلواتهم وعباداتهم وسائر طقوسهم الدينيّة؟! ومن قال للنقيب بأنّ الحجر الأسود نفسَه لم يكن رمزا من رموزهم الدينيّة الكبرى؟! والمراجع على ذلك وافرة في كتاب "قسّ ونبيّ"، ولن نعيدها هنا، بل نذكّر الإستاذ النقيب بالرجوع إليها، ثم يكفّ عن كلام غير مسؤول، مثل قوله: "وبانتفاء كلّ من الكنيسة والقسوسيّة في مكّة انتفاء تاريخيا ينحدر ادّعاء أبي موسى الى الحضيض"(١٠٢).

والأخطر من هذا كلّه أن يوهم النقيبُ عمران القارئَ بأنّ أبا موسى لم يقدّم على مقولاته أيّ دليل. و"لم يثبتْ ذلك في أيّ مرجع"(١٠٣). نقول للنقيب: ليته يعيد قراءة كتاب "قسّ ونبيّ" حيث يجد المراجع وافرةً وافيةً.

١٧ ـ إسم المسيحيّين

يقول النقيب عمران، ويردّد، بـ"أنّ تسمية أتباع عيسى بالمسيحيين هي تسمية حديثة"(١٠٧).

نقول للنقيب: كيف يجيز لنفسه هذا القدر من الجهل في موضوع يعرفه الجميع؟ ألا يعلم النقيب بأنّ هذا الإسم أطلق على أتباع المسيح منذ بدء المسيحيّة!! ألم يقرأ في كتاب "أعمال الرسل"، الذي هو من السنة الثمانين للميلاد: "فدُعيَ التلاميذُ في أنطاكية، ولأوّل مرّة، مسيحيين"(١١/٢٦).

وعلى النقيب أن يعرف أيضا حقيقة ثانية : أنّ "النصارى"، ألإسم الذي أطلق على أتباع عيسى، هم فئة من اليهود الذين اعتنقوا الإيمان المسيحي. أي هم الذين اتّبعوا الناصري من اليهود،

وآمنوا به على أنّه نبيٌّ جاء يتمّم نبوّة موسى. وهو الإسم الذي عرفوا به في الجزيرة العربيّة. وعقيدتهم في عيسى تختلف عن عقيدة مسيحيّي أنطاكية، وروما، والإسكندريّة...

١٨ ـ زعامة القسّ ورقة

يقول النقيب عمران عن القسّ ورقة بن نوفل بـ"أنّه دون الكثيرين منهم ـأي من قريش- شرفا وجاها؛ وهم الأعزّة" (١٠٤).

نقول للنقيب : إنّ القسّ ورقة هو ابن سلالة قُصَيّ مؤسّس مكّة، ومن قبيلة قريش زعيمة مكّة. وهو ابن عمّ خديجة، سيّدة نساء قريش، وأعظمهنّ شرفا وغنى. وهو، في حفل تزويج محمّد، خطب وقال: "نحن قادة العرب وساداتهم". وهو كان قسّا، ورئيسا على نصارى مكّة. وهو كان نديم عبد المطلب، زعيم قريش بدون منازع. وهو كان صديق محمّد، نبيّ العرب، ورفيقه منذ طفولته حتى السنة الرابعة للدعوة. وهو كان مرجعا لخديجة، في كلّ ما حدث لبعلها... فكيف، والحالة هذه، يجيز النقيب لنفسه، إذا شاء الطعنَ بعلمِ أبي موسى، أن يطعنَ أيضا بزعامة القسّ ورقة بن نوفل؟؟!!

١٩ ـ لا ترجمة ولا مقارنة

يرفض النقيب عمران أن يكون بين القرآن المكّي وإنجيل العبرانيين أيَّ مقارنة أو مقاربة. وحجّته في ذلك أنّ "في القرآن من التمييز النوعي، والإعجاز البياني، والمعرفة، ما يجعله غير قابل مقارنته بأيّ كتاب سبقه أو لحقه"(١٠٤).

نقول : هذا منطق خاصّ بالنقيب، وبمن يؤمن إيمانَه. يقوم هذا المنطق الإيماني الموروث على أنّ القرآن كتابٌ منزلٌ مربوطٌ مباشرة بـ "اللوح المحفوظ". وهو، بالتالي، سابقٌ على كلّ كتاب آخر، ومتفوّقٌ عليه. ولا يمكن أن يقارَن، أو يقابَل، بأيّ كتاب

سواه... إلاّ أنّ مثلَ هذا الإيمان لا يُعمّم؛ لأنّ الواقع هو غير ذلك. وما هو غير ذلك هو أنّ المقارنةَ أمرٌ حاصلٌ بين القرآن المكّي والمصادر النصرانيّة، وفي موضوعات عديدة، إلى درجة نستطيع معها القول بأنّ القرآن المكّي هو الترجمة العربيّة لإنجيل العبرانيّين الذي كان القس ورقة ينقله من الأراميّة إلى العربيّة. وكلّ ما في كتاب الحريري دليلٌ علئ ذلك.

٢٠ - ألنصرانيّة في مكّة

في شأن وجود النصرانيّة في مكّة، يحاول النقيب عمران أن يوهم القارئ بأن لا دليل على ذلك عند أبي موسى. بل "إنّ كتبَ التاريخ لا تُؤيّدُ منطقَه"(ص ١٠٤). ويضيف: أنّ أبا موسى لم يقدّم مرجعا واحدا يدعم فيه أقواله (ص ١٠٥).

نقول ونردّد :

أوّلاً - إنّ مكة كانت مدينة تجاريّة مفتوحة، "يأتيها رزقُها رغدا من كلّ مكان"، بحسب ما جاء في سورة النحل (١١٢/١٦). وكذلك سكّانها كانوا يؤمّونها من كل حدب وصوب، فيجدوا فيها منافع كثيرة. فكان منهم: بدو، ويمنيّون، وأحباش، ورومانيون، وفرس، وشاميّون، ومصريّون... وكذلك كانوا على أديان مختلفة: الوثنيّة، والمجوسيّة، واليهوديّة، والنصرانيّة على مختلف شيعها، والصابئة، وغيرها... إنّها حال كلّ مدينة مفتوحة تعتمد، في رزقها وموارد عيشها، على التجارة، وليس إلاّ على التجارة. وبسبب هذه التجارة سمّيت في القرآن بـ"أمّ القرى"، أي بالمصطلح الحديث، "ألعاصمة"... هذه وغيرها بحث فيها أبو موسى، وخصّ لها كتابا بعنوان "نبيّ الرحمة وقرآن المسلمين. بحث في مجتمع مكّة"، رقم ٢ من سلسلة "الحقيقة الصعبة". وهو تتمّة لكتاب "قسّ ونبيّ".

ومع هذا، لا يريد النقيب عمران أن يصدّق. وحجّته معروفة. وتكمن في موروثاته.

ثانياً - يجهد النقيب عمران، ومعه كثيرون، في أن يقول ويردّد: أنّ الشركَ كان شاملا في مكّة قبل الإسلام. وذلك لكي يقول بأنّ الإسلام هو الذي جاء بالتوحيد والدين المستقيم والإيمان الصحيح؛ وأنّ محمّدا كان أميّا، لا يد له في القرآن، الذي هو تنزيل من السماء؛ وأنّ الفساد كان مسيطرا، وجاءت الشريعة الإسلاميّة وقوّمت كل اعوجاج؛ وأنّ الجهلَ في مجتمع مكّة كان عارما، فجاء الإسلام بالعلم والمعرفة الشاملة والحقّ اليقين... هذه من أخصّ الأسباب التي دعت النقيب إلى رفض كلّ ما يجعل الإسلام قريبا من سواه، أو مقارَنا به. وهو سببٌ لا يقوم عليه دليل.

٢١ - عجب النقيب

يسأل النقيب عمران: كيف أنّ "عبد المطلب، سيّد مكّة وسيّد ورقة"(١٠٥) كان يدور حول القسّ ورقة ويتلقّى منه توجيهاته وأوامره!! ويسأل كيف تخلّى عبد المطلب وأبو طالب، و"تنازلا لورقة عن تربية محمّد.. وهو الطفل الذي وهبه اللهُ الكمالَ في كلّ شيء!"(١٠٦). ويسأل عن خلوة محمّد كيف تكون خلوة وتتمّ مع شخص آخر، هو هنا ورقة!(١٠٦). ويسأل عن هذا "الادّعاء بأنّ الكعبة كانت كنيسة. وكيف تَقبلُ الكنيسةُ أن تقوم فيها آلهة متنوّعة!!"(١٠٧).

عن هذه التعجبات والتساؤلات **نجيب** :

١. في مكّة جماعة نصرانيّة لا يستهان بها.

٢. القسّ ورقة كان خادما لهذه الجماعة وزعيمها الديني.

٣. إنجيل العبرانيّين كان كتابها ومرجعها في عقيدتها الدينيّة.

٤. ألقرآن المكّي كان ترجمة عربيّة ميسّرة ومصدّقة لإنجيلها.

٥. معظم قريش كان على النصرانيّة الحنيفيّة السمحة.

٦. عبد المطلب كان زعيمها السياسي، وورقة زعيمها الروحي، وأبو طالب كفيل النبيّ وعمّه، وخديجة زوجه وحاضنته.. ولا أحد "تنازل عن دوره لأحد".

٢٢ ـ مدافن الحنفاء

عن موت ورقة ضريرا أصمّ، في السنة الرابعة من الدعوة، وعن دفنه في "الحجون" مدافن الحنفاء، يتساءل النقيب عمران: "لو كان للنصارى ذلك الوجود الواسع في مكّة والحجاز، لكانت لهم مقبرة خاصّة بهم"(١٠٧).

نسأل النقيب: أليست وحدة المدافن دليلا على وحدة النصارى والحنفاء!! ومَن هم الحنفاء في رأيه! ألم يكن القسّ ورقة منهم، وهو قسّ نصرانيّ أيضا! وبالتالي يدفن في مدافن الحنفاء أو النصارى، حيث دفنت المرحومة والدة النبيّ. فإذا كان ورقة قسّا نصرانيّا، يدفن في الحجون، وإذا كانت الحجون مدافن الحنفاء، فيكون ورقة النصراني، إذاً، من الحنفاء. وبالتالي، يكون نصرانيّا و(أو) حنيفيا. معنى ذلك: أنّ النصرانيّة هي الحنيفيّة.

٢٣ ـ حسابات النقيب

يسأل النقيب عمران كيف استطاع القسّ ورقة أن يؤثّر على النبيّ، وقد "كان في أواخر سنواته أصمّ أعمى"(١٠٧). ويردّد: "إنّ شخصا تجاوز المئة عام وجثمت عليه مع هذه الشيخوخة عوامل المرض والصمم والعمى لن يستطيع للرسالة الإسلاميّة الناهضة نفعا ولا ضررا"(١٠٨).

نقول للنقيب : أليس لسنوات الصحّة والعافية عند ورقة أيّ أثر على النبيّ، حتّى يقال أنّ سنوات المرض الأخيرة هي التي أثّرت فقط على النبيّ! أليس لسنوات ما قبل الدعوة في حسابات النقيب حساب! هل يعقل أن تكون السنون الأربع والأربعون، التي كان فيها القسّ والنبيّ متصادقين متفاعلين متحابّين، هي فقط سنو شيخوخة ومرض!!!

٢٤ - منطق النقيب

عند نقيب المحامين هذا المنطق: قال النبيّ: "لا تسبّوا ورقة، فإنّي رأيتُ له جنّةً أو جنّتين". وقال أيضا: "رأيت ورقة في الجنّة، وعليه ثياب من حرير"... يستنتج النقيب من "هذه الأحاديث، لو صحّ صدورها عن النبيّ، لا تنفي أنّ ورقة في السنوات الأخيرة أنّه كان أصمّ أعمى، وقد تجاوز المائة عام عندما مات"(١٠٨).

نسأل النقيب : كيف ربط بين النتائج والمقدّمات؟! ومَن قال بأنّ ورقة، في عماه وصممه، لا يستحقّ الجنّة والحرير؟! ومَــن قال بأنّ الأعمى الأصمّ لا يستحق الجنّة؟!

وثمّة نموذج آخر من منطق النقيب. يقول: "لماذا لم يتساءل (أبو موسى) عن الموانع التي منعت ورقة من الإسلام وإعلان الشهادتين ما دام أنّه هو صانع الدين الجديد وواضع القرآن؟". ويقول أيضا: "ولماذا لم يأتِ الحديثُ الشريف "لا تسبّوا ورقة لأنّه آمن وأسلم وأعلن الشهادتين"؟ (١٠٨).

نقول للنقيب : أين يجد الشهادتين في القرآن؟ ومتى وجدت في الإسلام؟ وهل في القرآن أكثر من شهادة واحدة : "أن لا إله إلاّ الله"؟ وهل يَطلبُ النقيبُ من القسّ ورقة أن يشهد بـ" أنّ محمّداً رسول الله"، ومحمّدٌ لم يزلْ، في أيامه، يقاتل، ويغزو، ويجاهد، ويكثر من النساء ليستقرّ له حال؟

ثمّ هل نصرانيّة القسّ ورقة تختلف عمّا يدعو إليه النبيّ حتى يطالب النقيبُ ورقةَ بإعلان إسلامه؟ وهل تعاليم الإسلام المكّي تختلف عن تعاليم نصرانيّة القسّ والنبيّ حتى يطالب النقيب أيضا القسَّ ورقة باعتناق الإسلام؟

٢٥ - ألوسيط بين الله والنبيّ

يأخذ النقيب على أبي موسى فيقول: "كان يتوجّب عليه (أي على أبي موسى) أن يبيّن جوهر هذا الوسيط (بين الله والنبيّ) وطبيعته، هل هو جبريل بذاته؟ أم هو نسخة عنه؟ هل أرسل (ورقة) نفسه؟ أم أرسله الله؟ وما هي مضامين هذه الرسالة؟ ولم لم يكن هو الرسول بدلا من محمّد؟" (١١٠).

نقول : إنّ أبا موسى يجهل، ولا يستطيع إطلاقا أن يبيّن للنقيب شيئا ممّا طلبه: لا جوهر الوسيط، ولا طبيعته، ولا وجود جبريل، ولا وساطته مع النبيّ، ولا من انتدبه، ولا من كلّفه، ولا بما كلّفه، ولا أمرا واحدا من أمور السماء... جلّ ما يعرفه أبو موسى، ويردّد، أنّ وراء النبيّ محمّد ألقسّ ورقة، ووراء القرآن المكّي أنجيل العبرانيين، ووراء الإسلام النصرانيّة.

ويعترف أبو موسى أيضا بأن الله لا يتدخّل في أمور الإنسان على حساب حريّته؛ ولا يتحدّى قوانين العالم التي رسمها نزولا عند رغبة ملاك أو إنسان. فالله قد وضع أسبابا طبيعيّة رائعة الكمال والجمال، وجعل العالم يسير بموجبها بانتظام. وترك للإنسان حرّيّة الإختيار والقرار والمسار...

ثمّ يمزح النقيب بقوله : "إذا كان ورقة هو الوسيط بين الوحي ومحمّد، فمن هو الوسيط بين الوحي وعيسى؟ وبين الوحي وموسى؟" (١١١).

نهمس للنقيب : ورقة هو الذي اختار محمّدا، وزوّجه، ووجّهه، ودرّبه، وعلّمه، وأعدّه، وعضده، وكفله، ورقّاه، وبقي بقربه طوال أربعٍ وأربعين سنة، لكي يهيّأه لتسلّم الحركة الدينيّة الإجتماعيّة الجديدة الرائدة التي هي الإسلام.

***

رابعاً ـ ألقسّ والنبيّ في المعترك

٢٦ ـ زواج النبيّ

يحاول النقيب عمران المقارنة بين زواج المسيحيين اليوم وزواج النبيّ بالأمس، فلا يجد أيّة مقارنة. فيستنتج بـ"أن لا علاقة لزواج محمّد بزواج المسيحيين كما نشاهده اليوم"(١١٩).

نقول للنقيب : إنّه على صواب، لأنّ الزواج عند نصارى الأمس يختلف تماما عن الزواج عند مسيحيّي اليوم.

ثمّ يثبت النقيب عمران التدخّل الإلهي في زواج محمّد من خديجة، ويردّ على أبي موسى، نافيا كلّ رغبة طبيعيّة أو ميل جنسي بين النبي وخديجة. يقول: "إنّ العلاقة بين محمّد وخديجة علاقة عمل لا استخدام.. وإنّ الزوجين إبنا عمّ، فلا يمكن أن ينظر الواحد الى الثاني بهذا المنظار"، أيّ منظار الإستخدام والمتعة الجنسيّة. يضاف الى ذلك، "إنّ المواهب التي سكنت في شخصيّة محمد جعلت شخصيته فاتنة... ممّا ينزّهها عن هذا المستوى. ولو كان الفارق بهذا المعيار لما قبلت سيّدة قريش أن تتزوّج منه..."(ص١٢٠). معنى ذلك: إنّ النبيّ، وهو خير البشر، يُجَلّ عمّا اتّهمه به أبو موسى.

نقول : هناك فرق بين نظرة أبي موسى ونظرة النقيب الى موضوع زواج النبيّ من خديجة. فأبو موسى ينظر الى الوقائع التاريخيّة، كما قدّمها كتّاب السير المسلمون أنفسهم؛ والنقيب عمران ينظر اليها نظرة إيمانيّة لتدخّل إلهيّ فائق الطبيعة. ونقول : إنّ الحلّ يجب أن يكون من طبيعة الموضوع حتى يكون

المنطق واحدا ومشتركا بين الإثنين. فلا نحشرنَّ الله حيث نشاء.

٢٧ ـ خلوة بين القراءة والتأمّل

عند النقيب هذه المشكلة: كيف يقول أبو موسى بأنّ الخلوة كانت تقوم على المطالعة والقراءة والدراسة والإسترشاد؟! فيما هي، في جوهرها، لا تقوم إلاّ على الصمت والتأمّل وانقطاع الحركة؟!.. هذا التناقض، عند أبي موسى، هو "جرأة على الحقيقة، لا يوفيها حسابها إلاّ قوله تعالى: "فمن أظلم ممّن افترى على الله كذبا ليضلّ الناس بغير علم"[39] (ص١٢٣).

نقول : هذا الجهل عند نقيب محاميي طرطوس هو، في الحقيقة، جرأة على الحقيقة وعلى العقل البشري معا. فأين هو التناقض في خلوة تقوم على التأمّل والصمت والقراءة والدراسة والإسترشاد معا؟!

ويكمّل النقيب عرض مشكلته، ويقول : "كيف تسنّى لهذا المؤلّف (أبي موسى)، بعد أربعة عشر قرنا، أن يصف خلوة النبيّ ويحدّدها؟!.. وكيف استطاع أن يقف على ممارسات محمّد في خلوته؟!.."(١٢٤). وبسبب تطاول أبي موسى على اكتشاف خلوة النبيّ واتّهامه بما اكتشف، استحقّ أبو موسى حكما من النقيب مبرما. قال: "تلك كلّها من جرائم العلم والأدب، التي يلازمها واجب العقاب. فلا يشملها تقادم ولا عفو"(١٢٤).

ماذا يعني هذا الكلام"!!! ومن هو، والحالة هذه، في "غمرة الاندفاع العاطفي"، ألنقيب أحمد عمران أم أبو موسى الحريري؟! وعمّن يدافع عمران؟ وعلى مَن يتهجّم أبو موسى؟!

39 سورة الأنعام، ٦ /٤٤.

٢٨ - شـهر رمضــان

ينتقل النقيب عمران الى الكلام على رمضان، فيطعن بأبي موسى ويقول له بأنّ رمضان ليس شهرا نصرانيا، بدليل "عدم تمسّك المسيحيّين به"(١٢٥)، ولأنّه شهر "له قدسيّة خاصّة"، "لأنّ الله اختار إنزال القرآن فيه، ولأنّ صحف إبراهيم نزلت في أوّل ليلة منه، ولأنّ التوراة نزلت لستٍّ مضينَ منه، ولأنّ الإنجيل نزل لثلاث عشرة خلتْ منه"(ص١٢٦)... هذا ما جاء في تفاسير إبن كثير والجلالين لآيات سورة البقرة (٢/ ١٣٢-١٨٥).. وهذا ما يتبنّاه النقيب أحمد.

نقول : إذا كان كلام النقيب صحيحا، فإنّ حجّة أبي موسى في اعتبار رمضان شهرا نصرانّيا، جاءته من النقيب عمران نفسه. أي: إذا كان رمضان شهرا مباركا عند المسلمين، بسبب نزول القرآن فيه، فإنّه أيضا شهر مقدّس عند آل إبراهيم، واليهود، والنصارى، بسبب نزول صحف إبراهيم، والتوراة، والإنجيل.

في أيّ حال، نقول للنقيب :

١- إنّنا نتكلّم على النصارى، لا على المسيحيين.

٢- والنصارى يصومون رمضان منذ ما قبل محمّد والقرآن.

٣- أمّا المسيحيّون اليوم، فقد اختفى من عندهم رمضان، فيما الصيام والزمن المقدّس لم يختفيا.

٢٩ - نوبات النبيّ

لقد سجّل أبو موسى تلك النوبات والأعراض الجسديّة التي كانت تحدث للنبيّ، وذلك من كتب الأحاديث والسنّة والسير النبويّة التي كتبها المسلمون أنفسهم. إلاّ أنّ النقيب عمران، الذي يقرّ بها،

يعتبرها أمرا طبيعيّا في النبيّ؛ وهو "لم يصطنعها. فهي طبيعيّة. ولم تحدث لأحد غيره من الأنبياء...وهذان دليلان على أنّ النبيّ يفوق سائر الأنبياء، ويتميّز بهما عنهم جميعا"(١٢٧).

ويزيد النقيب بأنّ "تلك الأعراض ظلّت تأتيه بعد موت ورقة، وطيلة نزول القرآن"؛ وهو دليل آخر، عند النقيب، على أنّ ورقة ليس هو الذي علّمها لمحمّد.

نقول :

١- هل النوبات والأعراض الجسديّة هي دلالات على تفوّق محمّد وتميّزه على سائر الأنبياء؟! كيف ذلك؟!

٢- هل هذه النوبات والصرعات هي من نعم الله على محمّد، أم أنّها إرهاصات كان منها جزعاً ومضطرباً؟! وكم من الرهبان والكهّان عالجوه ليشفى! وكم اهتمّت به خديجة، وحملته الى حيث تجد له علاجاً شافياً!

٣- وهل هذه النوبات، بكونها ظلّت تحدث للنبيّ بعد موت ورقة، هي دليل على نبوّة محمّد، بسبب أنّها استمرّت بعد موت ورقة؟! كيف ذلك؟!

٣٠ - دور القسّ ورقـــة

يقول أبو موسى، نقلا عن السير النبويّة، إنّ محمّداً لازم القسّ ورقة أربعاً وأربعين سنة، وتدرّب على يده... ويتساءل النقيب عمران: أين هي حليمة السعديّة مربيته؟ "أنسيها أبو موسى؟" أم "شطبها من اهتمامه"؟(١٢٨). أشَطَبَ أيضا اهتمام جدّه، وعمّه؟ أو نسي سنوات التجارة بين بلاد اليمن والشام؟.. ألم يكن لهذه أثر ما على النبيّ؟ أم أنّها كلّها "طواها أبو موسى ووضعها في جيب ورقة؟"(١٢٨).

نقول للنقيب عمران: إذا حدّد أبو موسى موضوع البحث، وحصره في دور القسّ ورقة، فهذا لا يعني إطلاقاً أنّه ألغى، أو أنكر اهتمام جدّه، وعمّه، وزوجته، ومرضعته، وباقوم وقين وعيص وعدّاس النينوي والراهب بحيرا وسواهم... ألبحث يقتصر هنا على دور القسّ ورقة؛ وأبو موسى لم يتراجع، إنّما يركّز ويحدّد.

٣١ - ألنّـبيّ الأمّــيّ

يقول أبو موسى إنّ "الأمّي" لا يعني الجاهل بالقراءة والكتابة، بل يعني "غير الكتابيّ"، أي من ليس له كتاب منزل، أي من ليس هو من اليهود أبناء إسحق... يرفض النقيب عمران، طبعا، هذه المقولة. ويقول بإصرار إنّ محمّدا كان أمّيّاً، أي جاهلا بالقراءة والكتابة... ولإثبات حجّته، يقول: "هل يمكن الأخذ بنظريّة المؤلّف (أبي موسى) لنعتبر أنّ الأمم التي اعتنقت الإنجيل، وهي لا تتكلّم اللّغة التي نزل فيها، هي أمم أمّيّة، لأنّ الإنجيل لم ينزل بلغتها؟ هل يطلق مفهوم الأمّيّة على الأمم الإنكليزيّة والإفرنسيّة والألمانيّة والإيطاليّة والأمم الأخرى؟"(١٣٠).

نقول للنقيب: إنّ الإمّيين ليسوا جهّال القراءة والكتابة، بل هم من ليس لهم كتاب منزل. يقول النقيب: لا بل هم جهّال القراءة والكتابة. نقدّم له البراهين من القرآن والأحاديث والوقائع التاريخيّة، يقدّم لنا أعجوبة من السماء بأنّ محمّدا هو نبيّ عظيم لأنّه أعطى كتابًا عظيمًا وهو لا يعرف القراءة والكتابة، فلن يكون بمقدوره تحريفه أو تزويره، مثل ما صنع اليهود والنصارى بكتبهم.

والمنطق نفسه يستعمله النقيب بالنسبة الى أمّيّة القبائل اليهوديّة والنصرانيّة، ومنهم القسّ ورقة. يقول: "كثير من القبائل

تعتنق النصرانيّة وإنجيلها، واليهوديّة وتوراتها، فهل كانت تلك القبائل أمّية، لا يستثنى منها حتى ورقة بن نوفل الذي يتقن القراءة والكتابة بلغات شتّى؟"(١٣٠).

للنقيب **نقول** مكرّرين: إنّ الأمّيّة ليست جهلا بالقراءة والكتابة، ويقول لنا مردّداً: إنّ اليهود والنصارى إذاً كانوا أمّيّين أي جهلة بالقراءة والكتابة.. ويزيدنا النقيب شرحًا وتفسيرًا، متسائلا: "ألأنّ الإنجيل والتوراة لم ينزلا بلغة الأمّة العربيّة.. يطلق على العرب مفهوم الأمّيّة؟(١٣١).

نقول : هذا الإصرار من النقيب يخيفنا، لأنّنا نشعر، معه، بأنّنا في مغامرة عقليّة صعبة، لا توصل الى أي شيء. ومع هذا، نقول ونردّد: إنّ لفظة "أمّة" ومشتقاتها، التي ترد في القرآن أربعا وستين مرّة، لا تعني جهل القراءة والكتابة؛ بل تعني من ليس عنده كتاب منزل، كما هم عليه أبناء إسماعيل. فالأمّيون في القرآن يُذكرون معظم الأحيان بمقابل الكتابيين. ومحمّد هو من الأمّيّين وليس من الكتابيّين، أي من العرب وليس من اليهود.

٣٢ ـ كرهٌ أم تقدير؟

قال النقيب عمران: "ثمّة عقدة تعاني منها أفكار المؤلّف (أبي موسى) في كتابه هذا وفي كتب سلسلة الحقيقة الصعبة كافة، وهي كرهه الشديد لرسالة الإسلام ونبوّة محمد. فهو لا يستطيع أن يرى في النبيّ أيّة صفة من صفات النبوّة.. ولا يستطيع هجران عواطفه اللدودة الموروثة"(١٣٩).

نقول بكلّ مسؤوليّة: لا كره عند أبي موسى للإسلام. بل للإسلام عند أبي موسى إعتبار لا يوازيه في الدنيا اعتبار آخر سوى النصرانيّة، التي منها قدّ، وعليها اعتمد، وفيها عمل، واليها يرجع...

بهذا المعنى، يكون الإسلام، بالنسبة الى أبي موسى، حركة دينيّة اجتماعيّة سياسيّة ثوريّة إصلاحيّة عظيمة جدّا. وما تعاليمه إلاّ تعاليم تلك الشيع النصرانيّة التي كانت في مكّة والحجاز آنذاك.

لهذا، ولو تعمّدنا مرّة إزعاج صاحبنا أحمد عمران، نقول: إنّ الإسلام يعني أبا موسى أكثر ممّا يعني أحمد عمران؛ لأنّ الإسلام إنما هو جزء من التراث النصراني العربي في بداية القرن السابع للميلاد؛ ولأنّ القرآن، هو أيضا، كتاب النصارى العرب؛ وتعاليمه ومعتقداته هي نفسها تعاليم النصارى آنذاك ومعتقداتهم. ويذهب أبو موسى الى أبعد من ذلك ليقول بأنّ قريشا والكعبة والحجر الأسود هي من تراث الكنيسة النصرانيّة المكّيّة.

كيف، والحالة هذه، يستطيع النقيب عمران إتّهام أبي موسى بـ"العواطف اللدودة الموروثة"، وبـ"كره الإسلام"؟! نقول للنقيب، لكي يطمئنّ خاطره: قد يستطيع اتّهام أبي موسى بإنكار الوحي والإنزال والنبوّة، بحسب مفهوم النقيب وأمثاله، ولكنّه لا يستطيع أن يتّهمه بإنكار دور محمّد الديني والإجتماعي في مكّة والجزيرة العربيّة، والعالم قاطبةً.

٣٣ ـ نبوّةٌ أم خلافة؟

يتّهم النقيب عمران أبا موسى بأنّه ضائع بين فكرتين متناقضتين: ألإقرار بنبوّة محمّد، من جهة؛ والقول بخلافته للقسّ ورقة، من جهة ثانية. ويضع النقيب نفسه مكان القارئ الذي بات، هو الآخر، ضائعا بين أفكار أبي موسى المتناقضة (١٤٢) ثم يبدي النقيب تعجّبه من تناقض أبي موسى، ويتساءل: "ماذا يريد أبو موسى أن يكون محمّد؟!"(١٤٢). ويتساءل أيضًا: "وقرآن الإسلام! هل هو كلمة الله!.. أم كتاب مترجم عن كتاب أعجمي؟" ثم يحاول أن يقوّل أبا موسى ما لم يقله، ويتّهمه بما قوّله إيّاه؛

فيسأل:"كيف يتسنّى لقسّ - وهو من البشر - أن يسيطر على نبيّ؟!"(١٤٢). ويكرّر: "كيف له، وهو الإنسان أن يعلن عن نبيّ؟!"(١٤٣).

نقول للنقيب عمران : محمّد هو هذا :

كان محمّد ولدًا يتيمًا، مريضًا، فقيرًا، فاقد حنان الأب والأمّ، وعطف الأخ والأخت، راعي غنم في بطاح مكة، تاجرًا أمينًا لسيّدة غنيّة جدّا، صديقا للفقراء والبائسين، مدافعًا عن "الأذلّة" و"المرذولين"، ثائرًا على مجتمع فاسد مقسّم بين طبقتين متقاتلتين، أغنياء أثرياء وفقراء مساكين، ومصلحًا لهذا الفساد الطامي بكل ما أوتي من ذكاء وقوّة، مدعوماً بأموال خديجة التي تزوّجته، ابتلاعًا للثورة التي قد تبتلعها إن لم تتدارك خطرها، ومعتمدًا على صديقه ونديم جدّه ومرشد الثورة قسّ مكّة، ومناضلاً عن قيم دينيّة توحيديّة، وعاملاً من أجل إصلاح شامل في مجتمع عجيب في كل شيء...

ونقول للنقيب أيضا : "إنّ الدين الجديد، كما يقول الدكتور خورشيد البرّي، ليس سوى ثورة شاملة، وإنّ القرآن هو كتاب الثورة المعبّر عنها". وكما يقول أيضا: "وكان الإسلام ثورة تعمل على تغيير المجتمع.. والسبيل السليم الى إصلاح المجتمع"[40].

ونكرّر للنقيب أيضا: الإسلام حركة دينيّة، إجتماعيّة، توحيديّة، ثوريّة، سياسيّة، هدفها: إصلاح مجتمع فاسد، مقسّم، وتوحيد شيع دينيّة متقاتلة، وعقائد ماورائيّة متناقضة، وجمع كتب عديدة في كتاب واحد هو "القرآن".

وإذا كان من نبوّة، أطلقتْ على محمّد، فهي تعني، في

40 الدكتور عبدالله خورشيد البريّ، **ألقرآن وعلومه في مصر (سنة ٢٠-٣٥٨ هـ.)**، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٠، ص ١٠٩ و١١٢.

المجتمع الذي أطلقت فيه، مهمّةَ الإصلاح الديني الإجتماعي الشامل، لا كليم الله والملائكة والأرواح والغيب. والنّبي، في كلّ حال، هو قائد شعبيّ، أكثر ممّا هو كليم الله.

٣٤ - ورقة يعلن عن محمّد

حكمُ النقيبِ عمران على إعلان ورقة عن نبوّة محمّد يثير العجب. يقول: "ليست إعلانات صادرة عن ورقة بن نوفل، بل هي وقائع جرت للنبي محمد"(ص١٥٠).

نقول للنقيب عمران :

أوّلاً - من قال له إنّ هذه الإعلانات "هي وقائع"، وليست أسلوبا أدبيّا مألوفا، يعبّر عن فكرة لا عن أحداث ووقائع!!؟

ثانياً - ثم لنفترض أنّ حكمَ النقيب صحيح، فأبو موسى لا يطلب أكثر من هذا. أي: إنّ هذه "الوقائع التي جرت للنبيّ" لم يفسّرها إلاّ القسّ ورقة، ولم يعلن عن معانيها وأبعادها إلاّ الخبير بها، ألقسّ ورقة. وخديجة لم تطمئنّ إلى هذه الوقائع إلاّ بعد استشاراتها القسّ ورقة وإرشاداته.. فلكأنّ القسّ ورقة، الذي فسّر لنا ما سيكون عليه محمّد، هو النبيّ لا محمّد. ولكأنّ محمّدا، بتدخّل القسّ ورقة، هو خليفة هذا القسّ على جماعة مكّة لتوحيد عقيدتها وشيعها وكتبها، في عقيدة واحدة هي "لا إله إلاّ الله"، في شيعة واحدة هي "الإسلام"، وفي كتاب واحد هو "القرآن".

ثالثاً - ولكي يثبت النقيب عمران قول أبي موسى في نبوّة ورقة ودوره الكبير في حياة محمّد، يقول: "وإذ ذاك عاد (ورقة) الى بعض نسخ التوراة الحقيقيّة"(١٥٠).

نقول : إنّ كلام النقيب يعني إنّ التوراة، التي بين أيدي معاصري القسّ ورقة، كانت مزوّرة ومحرّفة؛ والتوراة الحقيقيّة

أخفاها ربابنة اليهود، لكي لا يجد الناس فيها البشارة بمجيء النبيّ محمّد. وحده القسّ ورقة، في رأي النقيب وأصحابه، كان لا يزال، لكثرة شرّه بمخالفة الربابنة اليهود، أو لكثرة خيره بالمحافظة على النسخة الحقيقيّة، استطاع أن يعرف ما سيؤول اليه إخفاؤه للتوراة الحقيقيّة من خير عظيم. لكأنّ القسّ ورقة، مرّة أخرى، وبشهادة عمران نفسه، هو النبيّ العظيم الذي لا يضاهى.

٣٥ - تفسير الآيات

يدور كتاب النقيب أحمد عمران، في معظمه، على تفسير الآيات القرآنيّة التي يستشهد بها أبو موسى في كتابه "قسّ ونبيّ". ويركّز النقيب على أخطاء أبي موسى في تفسيرها، وعلى سوء استعماله لها، كما على سوء نقلها، وفصلها، واجتزائها، وبترها، وعدم فهمها، واللعب في معانيها، والتعدّي عليها، وجهل أسباب نزولها...

ثم يشنّ النقيب حملة شاملة على ما سمّاه بـ"سطو" أبي موسى على القرآن (١٣٥، ١٩٧،٣٥٥)، وبـ"نهب آياته"(٢٢٢، ٣٤١)، و"اغتيالها" (٣٤١)، و"مصادرتها"(٢٤٨، ٢٧٢، ٣٩٩)، و"وضع يده عليها"(٢٩١، ٣٩٩)، ومحاولة خداع الناس خداعًا مكشوفًا..

نقول للنقيب عمران، ويشمل قولنا مآخذه كلّها على تفسير أبي موسى:

أوّلاً - إنّ الخلاف كلّه في الإسلام، من نشأته حتى اليوم، يدور حول تفسير القرآن، وتأويل آياته، والإجتهاد في معرفة الباطن من الظاهر، وفي معرفة أسباب نزول كلّ آية من آياته، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وما إلى ذلك من علوم أدّت الى انقسام الإسلام الى ثلاث وسبعين فرقة، على حدّ قول النبيّ نفسه... فهل

من عجب، بعدُ، على اختلاف النقيب عمران مع أبي موسى، علمًا بأنّ أسباب الاختلاف بينهما قد بدأت قبل تفسير الآيات!!!

ثانياً - ثم أيضًا، إن استشهد أبو موسى، مثلاً، بآيات الاطمئنان القرآنيّة، وطبّقها على حالات النبيّ يوم كان القسّ ورقة يهدّئ من روعه وقلقه، فهل هذا أمر منكر وغير مألوف، أم أنّه أسلوب جائز، لأنّ الإستشهاد من أجل توضيح فكرة ما لا يعني أنّ ما نستشهد به قيل لهذه المناسبة. بل يعني أنّه يعبّر عن مثل هذه المناسبة. وليت النقيب عمران ناقش أبا موسى بهدوء أعصاب، وبـ"سكينة واطمئنان"، لاضطرّ أبو موسى، والحالة هذه، الى الاستشهاد بآيات "السكينة والاطمئنان" نفسها، دون أن تكون المناسبة نفسها؛ لأنّ عمران في زمن والقرآن في زمن.

٣٦ - من هو النبيّ ومن هو القسّ؟

هذا العنوان يستثير حفيظة النقيب عمران، فيقول: "في هذا العنوان يلقي المؤلّف بيننا أحجية مستحيلة الحلّ"(١٥٩). هذه الأحجية المستحيلة عبّر عنها النقيب كما يلي: "من منهما - ورقة ومحمّد- هو النبيّ؟ من منهما هو القسّ؟ وهل يمكن أن يتبادلا الأدوار؟ أو هل يمكن أن يكون كلّ منهما قسّا ونبيّا معا؟ وهل هما شخصان ومهمّتان؟ أم شخص واحد بمهمّتين؟ أم شخصان بمهمّة واحدة؟ هذه الأحجية لم يطلقها أبو موسى لكي يلقي لها حلاّ عند أحد"(١٥٩-١٦٠).

نقول للنقيب :

هذه حقّا أحجية. إنّما ليست هي من تأليف أبي موسى وتلحينه إطلاقا؛ بل هي من تأليف النقيب عمران وتلحينه فعلا. ليطمئنّ عقل النقيب وقلبه : إنّ الأحجية عند أبي موسى حلّها في عنوانها، وهو ما أكّده كتّاب السير والمحدّثون والمفسّرون والمؤرّخون

المسلمون على القسّ ورقة من إعلانات نبويّة مستقبليّة على محمّد. وما أكّدوه يقطع بأنّ القسّ ورقة كان نبيّا، بالمعنى العمراني، ولا أعظم. ولولاه - على ما أكّده الكتّاب المسلمون جميعهم - لما اطمأنّ إنسان إلى نبوّة محمّد. **هذه واحدة**.

أمّا **الثانية** فتقوم على أنّ المؤرّخين والمحدّثين والمفسّرين وكتّاب السير يجزمون بتبعيّة محمّد للقسّ ورقة، وباهتمام القسّ ورقة بمحمّد اهتماما بالغا الى حدّ أنّنا نجزم معهم ونقطع بأنّ محمّدا وقع بين يدي القسّ ورقة وقعة عظيمة.

و**الثالثة** تقوم على أنّ أبا موسى، من بدء كتابه حتى آخره، يعترف بدور محمّد الديني والإجتماعي، ويؤكّد بأنّ ما قام به محمّد، بدعم من القسّ ورقة وخديجة والصحابة الأوّلين، في توحيد الكتب في كتاب واحد إسمه "القرآن"، وتوحيد الشيع في دين واحد إسمه "الإسلام"، وتوحيد العقائد في عقيدة واحدة بسيطة إسمها "لا إله إلاّ الله"، ما قام محمّد هو مفخرة للعالمين.

فهل يكون أبو موسى، بعد هذا كله، مجحفا بحق محمّد، والقرآن، والإسلام؟ بل من هو المجحف بحق محمّد: أبو موسى أم الذين نزعوا كل فضل عن محمّد وأناطوه بجبريل؟!! ثم أيّ أسلوب فظّ للنقيب يستعمله في حقّ أبي موسى الذي، بحسب تعبيره، "ظلّ طيلة البحث السابق جاهدا، لاهثا، يتفصّد جبينه عرقا"(ص١٦٠)!!!

٣٧ - ألتبنّي

يقول أبو موسى في كتابه : إنّ القسّ ورقة تبنّى محمّدا، فعلّمه، ودرّبه، واهتمّ به ليخلفه على قيادة جماعة مكّة الدينيّة والزمنية...والإستاذ عمران، نقيب محاميي طرطوس، يأخذ على أبي موسى لفظة "التبنّي"، ويلومه قائلاً: "هل قدّر(أبو موسى)

المعنى الإجتماعي لمفهوم التبنّي، في عصر ما قبل الإسلام وفي الجزيرة العربيّة؟.. ألتبنّي معناه أن يُنادى على محمّد باسم "محمّد بن ورقة"(١٦٢). ألتبنّي، إذا، لفظة غير جائزة، وعلى أبي موسى أن يفهم معاني الكلمات التي يستعملها للنبيّ الذي يُجَلّ عن أن يَنتسب الى غير والديه.

نقول :

أوّلاً - نأسف أن يفهم نقيب محاميي طرطوس هذا التبنّي بالمعنى الحقوقي الذي جاءنا به.

ثانياً - تبنّى تعني هنا : اختار، ميّز، أخذ على عاتقه، اهتمّ... وليس في ذلك شأن لنظريّة التبنّي التي يرفضها المسلمون، لسبب معروف في قصّة المرأة العظيمة الجمال زينب بنت جحش زوجة ابن النبيّ بالتبنّي زيد بن حارثة.

ثالثاً - إنّ التبنّي - إذا افترضنا أنّ أبا موسى استعمل اللفظة بالمعنى الذي شاءه النقيب عمران- كان جائزا في ذلك الوقت، إذ لم يكن بعد في أيّام القسّ ورقة محرّما. لقد جاء التحريم متأخرا جدا؛ إنّه من زمن زواج النبيّ من زينب، من السنة الرابعة للهجرة.

فما رأي النقيب في كلّ هذه؟ وفي غير هذه؟ والآتي أعظم!!!

***

خامساً ـ إنجيل العبرانيّين وقراءته العربيّة

٣٨ ـ إنجيل العبرانيّين

يكرّر النقيب عمران جهله في شأن إنجيل العبرانيين، ويقول بـ"أنّ الترجمة التي كان يقوم بها ورقة هي بالعبرانيّة، وليست من العبرانيّة" (ص ١٧١). وفي اعتقاده أنّ ما هو في العبرانيّة هو التوراة وليس الإنجيل الذي كان بالأراميّة. معنى ذلك، عند النقيب، أنّ القسّ ورقة كان يترجم الإنجيل من الأراميّة الى العبرانيّة.

نقول للنقيب :

أوّلا ـ هناك إنجيل منحول معروف في تاريخ الكنيسة، إسمه بالتمام: "ألإنجيل بحسب العبرانيّين"، أو "إنجيل العبرانيّين"، أو "الإنجيل العبراني"، أو "الإنجيل بالعبرانيّة"... إنّها أسماء لمسمّى واحد. وهي ليست صفة للكتاب، إنّما هي نسبته؛ ولا هي لغته، إنّما لغته كانت الأراميّة، التي عنها نقل القسّ ورقة الى العربيّة. وشهادة إبيفانوس، أسقف قبرس (+٤٠٣م)، وغيرها من شهادات آباء الكنيسة، دليل. فلتراجع في كتاب "قسّ ونبيّ".

ثانيا ـ هذا الإنجيل كان موجودا، واسع الإنتشار، في الإسكندريّة، وحلب، وإنطاكيا، وليون، و"ربما في مكّة أيضا"؛ وذلك بحسب شهادات كثيرة من آباء الكنيسة، ذكرت في كتاب "قسّ ونبيّ". نقول الآن "ربّما"، لأنّ الدلائل، حتى الآن، ليست كافية؛ ستتضح بالتأكيد عندما نقارن التعاليم والمعتقدات بين المصادر النصرانيّة والقرآن العربي. فكان على النقيب عمران

أن يفهم معنى لفظة "ربما". فهي ليست، كما يقول، تفيد الشكّ، بقدر ما تفيد التروّي في الحكم الى أن يحين وقته.

ثالثا - ثم إنّ جلّ التعاليم الدينيّة في القرآن المكي متقاربة جدا من تعاليم المصادر النصرانيّة؛ بل هي إيّـــــاها. حتى أنّ القرآن المكّي يكاد (نأمل ألاّ يصطادنا النقيب بسبب فعل "يكاد") يكون في معتقداته الدينيّة ترجمة لهذا الإنجيل؛ أو القول الأصحّ: ألقراءة العربيّة له.

رابعا - هذه القراءة العربيّة للإنجيل العبراني هي قراءة ميسّرة ومصدّقة. وهي، بالتحديد والإسم واللفظ، "القرآن".

٣٩ - افتراض غير علمي

غير أنّ النقيب عمران يكرّر علينا قوله بـ"أنّ الإنجيل العبراني -على فرض صحّة وجوده- كان مفقودا ومهجورا على المستوى الشعبي والكنسي منذ القرن الخامس"(١٧٢).

ونريد نحن أيضا أن نعيد على النقيب قولنا: كيف يحقّ له أن يشكّ بصحّة وجود هذا الإنجيل، ومعظم آباء الكنيسة والتاريخ الكنسي يتكلّمون عليه!!! وكيف يفترض أيضا أنّه إذا كان موجودا فهو مفقود ومهجور!! نسأل الإستاذ عمران: إذا استمرّ في رفضه وشكّه هذين، فليقل لنا كيف يكون باستطاعة العلوم الإسلاميّة أن تتقدّم!!! وهل الكتب المهجورة والشيع المبادة من التاريخ لا تبقي لها أثرا في عادات الشعوب وشخصيّتها؟! كيف هو العلم عند النقيب عمران؟!

٤٠ - ترجمة القسّ ورقة

يجزم النقيب عمران ويقول: "إنّ فرضية اعتكاف ورقة على ترجمة الإنجيل ووضع القرآن، بالرغم من أنّه لم يقم عليها

دليل تاريخي، هي ساقطة"(١٧٢). ويقدّم دعما لهذا السقوط الأسباب التالية:

١- "إستحالة وجود إمكانيّة لدى ورقة، أو غيره، للقيام بهذا العمل" .

٢- "إستحالة تاريخيّة متمثلة في عدم وجود أي أثر للترجمة العربيّة"

٣- "إستحالة فنّيّة.. بما يتطلّب مثل هذا العمل من عدد كبير ملمّين باللغات وجميع العلوم الكونيّة والتاريخيّة والدينيّة والقانونيّة".

نجيب على **الأوّل،** ونسأل النقيب: لماذا هذه الإستحالة؟ ألأنّ ورقة غير قادر؟ وهو الذي اختار محمّدا، ودرّبه، وعلّمه، وأعلنه قائدا ونبيّا؛ وهو الذي "انتهت إليه علوم أهل الكتاب"، على حدّ قول كتب السير. أم لأنّ القرآن العربي معجزة لا يقدر عليها إنسان؟ فمن أين جاء هذا القرآن إذا!!! جواب النقيب طبعا: ألله، جبريل، ألإنزال، ألوحي... ونسأل النقيب:ما الأيسر له؟ أن يعترف بأسباب مباشرة وملموسة للقرآن، أم الالتجاء الى الغيب ليستنبط منه إيمانه الموروث؟!!! لماذا لا يمنّ علينا النقيب بقبس من هذا الإيمان؟!! ولماذا لا يقنعنا بحججه ومنطقه؟! فإن كانت هي الحقّ، ألهذا الحدّ نحن مغلقين عليه؟!

ونجيب على **الثاني**: ما فتئنا نردّد على النقيب عمران بأنّ القرآن العربي هو هو إيّاه القراءة العربيّة للإنجيل العبراني الذي تولّى القسّ ورقة ترجمته. هذه القراءة، أكانت بالعربيّة، أم بالأعجميّة، هي هدىً وشفاء. جاء في القرآن: "ولو جعلناه قرآنا عربيّا، لقالوا: لولا فُصِّلَتْ آياتُه!!! أأعجميّ وعربيّ؟! قل: هو للذين آمنوا، هدى وشفاء. والذين لا يؤمنون، في آذانهم وقر، وهو

عليهم عمى"[41]. وجاء أيضا: "وإنّه لتنزيل ربّ العالمين.. بلسان عربيّ مبين. وإنّه لفي زبر الأوّلين.. يعلمه علماء بني إسرائيل. ولو نزّلناه على بعض الأعجمين، فقرأه عليهم، ما كانوا به مؤمنين"[42]. هذا الكلام يفيد، بوضوح، بأنّ القرآن، أكان في أصله الأرامي، أم في ترجمته العربيّة، هو هو إيّاه، فيه هدى وشفاء.

أمّا عن السبب **الثالث** فإنّنا نعلن انتصار النقيب أحمد عمران علينا. وسبب انتصاره ما يجد في القرآن من العلوم الكونيّة، أو لأنّ الله فتح عليه دون أن يفتح علينا. وكم حاولنا، مخلصين جادّين، أن نجد، كالنقيب، التلفزيون والقنابل النووية والهيدروجينيّة والأقمار الإصطناعيّة والهاتف الخليوي والكمبيوتر... فلم نفلح. ولا نعلم، ألقلّة إيماننا، أم لقلّة إدراكنا؟ إنّما الذي نعلمه -وهو عنوان فخرنا- أنّنا لسنا مغلقين على الروح الى هذا الحدّ...

ويستنتج النقيب: "هذه الإستحالات الثلاث تسقط الفكرة التي بنى عليها أبو موسى كتابه بكامله. وبسقوطها تبقى نظريّته معلّقة في الهواء دون أساس تستند اليه"(١٧٢). هذا الاستنتاج يأتي بطريقة عفويّة من تلك المقدّمات.

٤١ - ألثقة بأبي موسى على المحكّ

يستشهد أبو موسى بسورة يونس على الشكل التالي: "وما كان هذا القرآن (العربي) أن يفترى من دون الله. ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب (العبراني) لا ريب فيه من ربّ العالمين"(١٠ /٣٧)... هذه الآية، كما أوردها أبو موسى، استوقفت النقيب عمران، فقال: " أدهشني ما غاب عنّي وعن المسلمين وجميع من قرأ القرآن، أنّ القرآن نفسه تحدّث عن نفسه بأنّه

41 سورة فصلت ٤١ /٤٤.

42 سورة الشعراء ١٩٢/٢٦-١٩٣.

تعريب عن العبرانيّة. فبادرت الى القرآن، فوجدت الآية بكاملها، كالآتي، وهي خالية من كلمة "العبراني".

ويعلّق النقيب : "كيف أجاز المؤلّف (أبو موسى) لنفسه أن يضيف كلمة "العبراني" الى الآية؟!.. إنّ ذلك ينفي صفة الأمانة. ويلغي مصداقية التحليل العلمي لديه. ويفقد الثقة في ما يطرحه من نصوص..."(١٨٧-١٨٨).

نقول ونذكّر النقيب بأنّ ماهو بين قوسين يعني، عادة، في اصطلاح الكتابة والتأليف، مداخلة تفسيريّة من قبل المؤلّف. وهي، بالتالي، ليست من صلب النصّ الذي يستشهد به. علما بأنّ النصّ يوحي بها بحسب ما يجده المؤلّف. لكنّ للإستاذ عمران قواعد في التأليف والكتابة يمليها عليه معتقده الديني. مع أنّ النصّ واضح بأنّ ما بين يدي محمّد من قرآن هو "تصديق" و"تفصيل" لكتاب سابق، هو إنجيل العبرانيين.

٤٢ ـ ظروف القرآن وظروف التوراة والإنجيل

هناك إجماع عند المفسّرين المسلمين، ومنهم المفسّر عمران، على أنّ الله، في تنزيله القرآن، تجاوز الظروف التي أنزل فيها التوراة والإنجيل، مراعيا بذلك نسبية الزمان والمكان وتغيّرات الكون والعلم والقوانين (١٨٩).

بهذا القول يريد المفسّر عمران أن يقول لأبي موسى بأنّ القرآن لا يمكن أن يكون كتابا مترجما عن الإنجيل، وإلاّ كان الله يعمل في المناسبات والظروف نفسها التي أنزل فيها التوراة والإنجيل. والحال، في رأي عمران، إنّ الله، لفرط حكمته، يراعي الظروف والمناسبات وتطوّر الإنسان... ثم إنّ القرآن "منزّل من ربك بالحق"(٦ /١١٤)، و "ليس نقلا أو ترجمة. ولو كان منقولا

أو مترجما لما وصف بأنّه منزّل من «ربّك بالحقّ». فالله ينزل كتبه على أنبيائه بالوحي، فلا يترجمها"(١٨٩).

نقول :

أوّلا - إنّ الوحي -إنْ مِنْ وَحْي- يعتمد على معطيات بشريّة تاريخيّة اجتماعيّة علميّة؛ ويستند الى ما سبق، ويستلهم ما جاء به الحكماء من حكم، والفلاسفة من نظريّات، وعامّة الشعب من أمثال؛ كما يأخذ قصصه وأخباره من وقائع التاريخ، والعلوم والإكتشافات والتوجيهات الإجتماعيّة والروحيّة عند البشر الذين يكون "الوحي" من أجلهم؛ وإلاّ يكون الله يعمل في مكان والذين كان من أجلهم "الوحي" في مكان. والقرآن نفسه يشير الى أنّ الله يعلم أين يضع رسالته، وهو يرسل رسله بلسان قومهم.

ثانيا - إذا كان المسلمون يعتقدون بأنّ الله تجاوزبالقرآن ظروف التوراة والإنجيل، بسبب تطوّر الإنسان والعلوم، فلماذا يعتبرون القرآن، إذاً، حدّا أخيرا، وسدّا منيعا، لرحمة الله! ولماذا الله لا يتجاوز القرآن بوحي آخر، كما تجاوز التوراة والإنجيل بالقرآن! علما بأنّ الظروف تغيّرت، والمناسبات تبدّلت، والعلوم تطوّرت، والإنسان ترقّى جدّا، بل أضعاف أضعاف ما كان عليه أيّام نزول القرآن! أيكون الله ظالما في اعتباره الناس هم إيّاهم من أيّام القرآن حتى اليوم، أم يكون رحيما بما لا يقاس حتى أظهر منذ الأزل ما سيكون عليه الإنسان الى الأبد!!! نقول: لا القرآن، في رأينا، يستطيع أن يستوعب رحمة الله الواسعة، ولا الإنسان يستطيع أن يقف برقيّه وتطوّره عند الذي وقف عنده القرآن، ولا الله بظالم.

ثالثا - إنّ المسلمين الأوّلين، بسبب تبدّل الظروف والأحوال، أوجدوا في القرآن علما، دعوه "الناسخ والمنسوخ".

بموجبه قالوا إنّ الله، رحمة بالإنسان، غيّر وبدّل في أحكامه، فأنزل آية ثم بدّلها بأخرى، بسبب تبديل الظروف والمناسبات. نقول : إذا كان الله، بسبب تبدّل الظروف والمناسبات ، بدّل أحكامه خلال ثلاث وعشرين سنة، مرّات يصل بعضها الى أربع، أفلا يمكن لله أيضا أن يبدّل ويغيّر خلال ألف وأربع مائة وست عشرة سنة، نسوخات قد تصل الى مائتين وخمسين مرّة!!

ننقل عن الإستاذ أحمد أمين قوله في نظريّة "الناسخ والمنسوخ". يقول: "فإذا حدث هذا في ظرف ثلاث وعشرين سنة في حياة النبيّ (ص). فما بالك إذا اختلفت السنون، ومرّ أكثر من ألف عام، وتغيّرت الظروف بالفتح الواسع، وتغيّرت البيئات من حارّة الى باردة، ومن بداوة بسيطة الى مدنيّة معقّدة، والى معاملات لم تكن معروفة كالسلم ونحوه.. ألا يظنّ الناظر أنّ النبيّ (ص)، لو كان حيّا وواجه هذه الظروف، لنزلت عليه آيات كثيرة من آيات النسخ. والله الكريم الرحيم لم يخل الأمّة الإسلاميّة من تشريع مرن يقابل هذه الحياة الجديدة بالإجتهاد المطلق..."[43].

٤٣- شموليّة القرآن

في المنطق نفسه، يرفض النقيب عمران "العودة بالقرآن الى أصل عبراني"(١٩٢)، وذلك بسبب أنّ "الإسلام هو نظام عقائدي واجتماعي متكامل متماسك. فلا يمكن أن يكون هذا الصرح الكبير، الذي أحاط بجميع جوانب الكون والكائنات.. نسخة محكومة بأصل سبقها منذ عشرين قرنا" (ص ١٩٢).

نجيب : لماذا؟ وفي الإسلام مبدأ مآله أنّ رسالة محمّد جاءت تكمّل رسالة عيسى، ورسالة عيسى جاءت تكمّل رسالة موسى...

43 يوم الإسلام، مؤسّسة الخانجي بمصر ١٩٥٢؛ ص ٤٤-٤٥.

لماذا لا يعتمد القرآن على كتب الوحي السابقة؟ وهو القائل بأنّه جاء مصدّقا لما بين يدي محمّد من التوراة والإنجيل؟!!

ويكمّل النقيب عمران : " لا يمكن لمن يقرأ القرآن أن يوازي بينه وبين أي كتاب، لأنّ ما فيه من إعجاز بياني، وعلمي، وشموليّة كونيّة، وإحاطة بالماضي والحاضر والمستقبل، يفوق جميع ما في غيره من الكتب، ممّا يدحض كلّ زعم بأنّه مختصر عن غيره أو استخلاص منه" (ص ٢٠٤).

نقول للنقيب : هذا موقف إيماني. غير المؤمن بالقرآن ككتاب منزل لا يستطيع أن يجد فيه إعجازا بيانيّا، ولا إعجازا علميّا، ولا علوما كونيّة، ولا معرفة شاملة للماضي والحاضر والمستقبل... ولكن، هذا لا يعني أنّ القرآن ليس كتابا مرموقا، له مكانته بين الكتب التي رقّمت التاريخ... غير أنّه، وإن كان كتابا عظيما في الوقت الذي وُجد فيه، فهو اليوم ليس كالكتب العلميّة والقانونيّة والفلسفيّة ذات الأبعاد التي تختلف جذريّا عن أبعاد القرآن.

ونقول أكثر : إنّ بعض الدول والأنظمة والمجتمعات -حتى الملحدة - فيها من الشرائع والقوانين والأنظمة الحديثة التي تراعي مواقع الإنسان ما يسمو على ما جاء في القرآن من تشريعٍ لُوحظ فيه موقعُ إنسانِ ذاك الزمان :

مثل هذه المجتمعات الملحدة، الكافرة بكلّ نبوّة ووحي، ألجاحدة بالله والملائكة، تتورّع عن قطع يد السارق، ورجم الزاني، وجلد شارب الخمرة؛ والزواج من أربع نساء، وكذلك زواج المتعة، وزواج اليمين، والطلاق كيفما كان؛ وتربأ بأن تصنّف الناس الى مؤمنين ومشركين وكافرين وذمّيين، وأهل كتاب؛ وترفض الدفاع عن الله والجهاد في سبيله على حساب حقوق الإنسان وكرامته وحرّيته؛ وتخشى تصوير الجنّة على أنّها أكل

وشرب وملذات جنسيّة عارمةمع حوريّات عرب ترب كوعب، ومع غلمان مخلّدين كاللؤلوء المكنون، وذلك على مشهد من الله والملائكة... فهل، والحالة هذه، تبقى الشريعة القرآنيّة ملازمة للإنسان إلى الأبد؛ فيما الإنسان تطوّر تطويراً سبق به القرآن!

٤٤ ـ ألعقل العربي

يأخذ النقيب عمران على أبي موسى بأنّه عمد إلى القول بأنّ القرآن نشأ عن التوراة والإنجيل بـ"أسلوب ميسّر، قابل للحفظ والتلاوة والإستذكار، مراعاة لما هو عليه العقل العربي من تخلّف وعجز عن قبول وتلقّي العلوم الصعبة والأحكام المعقّدة". ويضيف: "لسنا الآن في جدل مع المؤلّف حول طبيعة العقل العربي وإمكانيّته في الاكتساب والاستيعاب" (٢٠٤).

نقول للإستاذ أحمد عمران بأنّ أبا موسى ومدرسته، أصحاب كتاب «أعربيّ هو؟!»، رقم ٤ من سلسلة «الحقيقة الصعبة»، يقدرون جدّا العرب والعروبة والعقل العربي واللغة العربيّة . وينزّهونهم عمّا لحق بهم، فيما بعد، من إنزالات السماء وتدخّلات جبريل، ويرجعون الحقّ الى أصحابه من المغتصبين السماويّين.

ويقول أبو موسى ومدرسته أيضا : إنّ العرب هم البدو سكّان غربيّ الفرات، وفيهم نصارى كثيرون. ولفظة «عرب» تعني، لغةً، <غرب>. واللغة العربيّة هي لغة غربيّ الفرات، التي فيها وضعت ترجمة إنجيل العبرانيين، أي القرآن المكّي. والعقل العربي، هو نفسه، وليس سواه، ساعد محمّدا وأهله وصحبه والمسلمين الفاتحين على معرفة ثقافات العالم الهلّيني والسرياني. ولولا هذا العقل لاستمرّ الفاتحون جامدين قابعين غائرين مرتاحين فوق كثبان الرمال.

نقول للإستاذ عمران ما نقوله لكي يعرف تمام المعرفة بأنّ العروبة، بأمّها وأبيها، بلفظها ولغتها، بشعبها وجغرافيتها، بحضارتها وثقافتها، بنموّها وتطوّرها، بتبدّيها وتحضّرها، بقوميّتها وشموليتها، هي نصرانيّة في كلّ شيء. وقد أفادت الفاتحين المسلمين في كلّ شيء.

بل نقول عكس ما شاء النقيب أن يتّهم أبا موسى: إنّ العقل العربي هو الذي أنقذ عقلَ الفاتحين المسلمين من تبدّيهم وعجزهم عن قبول العلوم الجديدة والأحكام المعقّدة. فما رأي النقيب عمران في هذه "الحقيقة الصعبة"؟ وفي كفّة أي "ميزان" يريد أن يضع هذه الحقائق كلّها؟

٤٥ - إستمراريّة الوحي

يقول النقيب : "وهكذا يفتر الوحي ولا ينقطع، ويحتجب التنزيل ولا ينقضي". ويعلّق: "هذه حقائق نتّفق عليها مع أبي موسى" (ص ٢٠٨).

نقول : هي المرّة الوحيدة، في ٤٤٥ صفحة من كتابه، يتّفق النقيب عمران مع أبي موسى... إلاّ أنّنا نأسف أن نقول: يا ليته لم يتّفق! ما اتّفق عليه مع أبي موسى ليس في مصلحة الإنزال القرآني إطلاقا، ولا في مصلحة إيمان النقيب عمران ولا المسلمين أيضا: ألقرآن، في عقيدة النقيب والمسلمين كافّة، هو خاتمة الوحي والإنزال؛ لا وحي بعده ولا إنزال. ألوحي، بعده، انقطع. والإنزال انقضى. وكذلك النبيّ محمّد، هو، في عقيدة النقيب والمسلمين كافة، خاتم الأنبياء، ولا نبيّ بعده؛ ورسالته هي كمال الرسالات، ولا رسالة بعدها...

على هذا، يكون من المنطق أن يبقى النقيب عمران مختلفا مع أبي موسى، ليبقى منطقيّا مع ذاته، فيسلم إسلامه، ويكون من

المؤمنين الطيّبين؛ وإلاّ عدّ، كأبي موسى، من المارقين الكافرين. نستغفر الله له. وحماه.

٤٦ ـ ألنـامـوس الأكـبر

يقول النقيب عمران إنّ أبا موسى "لم يتحدّث عن الوحي الذي نزل على موسى بهذا الأسلوب (الذي تحدّث فيه عن الوحي المحمّدي). فقد كان يطلق عليه دوما (أي على الوحي الموسوي) اسم "الناموس الأكبر"(٢١٠)... يريد الإستاذ عمران، بملاحظته هذه، أن يغمز على يهوديّة أبي موسى الذي اتّهمه سابقا بالعمالة للصهاينة، والذي، برأيه، لو لم يكن يهوديّا، لما أطلق على التوراة اسم "الناموس الأكبر".

نقول للإستاذ عمران :

أوّلا ـ إنّ تعبير "الناموس الأكبر" هو تعبير كتّاب السير النبويّة، وقد أخذوه عن خديجة زوج النبيّ، وعن القسّ ورقة، وسواهما. وليس هو من اختراع أبي موسى إطلاقا. فليراجع ابن هشام، والطبري، واليعقوبي، وابن سعد، والواقدي، وابن كثير، وسائر كتّاب السير والمحدِّثين.

ثانيا ـ إنّ إجلال أبي موسى للقرآن واعتباره إيّاه كتابا مكرّما يفوق إجلاله للتوراة بدرجات. أيعلمُ النقيب ذلك؟ وهل بوسعه أن يعلم؟!

ثالثا ـ ومع هذا، فإنّ أبا موسى لا يطعن، لا بالتوراة ولا بالقرآن؛ ولا يؤثر هذا على تلك، ولا تلك على هذا... موضوع البحث كلّه يدور حول إظهار مصادر القرآن، لا على تقويم ما في القرآن، ولا الكلام على أفضليته على التوراة والإنجيل، أو العكس... فمتى يشتلق الإستاذ عمران على هدفنا هذا ؟ ولم هو، حتى الآن، لا يمدّ لنا يد المساعدة لنخرجَ معا من ورطة الكتب

المنزلة، والملائكة المرسلين، والآلهة المستبدّين، والأنبياء المتلاحقين، والأديان المتناقضة، والمذاهب المتصارعة، والأمم المصنّفة نسبة الى الماورائيّات وأمور الغيب!!!

٤٧ - وحدة الوحي

يقول الإستاذ عمران : "إذا كان الوحي ظاهرة إلهيّة، فكيف سمّاه (أبو موسى)، ونسبه، وعدّده، وقسّمه الى محمّدي وموسوي؟"(٢١٠).

نقول : حقّا يجب أن نعود، مع الإستاذ عمران، الى نقطة البداية في مفهوم الوحي الإلهي. يتساءل النقيب عن تقسيم الوحي ويعجب. ونريد أن نزيل حالا عجبه: أيجهل النقيب حقّا أن الله واحد، ووحيه أيضا واحد متكامل ومستمرّ. وإذا كان من اختلاف فيه ففي الأسلوب الذي يتغيّر من زمن الى زمن، ومن ظرف الى ظرف، ومن نبيّ الى نبيّ. فالوحي على موسى غير الوحي على عيسى، وغيره على كلّ نبيّ أو رسول. والوحي في أسفار الحكمة غيره في أسفار القضاة والتاريخ والمزامير والأنبياء. وغيره أيضا عمّا هو في الإنجيل. وفي الإنجيل أيضا، ألوحي في متّى غيره في مرقس ولوقا ويوحنا وبولس وبطرس ويعقوب ويهوذا وسواهم... إنّ الله يراعي الإنسان حيث هو، في ظروفه وموقعه وتطوّره، فيكشف له ما بوسعه استيعابه؛ وإلاّ لما كان الله حكيما أبدا.

وعلى النقيب عمران أن يعرف، بعد الذي بيّناه وأوضحناه، ما معنى استعمالنا لتعبير "الوحي المحمّدي"؛ كما نأمل أن يكون عرف أيضا ما مفهومنا لتعابير غريبة على عقولنا، مثل: الإنزال، وجبريل، والشريعة الإلهيّة، وحدود الله، وجنّة الخلد، والنار المؤبّدة، وغيرها... ونذكّره بأنّ أعظم علاقة موجودة بين الله والإنسان هي تلك التي يحفظ الله فيها حرّيّة الإنسان وكرامته،

ويحافظ على قوانين الكون التي رسمها، فلا يتحدّانا فيها كيفما يشاء، وساعة يشاء.

وما كان من الله، من وحي على بعض شخصيّات مرموقة في التاريخ، ليس إلاّ وعيا وإلهامًا ليسيروا بأممهم نحو ما يرونه مناسبا لهم ورقيّا لمجتمعهم. هذا يسمّى، في المفهوم المسيحي الصعب: "نعمة"، وفي المفهوم الأصعب: "الروح القدس". فمن كان "الروح" فيه يكون أعظم من كلّ نبيّ أو رسول أو صاحب وحي وإنزال. وما النبيّ الموحى إليه، في هذا المفهوم المسيحيّ الصعب، سوى شبح أو وهم أمام من تسكنه "النعمة" ويعمل فيه "الروح". فما بال أهل هذا الدهر يقلبون القيم، ويتمسّكون بالأوهام والأشباح!!!

فالوحي الذي "قسّمه أبو موسى وعدّده" ليس إلاّ أسلوبا في الكتابة للتمييز بين ما هو منسوب الى موسى وما هو منسوب الى محمّد. أمّا أمر المسيح فمختلف جدّا. وللتوضيح نقول: إنّ المسيح، في عقيدة المسيحيّين، هو هو الوحي. لا وحي قبله إلاّ ظلّ، ولا وحي بعده إلاّ منتسب إليه.

٤٨ - ألإنـزال الجـوّي

يقول أبو موسى: إنّ القرآن المكّي هو الترجمة، "بتصرّف"، لإنجيل العبرانيين. إنّه "قراءة"، "ميسّرة" و"مصدّقة" له. وهذا الإنجيل هو كتاب الإبيونيين، شيعة من شيع النصارى الذين يؤمنون بأنّ عيسى نبيّ عظيم جاء يكمّل، بإنجيله، توراة موسى. وعقيدة هؤلاء النصارى لا تختلف بشيء عمّا جاء في القرآن؛ بل هي نفسها، في وجهتها الدينيّة، عقيدة القرآن والمسلمين.. هذا يعني، بتعبير آخر، أنّ القرآن هو من هذا الإنجيل؛ أي أنّ هذا القرآن نزل من هذا الإنجيل، وأيضا من بعض التوراة.

إلاّ أنّ النقيب عمران يردّ على أبي موسى، فيقول : هذا "لا يعني أنّ القرآن أنزل من التوراة والإنجيل، لأنّ هذين الكتابين كانا على الأرض عند نزول القرآن، ولم يكونا في السماء لينزل القرآن منهما، ويظلاّ معلّقين في الجوّ"(٢١٦).

نقول : لنتصّور هذا الإنزال الجوّي الذي يشاؤه النقيب عمران : ففيما أبو موسى يدلّه على إنزال تاريخي طبيعي سهل، يذهب هو الى "اللوح المحفوظ"(٨٥/ ٢٢) و"الأفق الأعلى"(٥٣/ ٧) و"الأفق المبين"(٨١/ ٢٣) والـ"كتاب(الـ) مكنون"(٥٦/ ٧٨) و"سدرة المنتهى"(٥٣/ ١٤) وعمد السماء والعزّة الإلهيّة وجبريل العظيم.

ثم يعود النقيب ليشهد شهادة أبي موسى، فينقلب على نفسه، ويقول: "هؤلاء الذين أوتوا الكتاب (أي التوراة والإنجيل) يعلمون ممّا ورد في أنباء كتبهم أنّ القرآن منزل من الله بالحق" (٢٢٠). هذا صحيح، لأنّ أهل الكتاب يشهدون على ما جاء في القرآن لمعرفتهم بما جاء في كتابهم. ويثبت هذا القول ما جاء في القرآن نفسه: "فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك"(١٠/ ٩٤).

ويعلّق النقيب : إنّ أبا موسى "وقع في التناقض كالعادة" عندما تكلّم على "وحدة التنزيل التي تشمل جميع الكتب بما فيها القرآن"(٢٢٠). يقوم هذا التناقض على أنّ أبا موسى "عاد فنفى اعتبار القرآن كتابا إلهيّا"(٢٢١).

مرّة أخرى نقول : لا يزال الإستاذ عمران يعتبر القرآن نازلا من فوق، من الجوّ. ولا يريد أن يعالج معنا، لنتقدّم في أبحاثنا، ونجد للقرآن مصادره في التاريخ. ونقول أيضا: إذا كان إنجيل العبرانيين منزلا من عند الله، في نظر النصارى، فالقرآن، الذي

هو ترجمته العربيّة وقراءته الميسّرة والمصدّقة، هو أيضا منزل من عند الله... فأين هو التناقض في سياق هذا المنطق؟!!

٤٩ ـ تصنيف البشر

يأخذ النقيب عمران على أبي موسى تمييز الناس بعضهم عن بعض، ويلومه كيف يقول بأنّ الله اعتنى بأناس وأهمل آخرين، "دون أن يبيّن لماذا خصّ الله بعنايته طوائف اليهود والنصارى، وعدّ أتباعهما من المؤمنين، وحجب هذه العناية عن الآخرين"(٢٢١).

نقول : ألا فليطمئنّ الإستاذ عمران بأنّ أبا موسى لم يقل مثل هذا الكلام، ولن يقوله. والفرق شاسع حتى التناقض بين القول بأنّ القرآن أخذ عن التوراة والإنجيل مباشرة، دون اللجوء الى اللوح المحفوظ أو جبريل، وبين القول بأنّ الله لا يحط عنايته إلاّ على اليهود والنصارى.

وليطمئنّ أيضا النقيبب الى قولنا: ألناس كلّهم، أكانوا يهودا أم مسلمين، أبرارا أم أشرارا، قبل المسيح أم بعده... كلّهم محظيّون بعناية الله ومخلّصون. وأبو موسى يخشى، أكثر ما يخشى، تصنيف الناس والحكم عليهم. ومآخذه كلّها على مَن يصنّف الناس الى مؤمنين ومشركين وكافرين ومرتدّين وذمّيين، والحكم عليهم، باسم الله، حكما مبرما. هذه، أللهُ منها، واللهِ، براء.. " لا يهودي ولا يوناني، لا عبد ولا حرّ، لا ذكر ولا أنثى.. لا ختانة ولا قلفة، لا أعجمي ولا إسكوتي.."[44]. كلّهم عند الله، بالمسيح، سواء.

٥٠ ـ ألناسخ والمنسوخ

يقول النقيب عمران : "ألإختلاف البادي بين الرسالات هو

---

44 رسالة إلى أهل غلاطية ٣ /٢٨؛ قولوسّي ٣ /١١؛ روما ١٠ /١٢.

في الشرائع والمناهج التي وضعت في كل عصر، مراعية درجات التطوّر والوعي الإنساني، والظروف الاجتماعيّة والجغرافيّة التي تنتشر فيها الرسالة"(٢٢٩).

هذا، في رأينا، صحيح إن كان الكلام يشمل أيضا الشريعة الإسلاميّة. لكنّ النقيب يكمّل، مستندا الى آية «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه» (٢١/ ٢٥)، ليقول: إنّ ذلك "إخبار عن الله الذي شرّع لكل رسول شريعة، ثم نسخها، أو بعضها، برسالة وشريعة النبيّ الآخر من بعده، **حتى نسخ الجميع بالشريعة الإسلاميّة**"(٢٢٩).

ويوضح النقيب كلامه أكثر : "ليس في هذا تناقض، بل هو لطف من الخالق الذي زوّد الإنسان بإمكانيّات التطوّر.. فاستلزم ذلك ألاّ يحتبسه بشريعة مستقرّة كانت تلبي حاجات تطوّره فيما مضى، ثم تجاوزتها هذه الحاجات فيما بعد، فكان لا بدّ من الشرائع التي تراعي ظروف المكان والزمان وحاجات الإنسان"(٢٣٠).

نسأل النقيب :

أوّلا - أيّهما أولى : ألقول بأنّ الله أنزل على محمّد شريعة، ثم نسخها وغيّرها، أم القول بأنّ الله لم ينزّل شيئا أبدا، ولم يتدخّل في الحدّ من حرّيّة الإنسان التي هي عنوان كرامته ؟! ألحق يقال: إنّ الله لا يتحدّى نفسه، فلا يتحدّى، بالتالي، الأنظمة والقوانين التي وضعها للعالم.

ثانيا - ونسأل النقيب أيضا : كيف راعى الله -أو جبريل- أو النبيّ. لا أعلم- مصلحة الإنسان وتطوّره خلال ثلاث وعشرين سنة من "الوحي المحمّدي"، فنسخ الشريعة مرّتين وأربعا، وهو اليوم لا يراعي هذه المصلحة، وهذا التطوّر، علما بأنّ الإنسان تطوّر خلال ١٤١٦ سنة أكثر من ٢٤٦ مرّة.

سادساً ـ ألنصارى المسلمون في مكّة

٥١ ـ ألنصرانيّة في بيت محمّد

يقول الإستاذ عمران عن أبي موسى: "نذكّر القارئ أيضا أنّنا تعقبناه آنذاك، في مصادره؛ وحاصرناه في مراجعه؛ ففتحنا أمام عينيه صفحات الأزرقي.. واليعقوبي.. وأبي الفرج.. وابن سعد.. والسير المكّية والحلبيّة وابن هشام، والمسعودي.. فلم نجد كلمة واحدة تؤيّد دعواه. ولم نجد دليلا على شيء من مزاعمه. وإذ نقول:"لم نجد" فذلك يعني نفيا جازما، وقولا قاطعا، لأنّ حرف الجزم "لم" هو للنفي المطلق الخالي من الإستثناء...

ثم ينصح القارئ: "فأنت أيّها القارئ لهذا الكتاب، مرجوّ منك أن تقرأ نقيضه... وسوف تتأكّد مثلما تأكّدنا أنّ المؤلّف اصطنع بنفسه لنفسه الدليل، واعتمد فيه على الإفتئات والتهويل، ولم يقصد منه إلاّ الإضلال والتضليل: فلا نصرانيّة في بيت محمّد، ولا يهوديّة. والكعبة.. لم يعرف التاريخ أنّه رصدت فيها كنيسة أو كنيس، ومورس فيها طقس نصراني أو يهودي..."(٢٤١-٢).

نقول :

أولا ـ نسأل الإستاذ عمران: ألهذا الحدّ كان أبو موسى غبيّا جاهلا، يقرأ فلا يفهم ما يقرأ، وينقل فلا يعي ما ينقل، يستشهد بالمراجع فتعود المراجع عليه!!! أبهذا المقدار أيضا كان أبو موسى مستهترا بالتاريخ والكتب والناس، فيرتكب أخطاء بحقّها جميعها؛ دون أن يعرف بأنّها ستعود عليها؟!!

ثانيا ـ ولنفترض أبا موسى جاهلا غبيّا مستهترا، أبهكذا

أسلوب ومنطق يردّ الإستاذ نقيب المحامين أحمد عمران! أهو ردّ من التاريخ والمراجع، والمعطيات العلميّة والاجتماعيّة، أم ردّ من إيمان موروث يدافع النقيب عنه بأيّ ثمن وبأيّ طريقة وأسلوب! إنّه، في كلّ حال، ردُّ مسلمٍ مؤمن يغار على إيمانه؛ فنحن نقدره ونحترمه ونشجّعه ليستمرّ على ما هو عليه. وهو أفضل لأبي موسى أن يبقى النقيب حيث هو من أن ينهار البناء كلّه فيضيع الحقّ كلّه.

ثالثا - نطلب من القارئ الكريم -كي لا نعيد عليه ما في "قسّ ونبيّ" حيث المراجع كلّها- أن يتحمّل مسؤوليّة الحكم الفصل بين النقيب وأبي موسى. إنّما نلفت نظره الى أنّ المراجع -بقراءة تاريخيّة- تعني شيئا؛ وهي نفسها -بقراءة الإيمان الموروث- تعني شيئا آخر، قد يصل الى حدّ التناقض.

رابعا - كلّ مرّة يتعرّض أبو موسى لموضوع "النصرانيّة وعلاقتها بمحمّد والقرآن والإسلام"، تقوم قيامة النقيب عمران، ويردّ بعنف حتى التهديد. فهو لا يريد أن يصدّق -ولو للحظة واحدة- أنّ هناك علاقة -بأيّ مقدار كان- بين محمّد والنصرانيّة.. ونحن نفهم سبب رفض النقيب وبعض المسلمين . إنّه أمر طبيعي جدا. وهو أنّ الإسلام والقرآن ومحمّداً والنبوّة والشريعة جميعها مربوطة بالأفق الأعلى وباللوح المحفوظ. وكلّ علاقة بينها وبين النصرانيّة تعرّضها كلها للزوال.

خامسا - يبدو -حتى الآن- أنّ النقيب عمران لا يريد أن يفهم أنّ بين اليهوديّة والنصرانيّة والمسيحيّة فرقا. ولا يريد أن يعرف أن كتاب "قسّ ونبيّ"، كلّه، مبنيّ على فكّ الارتباط بين النصرانيّة (أي اليهوديّة-المتنصّرة) والمسيحيّة. ولا يزال النقيب يصرّ على أنهما واحد. ويوم تحلّ عنده هذه العقدة، عندئذ يكون بوسعه تقبّل ما

نقول. وما حيلتنا نحن، إذا كان التاريخ الكنسي، وآباء الكنيسة، والمجامع، والعلوم اللاّهوتيّة والبيبليّة، كلهّا، واضحة في إظهار هذا الفرق الشاسع بين اليهوديّة-المتنصرة والمسيحيّة!!!

٥٢ - ألـحـنـيـفـيّــة

يقول النقيب عمران عن أبي موسى : "يخطئ كثيرا عندما يؤكّد على حنيفيّة أبي طالب، ثم يعتبر أنّ الحنيفيّة جاهليّة وضلالا"(٢٥١). ويعطي المراجع على هذا القول من كتاب "قسّ ونبيّ" في الصفحتين ٩٩ و ١٠٠ من الطبعة الأولى.

نقول :

أوّلا - إنّ كلّ ما عند أبي موسى من جديد وطريف في بحثه هو قوله إنّ الحنيفيّة هي هي النصرانيّة في مكّة، والنصرانيّة في مكّة هي هي الإسلام. والإسلام -أي الحنيفيّة والنصرانيّة- هو حركة دينيّة إجتماعيّة إنقلابيّة رائدة. وبالتالي، ليست هي -كما يتّهم النقيب- "جاهليّة وضلالا".

ثانيا - إنّ أبا طالب، ومعه أبوه عبد المطّلب، والقسّ ورقة، وخديجة، والحمس من قريش، وزيد بن نفيل، وعثمان بن الحويرث، وسواهم ممن حفظ لنا التاريخ المكّي أسماءهم.. كانوا حنفاء، نصارى، مسلمين قبل الإسلام. يعني أنّ محمّدا لم يدعُ الى الإسلام، كدين جديد، بل كان يدعو الى إسلام هو حركة دينيّة إجتماعيّة إنقلابيّة في مجتمع مكّة.

ثالثا - لم يجرِ تحت قلم أبي موسى أيّ كلام يعتبر الجاهليّة والضلال من صلب الحنيفيّة. بل يأسف أبو موسى لما جرى في كتب التراث الإسلامي عن مرحلة ما قبل الإسلام.

٥٣ ـ ألجَدُّ إسماعيل

في علم النقيب عمران أنّ هداية النبيّ محمّد الى التوحيد "كانت تابعة ونابعة من دين الجدّ الذي هو أبو الموحدين (إسماعيل بن إبراهيم الخليل).. ولم تكن من النصرانيّة ولا من اليهوديّة" كما يقول أبو موسى. وبسبب ذلك فإنّ أبا موسى "يرزح تحت أخطاء التعليل والإستنتاج"(٢٥٠).

نقول :

إنّ الرجوع الى إسماعيل بن إبراهيم الخليل هو الرجوع الى أسس اليهوديّة والنصرانيّة، حيث لم يكن بعدُ أحزاب ولا شيع؛ إنما إيمان وتوحيد خالصان. إنّه رجوع نظري الى أب الإيمان والتوحيد، لا رجوع فعلي حيث يأخذ الإسلام عقيدته التوحيديّة مباشرة عن النصرانيّة. إنّ الصلة المباشرة لم تكن مطلقا بين محمّد وإسماعيل، بل كانت بواسطة نصارى مكّة الحنفاء.

فلماذا الرجوع دائما، عند النقيب عمران وأضرابه، الى أصول بعيدة مجهولة في التاريخ، والتخلّي عن أصول بيّنة واضحة ومباشرة!!! لا يلزمنا عناء كبير حتى نكتشف نيّات النقيب وأمثاله في الرجوع الى الأصول البعيدة، بل الى الأصول الإلهيّة الأزليّة المرتبطة بالأفق الأعلى وباللوح المحفوظ.

٥٤ ـ ألإسلام والنّصرانيّة

فيما يقول أبو موسى إنّ الإسلام هو النصرانيّة المكّيّة، ويقدّم الأدلّة والمستندات والمراجع من القرآن والسنّة وكتب السِير والتاريخ، يجيء الإستاذ عمران ليقطع بأنّ "الإسلام لا يعتقد معتقد النصرانيّة، ولا يدعو دعوتها، ولا يؤمن إيمانها"(٢٦٠). ودليله على ذلك أنّ القرآن، الذي حذّر النصارى من الغلوّ في دينهم، لا يعترف إطلاقا بهم وبغلوّهم. ويستنتج النقيب:"إنّه لا يعقل، حتى

بأضيق حدود المنطق، القول بأنّ الشعار والدعوة والشريعة هي ذاتها، لدى دينَين يفصل أحدهما عن الآخر بُعدٌ زمنيّ يزيد على ستة قرون"(٢٦٠).

نسأل الإستاذ النقيب، قسَماً بربّ السماء والأرض، ماذا يعرف عن النصرانيّة، ومعتقداتها، وشيعها، والفرق بينها وبين المسيحيّة؟ وما هي مصادره التي يعتمد عليها؟ وليقل لنا كلمة واحدة عن إنجيل العبرانيين وعن الشيعة الإبيونيّة دون أن يرتكب بحقهما ألف خطأ؟

ومع هذا، نقول للإستاذ النقيب : ألنصرانيّة، كما نعرفها بالتمام من التاريخ الكنسي، هي، في العقيدة والشريعة، الإسلام عينه. وقلنا، ولا نزال نردّد، إنّ الإسلام حركة دينيّة نصرانيّة توحيديّة اجتماعيّة ثوريّة في قلب مجتمع مكّة والحجاز.

ونقول للنقيب أيضاً : أسف أن يردّد خطأه باستمرار انّ "المسيحيّة تسمية حديثة"، فيما هي، كما نردّد، من زمن الرسل حيث "دعي التلاميذ في أنطاكية، ولأوّل مرّة، مسيحيّين"[45].

٥٥ ـ ألنصرانيّة والحنيفيّة والإسلام

تعمّد النقيب عمران نقل العنوان خطأ، بإضافة حرف "في"، حيث قال: "النصرانيّة والحنيفيّة في الإسلام". وهو بهذه الـ"في"، وكأنّه يحكم بأنّ الإسلام غير النصرانيّة والحنيفيّة، فيما أبو موسى ما فتئ يردّد ويبرهن بأنّ هذه أسماء ثلاثة لمسمّى واحد.

وفي إصرار النقيب على نظريّته، يستشهد بالمراجع إيّاها التي يستشهد بها أبو موسى. إنّما تأتي النتيجة -ويا للغرابة- على طرفي نقيض. وهاك بعضها:

---

45 أعمال الرسل ٢٦/١١.

يقول الطبري : "ألحنيف هو من اختتن، وحجّ البيت، واستقام على ملّة إبراهيم واتّباعه، واعتزل الأصنام، واغتسل من الجنابة"(ص ٢٦٤).

ويقول ابن الكلبي واصفا الحنيف بأنّه الذي "امتنع عن أكل ذبائح الأوثان، وما أهلّ لغير الله؛ وحرّم الخمر، وتأمّل في خلق الله"(مرجع نفسه).

وفي كتاب «معجم البلدان»، ألحنفاء "كانوا يختنون أبناءهم، ويحجّون البيت، ويقيمون المناسك، ويكفّنون الموتى، ويغتسلون من الجنابة، ويتزوّجون بالصداق والشهود، ويطلّقون ثلاثا" (ألمرجع نفسه).

نقول :

فيما النقيب عمران يؤكّد، من خلال هذه الشهادات، على الفصل بين الحنيفيّة والنصرانيّة، يؤكّد أبو موسى، من خلال هذه الشهادات نفسها، على أنّ الحنيفيّة هي نفسها النصرانيّة. ومن هذه الشهادات أيضا، يؤكّد أبو موسى على أنّ الحنيفيّة هي الإسلام.

وهل الحنيفيّة، أو النصرانيّة، تدعو الى غير ما يدعو اليه الإسلام، ممّا ورد في الإستشهادات السابقة من : الختان، والحجّ، واعتزال الأصنام، والاغتسال من الجنابة، وإقامة المناسك، والامتناع عن أكل ذبائح الأوثان، وعن كلّ ما أهلّ لغير الله، وتحريم الخمرة، واحترام الموتى، والزواج بالمهر والشهود، والطلاق ثلاثا، وما الى ذلك!!!

بمَ تختلف معتقدات الأحناف وطقوسهم عمّا هي في النصرانيّة والإسلام، وبحسب الشهادات إيّاها!!! وهل في القرآن من تعريف بالحنيفيّة غير هذه!!!! عجيب أمر النقيب كيف تصبح النتائج معه مغايرة عن المقدّمات حتى التناقض!!! لا بدّ من أن

يكون هناك سببٌ ما، خارج عن المعطيات والمقدّمات. هذا السبب هو، بدون شك، في النيّات والموروثات التي تعلو، في غالب الأحيان، على كلّ حجّة عقليّة، أو أدلّة تاريخيّة.

ونسأل النقيب عمران عن معنى قوله : "أشار بعض المؤرّخين إلى أنّ معظم من قالت عنهم كتب الأخبار إنّهم نصارى لم يكونوا كذلك، بل كانوا أحنافا" (ص ٢٦٤)؟

- ألا يعني هذا القول خلطا واضحا بين النصرانيّة والحنيفيّة عند هؤلاء المؤرّخين؟ ألا يعني أنّ ما يصحّ على الحنيفيّة يصحّ أيضا على النصرانيّة؟ والعكس أيضا؟ أوليس هذا تناقضا فاضحا في مواقف النقيب؟ أليس هذا إقراراً من النقيب بأنّ الخلط بين الحنيفيّة والنصرانيّة، عند أهل الأخبار، يعود الى كون العقيدة والشريعة هي واحدة مشتركة عند الجميع؟

٥٦ - ألمسيح

يفسّر الإستاذ النقيب لفظة "المسيح" بقوله : "هي صفة، وليس إسماً. وُصف بها عيسى ابن مريم لأنّه كان يمسح بيده على العليل فيشفيه. كما أنّ هذا الوصف ورد في الكتب بوصف الدجّال الذي يظهر في آخر العصر ممسوحَ العين. فالله خلق مسيحَين: أحدهما الصدّيق عيسى، والآخر الضلّيل الدجّال" (ص ٢٧٣).

نقول للإستاذ عمران :

إنّ لفظة "المسيح"، في التوراة، ألمصدر الأساسي لها، تعني "الممسوح بالزيت". جاء في حاشية سفر الخروج ٢٢/٣٠ ما يلي: "في النصوص التاريخية القديمة، تقتصر المسحة على الملك[46]. وهذه المسحة تضفي على الملك طابعا مقدّسا، فهو مسيح

---

46 راجع : ١ صموئيل ١/١٠، ١/١٦، ١ ملوك ٣٩/١، ٢ ملوك ٦/٩.

الربّ[47]. أطلقت المزامير هذا اللقب على داود وسلالته، فأصبح لقب ملك المستقبل والمشيح الذي كان داود مثاله، وسيطلقه العهد الجديد على يسوع".

أمّا القول بأنّ المسيح لفظة تعني "مسْحَ المريض ليُشفَى"، أو "من مُسحَتْ عيناه" فهو تفسير عمراني لم نجدْه إلاّ عنده. وبالتالي، تفسير لا يُعتمَد عليه ولا يُركَن إليه.

٥٧ - ألفِرَق النصرانيّة

ثم إنّ النقيب يقول :"ومن العقائد المختلطة بين اليهوديّة والنصرانيّة، نشأت فرق دينيّة دخلت الحجاز ونجد". ومن الفرق التي دخلت، "وكانت تفرّ من الكنيسة البيزنطيّة، حاملة معها هرطقتها.. ألإبيونيّة والقيرنثيّة والكسائيّة.. وكنّا -أي النقيب- قدّمنا مختصرا عن عقائدها التي هي، في مجملها، ليست من النصرانيّة، والتي لم يكن لها أثر في المجتمع بتاريخ ظهور الإسلام بسبب اندثارها"(٢٧٥).

نقول : كم من الأخطاء في هذا النصّ العمراني!

أولا - يذكر النقيب هنا ثلاث فرق، أو شيع، جديدة، بعدما كان نفى سابقا أن يكون أكثر من أربع (أنظر ص ٢٧٣-٢٧٥).

ثانيا - وإذا النقيب اعترض فقال: إنّ هذه الفرق هي نصرانيّة وليست مسيحيّة، نكون قد وصلنا، مع النقيب، الى نتيجة ملموسة، في التفريق بين النصرانية والمسيحية.

ثالثا - كما يعترف النقيب هنا أيضا بأنّ هذه الشيع النصرانيّة، بسبب خلافها العقائدي مع المسيحيين -ومنهم البيزنطيون- كانت تفرّ منهم الى أمكنة بعيدة، مثل نجد والحجاز؛

---

47 ١ صم ٢٤/٧؛ ٢٦/٩ و١١ و٢٣؛ ٢ صم ١/١٤ و١٦؛ ١٩/٢٢.

وذلك بعد أن كان يرفض باستمرار هذا الخلاف وهذا الفرار.

رابعا - يقول النقيب بأنّه هو الذي "قدّم مختصرا عن عقائدها"، ونحن نشهد بأنّه لم يسمع بهذه الشيع إلاّ من خلال أبي موسى، ولم يعرف عنها شيئا إلاّ ما استلبه من أبي موسى. والبرهان أنّه لم يزد على ما استلبه معلومة.

خامسا - يقول : لم يكن لهذه الشيع أثر في المجتمع الإسلامي بسبب اندثارها. وهذا غير صحيح. ولا يمكن أن يكون كذلك؛ إذ لا يعقل أن تندثر حركات دينيّة، أو فكريّة، فاعلة في مجتمع، دون أن تُبقي أثرا ما. والأثر، في كل حال، واضح في تعاليم الأحناف الذين يعترف النقيب عمران بوجودهم في مكّة، وبتعاليمهم كما ذكرها واستشهد لها من الطبري وابن الكلبي وياقوت..

٥٨ - تفسـير عجيـب

يقرأ النقيب في القرآن الكريم هذه الآيات البيّنات :

* "ويقول الذين كفروا: لست مرسلا. قل: كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب"(الرعد ٤٣/١٣).

* "وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله. فآمن واستكبرتم" (سورة الأحقاف ١٠/٤٦)

* "وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه"(سورة المائدة ٤٧/٥).

* "قل: يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم"(سورة المائدة ٦٨/٥).

* "فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك"(سورة يونس١٠/٩٤).

* "وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالا نوحي إليهم. فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (سورة الأنبياء ٢١/٧).

ويستنتج قائلا : هذه الآيات "لا تفيد أنّ النبيّ أقام شهادة أهل الكتاب عاملا أساسيّا في دفع الشكّ عنه.. بل يُفهم منها جميعا أنّ النبيّ كان يبلّغ هذه الآيات للناس لكي يزول الشكّ من نفوسهم..."(ص ٢٨٨).

نسأل النقيب عمران:

كيف استطاع أن يستنتج بأنّ المعنيّ بسؤال أهل الكتاب والاطمئنان الى حكمهم لم يكن محمّدا بل المسلمين!! ليس من مفسّر مسلم واحد، قبل النقيب، قال بهذا. إنّ المقصود، من هذه الآيات ومن غيرها، هو محمّد نفسه لا المسلمون. هو نفسه يقرّ ويعترف بأن الحقّ واليقين موجودان عند أهل الكتاب. هو نفسه يقرّ ويعترف بأنّ العلم والمعرفة موجودان عند أهل الإنجيل. هو نفسه يقرّ ويعترف بأنّ الحكم على صحّة ما في القرآن يأتي من أهل الإنجيل... وعلى النقيب عمران أن يجد ميدانا آخر، يبرع فيه، للدفاع عن محمّد.

***

سابعاً ـ حـقّ القسّ على النّـبيّ

٥٩ ـ ألمسيح عيسى

قال أبو موسى وردّد: إنّ عيسى النصارى هو إيّاه عيسى القرآن. والقرآن لم يأت في عيسى أي جديد يضاف على عيسى النصارى. والمسؤول عن صورة عيسى القرآن هذه، لا الملاك جبريل، ولا محمّد نفسه، ولا علوم الغيب، ولا الوحي السماوي، ولا المجامع الكنسيّة.. بل تلك النصرانيّة التي كانت موجودة في مكّة والحجاز وشرقي الأردنّ وفلسطين وأفريقيا الشماليّة آنذاك.

والعارف بتاريخ الكنيسة والشيع النصرانيّة والأناجيل المنحولة يدرك هذا الأمر إدراكا تامّا. أمّا المستنِد إلى العلوم الإسلاميّة وحدها فيفوته هذا الأمر على نحو كبير. وحدهم المتخصصون بمختلف العلوم اللاّهوتيّة يقولون لنا كلمة الفصل في مصادر القرآن وتعاليمه عن عيسى. فيما الملتجئون الى التنزيل وجبريل يجهلون هويّة عيسى جهلا مطبقا.

وباختصار الكلام، إنّ الإستاذ النقيب، مهما شدّد، وهدّد، وتشهّد، وتكبّد، وتوعّد، وأشاد بما في القرآن من حقائق إلهيّة أو جبريليّة على هويّة عيسى، يبقى دون الحقائق البيّنة الموجودة في إنجيل العبرانيين، وإنجيل طفولة يسوع، ومقدّمة إنجيل يعقوب، والشيع النصرانيّة كافّة، وبنوع خاصّ الإبيونيّة. وقول النقيب عمران عن القرآن بأنّه، في نظرته الى عيسى، "أغنى عنها جميعها باحتوائه إيّاها وهيمنته عليها"(٣٠١) هو قول إنسان

مغامر في عالم المعرفة. فالقرآن يحتوي على ما أخذه عن غيره؛ وهو لا يقدّم جديدا في شأن عيسى.

٦٠ ـ إنجيل يعقوب

يبدي النقيب عمران، بادئ ذي بدء، ملاحظتين حول مصادر أبي موسى النصرانيّة؛ فيقول في الملاحظة الأولى: "إنّ يعقوب لا ينسب إليه إنجيل من الأناجيل"(٣٠٦)؛ ويقول في الملاحظة الثانية: "إنّ إنجيل متّى لا يمكن إعتماده مصدرا موثوقا للمعلومات، لأنّه منحول"(٣٠٦).

نجيب على الأولى : ليعقوب إنجيل منحول، إسمه في التاريخ: "مقدّمة إنجيل يعقوب" Protévangile de Jacques ويتضمّن الموضوعات التالية: ١٦ فصلا عن ولادة مريم العجائبيّة، وتقدمتها للهيكل، وكفالة الشيخ يوسف لها، وبشارتها بمولود وهي عند عين ماء، وزيارتها لأليصابات، واضطراب يوسف في شأنها... أمّا الفصول ١٦-٢٢ فتدور على شخص يوسف وذهابه الى بيت لحم، وولادة يسوع، وزيارة المجوس، إلخ... والفصول ٢٣-٢٥ تتوقف على زكريا، وقتل الأطفال الأبرياء في الهيكل.. إلخ.

ونقول عن الثانية: إذا كان "المنحول" لا يصحّ أن يكون مرجعا للعقيدة الرسمية، وهذا صحيح؛ إلاّ أنّه يصحّ أن يكون مصدرا لمعلومات أُخِذَتْ عنه، صائبة كانت هذه المعلومات أم خاطئة. فلسنا، هنا، في مجال تقويمها، بل نحن في مجال الإشارة الى مصدرها، من أين أخذت، وعمّن أخذت، وما محتواها؟؟

ثم يستنتج النقيب عمران : "إذا كان الإنجيل الذي يقدّمه المؤلّف (أبو موسى) للمضاهاة مع القرآن، إنجيلا منحولا، فإنّ التمسّك به، والاعتماد عليه، ظلم علمي وخطأ تاريخي"(٣٠٧).

نأسف مرّة أخرى لهذا المنطق، ونقول أيضا: إنّ صحّة المعلومات أو خطأها ليست هي المقصود. بل المقصود ألمعلومات نفسها التي اعتمد عليها القرآن ليبني نظريته. لسنا نحكم على صحّة هذه المعلومات بحدّ ذاتها. بل نحكم على وجودها، ونؤكّد على أنّ القرآن استقى منها وأخذ عنها.

وفي ختام كلامه، يقول النقيب: يجب أن نُسقط من المصادر "إنجيل يعقوب لعدم الاتّفاق على وجوده، وإنجيل متّى المنحول لأنّه غير ثابت المصدر والتاريخ والمضمون"(٣٠٨).

ماذا نقول للنقيب ولسواه إذا كان لا يريد أن يصدّق المراجع المتخصصة التي تثبت وجود هذين الكتابين وأهميتهما! وما عساه يقول لنا النقيب إذا ذهبنا في العلوم القرآنيّة، كما ذهب غيرنا، إلى إرجاع كلّ آية من آيات القرآن الى مصادرها النصرانيّة وسواها! إنّه بحث جدير بأن تبذل الحياة في سبيله. ولا يجب أن يُستخفّ به، أو يُتّهم أصحابه بالعداء للإسلام والمسلمين.

٦١ - ألروح القدس

في معرض الردّ على أبي موسى، في موضوع الرّوح القدس، يعجب النقيب عمران من أبي موسى كيف يتّهم القرآن بما لم يقله القرآن، ويفسّر آياته بالرجوع الى التوراة والإنجيل. فيما القرآن، في نظر المسلمين كافّة، لا يُفسَّر إلاّ بذاته.. ثم يخلص النقيب الى هذه النتيجة الحاسمة، فيقول: "إنّ القرآن، لو أراد هذا القصد، لصرّح به"(٣١٣)، أي: لو أراد القرآن أن يكون الروح القدس، لا مريم العذراء، إلهة مع إبنها - كما تشير الى ذلك آية ١١٦ من سورة المائدة- لقال بها وصرّح.

نقول ونسأل النقيب عمران:

من أين جاء القرآن، أو محمّد، بتعبير "روح القدس"؟ أليس

هذا التعبير مأخوذ مباشرة من المصادر النصرانيّة؟ وهل يمكن أن يكون القرآن، أو محمّد، اخترعه، ووافق اختراعه أعمق ما في النصرانيّة من معتقد؟ بالطبع، لا يفهم القرآن، أو محمّد، في الروح القدس، غير ما يفهمه النصارى، أي أنّه روح إلهيّ يعمل في الخليقة وفي الوحي، لا أقنوما أو شخصا إلهيا له كيانه وهويّته وعمله واستقلاليتّه عن أقنوميّ الأب والإبن، بحسب مفهوم المسيحيين.

إنّ تعبير "روح القدس"، الوارد في القرآن أربع مرّات[48]، هو، في الواقع، ليس كما يقول المفسرون المسلمون، بأنّه ملاك الله، باعتبار "روح" تعني الملاك جبريل، و"قدس" تعني الله. إنمّا هو "روح الله" الذى يحلّ على الأنبياء، وينطق بهم، ويلهمهم، ويؤيّدهم، وينبّئهم، ويجعلهم يتكلّمون باسم الله، ويصنعون العجائب والمعجزات.. وما جاء في سورة المائدة، آية ١١٠ يقطع بذلك. يقول الله لعيسى: "وإذ أيّدتك بروح القدس، تكلّم الناس في المهد وكهلا." ألروح، هنا، على ما يبدو، هو روح الله، لا الملاك جبريل -كما يقول المفسّرون المسلمون -الذي يحتاج هو نفسه الى تأييد.

إنطلاقا من هذا المفهوم، يمكننا أن نفسّر قول الله لعيسى في سورة المائدة ١١٦/٥: " يا عيسى ابن مريم! أأنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلهَين من دون الله!" بأنّ "أمّ عيسى" ليست هنا مريم، إذ لم يصل إلى مسامع محمّد بأنّ في الكنيسة شيعة واحدة تقول بذلك؛ بل هي "روح القدس" الذي يعتبره المسيحيون أقنوما إلهيا ثالثا مع الأب والإبن. وقد ساعد على هذا الاعتبار كون الروح في الأراميّة مؤنّثا؛ كما ساعد أيضا على ذلك الخلافُ الكبير حول "أمومة مريم لله".

48 سورة البقرة ٨٧/٢ و٢٥٣؛ سورة المائدة ١١٠/٥؛ سورة النحل ١٠٢/١٦.

٦٢ - ألختـــان

لا يزال النقيب عمران غير مقتنع بأنّ أتباع عيسى كانوا مختلفين في أمور كثيرة، ومنها في أمر وجوب الختان. فمنهم، وهم اليهود-المتنصرون، اعتبروا الختان واجبا محتوما وشريعة إلهيّة، بدونها لا يصحّ إيمان ولا دين؛ ومنهم، وهم المسيحيّون، اعتبروا الختان غير واجب على من تعمّد بالمسيح. هذا الاختلاف هو واقع تاريخي سجّله سفر أعمال الرسل ورسائل القديس بولس والتاريخ الكنسي برمّته.

أمّا أن يبقى النقيب عمران يعاند ويرفض، فهذا، في الحقيقة، مدعاة للشفقة والمعالجة. فكيف يحقّ للأستاذ النقيب -وهو في تمام الصحّة- أن يقول: "لو كان الختان شرطا للإيمان، كما زعم المؤلّف"(٣٢٦). نسأل: أيّ مؤلّف قال هذا؟ ألم يقل أبو موسى وكرّر بأنّ الختان، بالنسبة الى النصارى، واجب؛ والى المسيحيّين نافل؟!

ويسجّل النقيب انتصاره فيقول: "تلك الشواهد أثبتناها بحرفيتها من مصادرها، وهي نفسها التي اعتمد عليها أبو موسى، تنقض دعواه، وترفض أقواله، وتكشف أسلوبه في الوضع"(٣٢٧).

نقول:

ما سيكون عليه النقيب، إذا وعى يوما وقرأ مجدّدا ما في "قسّ ونبيّ" من توضيح حول هذا الموضوع! لو قرأ بأنّ محمّدا دعي، في صحيح البخاري، بـ"ملك الختان"، تماما كما دعي أساقفة النصارى، في "التاريخ الكنسي" لأوسابيوس، بـ"أساقفة الختان". فهل يكون محمّد أسقفا كهؤلاء! لن نجزم. ألنقيب يستنتج

ثمّ يجزم؛ ولكن، بعد إعادة قراءة كتاب أبي موسى الحريري وما جاء في صحيحَي البخاري ومسلم.

٦٣ ـ ألـخـمــر

جاء عند النقيب عمران ما يلي: "قال المؤلّف (أبو موسى): لقد حرّمها (أي الخمرة) النصارى الإبيونيّون، **لذلك** حرّمها القرآن. -ويكمّل النقيب-: فالمؤلّف يرى أنّ القرآن لم يحرّمها **إلاّ** لأنّ الإبيونيين حرّموها"(٣٢٧).

نقول:

نقل فاسد واستنتاج أشدّ فسادا. نردّد على مسامع النقيب: إنّ الفرائض الإبيونيّة هي نفسها الفرائض القرآنيّة. هذا يعني أنّ الفرائض الإبيونيّة ليست سببا للفرائض القرآنيّة. واستعمال كلمة "لذلك" يوحي بالسببيّة، وكذلك استعمال لفظتي "إلاّ لأنّ". ومقصود النقيب كقولنا له: إنّك، وأنت المسلم، لا تشرب الخمرة، لأنّ السيد شريف محمّد هاشم، المسلم، لا يشربها. وكان يجب أن نقول إنّ بين المسلمَين مشاركة لا سببا ومسبِّبا.

وحجّة عمران في تحريم الخمرة هو أنها شرّعت بالتدرّج، "ذلك أنّ التسلسل التشريعي (لها من ذكر بعض النفع وبعض الإثم، الى ذكر منعها وقت الصلاة، الى ذكر اعتبارها رجس من عمل الشيطان)، هذا التسلسل التشريعي يعطي الدليل على المصدر الإلهي. إذ لو كان اقتباسا أو تقليدا لصار الاقتباس دفعة واحدة"(٣٢٩).

نقول: هذا منطق غير سليم:

١- إذ يمكن أن يكون التحريم في المصادر النصرانيّة

متسلسلا ومتدرّجا؛ ثم ينقل القرآن هذه المصادر، بتسلسلها وتدرّجها.

٢- ثم أنّ هذا التسلسل التشريعي - ويسمّى النّاسخ والمنسوخ- هو برهان ضد المصدر الإلهي للتحريم؛ إذ لو أنّه من الله لكان اللّه، أقلّه، عالما بشرّها منذ التشريع الأوّل.. وليس لقائل أن يحتجّ ويقول بأنّ الله، لكثرة رحمته، رأف بالإنسان فدرّبه على التحريم بالتدرّج.. هذا ضعف في الإنسان ألصق بالله.

٦٤ - فرائض أخرى

لا ذكر عند النقيب عمران، ولا تصحيح، لموضوعات كثيرة، عالجها أبو موسى، وهي لا تقلّ أهميّة وخطورة عمّا ذكر وصحّح. منها: الصلاة، والصيام، ولحم الخنزير، والحسنات والصدقات، وأحوال الجنّة والنار، والمعاد الأخير، وأمثال الإنجيل القرآنيّة، وغيرها...

هذه الموضوعات تحتلّ قسما كبيرا من كتاب "قسّ ونبيّ". وهي أخطر على إسلام النقيب عمران، بحسب المفهوم المألوف للإسلام، من سواها. إذ هي تقارب بين النصوص القرآنيّة والمصادر النصرانيّة. وتبيّن الأثر الواضح، في عمليّة المقارنة.

هذه الصفحات العديدة عفّ عنها النقيب. مسحها. تجاوزها بسرعة، وكأنّها لا تعنيه. وكان عليه، برأينا، التوقّف عندها، وترك غيرها ممّا توقّف عنده. لأنّها أخطر ما جاء به أبو موسى على إيمان النقيب الموروث. ولا نعتقد بأنّ النقيب تعب حتى يرتاح ويسرع في تقليب الصفحات؛ كما لا نعتقد بأنّه شفق على القارئ، وخشي عليه من تجاوزات أبي موسى على القرآن، حيث عمل فيه "سطوا، ونهبا، ومصادرة، واغتيالا"، بحسب التعابير العمرانيّة.

٦٥ ـ تهمـة ملفّقـة

نودّ نقل مقطع عن النقيب عمران، طريف ظريف. فيه يقول، على لسان أبي موسى، ما لم يتجرّأ عليه أبو موسى، ولم يخطر في باله. قال النقيب عن أبي موسى إنّه "غير هادف إلاّ الى التجريح بما هو مقدّسات لدى عدد من البشر يتجاوز المليار، مقزّما باني تلك المقدّسات، واصفا إيّاه بأنّه واحد من القادة العسكريين الذين مرّوا في التاريخ مرور الأعاصير، ولكنّه امتاز عليهم جميعا بموهبة السطو المسلّح على كلّ ما اكتنزته الأمم من ثقافة وعقائد وعلوم ونظم وتنظيم وفلسفة ومناهج وأخلاق، فانتهبها، وادّعاها لنفسه، ثم دفن أدوات السطو ووسائل الجريمة تحت جلاميد التراب والصخر والقهر" (ص ٣٤٧).

نقول :

أوّلا ـ ليس من برنامج أبي موسى، أو مصلحته، أن يصف محمّدا بما وصفه به النقيب.

ثانيا ـ نريد أن نقول للنقيب وأصحابه بأنّ محمّدا والقرآن والإسلام هم من تراث الكنيسة النصرانيّة العربيّة المكيّة في القرن السابع للميلاد. وعلى النصارى والمسلمين معا أن يدافعوا عن هذا التراث، لأنّه يؤلّف مرحلة مهمّة من مراحل تاريخهم... فما بال النقيب عمران وأصحابه يطعنون فيما هم في ظنّهم يدافعون!!! ومن هو الذى يسطو ويغتال مقدّسات الغير، أبو موسى أم أحمد عمران وأصحابه؟!!

٦٦ ـ عـود عـلى بـدء

في أطروحة أبي موسى أنّ للقرآن المكي مصدرا أساسيّا هو إنجيل العبرانيين وتعاليم الشيعة الإبيونيّة وتوجيهات القسّ ورقة. لكنّ أبا موسى يعي جيّدا أنّ القرآن هو ابن بيئته ومجتمعه. فكما

كان له ارتباط بالمصادر النصرانيّة، كان له أيضا صلة بشيع أخرى، عدّدناها آنفا، وبالمناخ العام المسيطر على مكّة، والبيئة الحجازيّة، والمجتمع القرشي، والتعامل التجاري الواسع مع اليمن وبلاد الشام، وبأفكار شائعة هنا وهناك... هذا شيء لا ينكر. والمقاربات بينها وبين القرآن بيّنة للعيان، وقد ذكرها أبو موسى في كتابيه: "قسّ ونبيّ" و "نبيّ الرحمة وقرآن المسلمين".

فلماذا، والحالة هذه، يصرّ النقيب عمران على أنّه وجد عند أبي موسى ما وجد من تناقض عندما يتكلّم أبو موسى عن مصادر تأثّر بها القرآن وأخذ عنها غير المصادر النصرانيّة! فهل هذا، في منطق النقيب، تراجع أم تناقض!!! ونقول أيضا: لو نشأ الإسلام في غير مكّة لجاء على غير ما هو عليه. ولو كان محمّد من غير قريش ومن وضع عائلي غير الذي كان عليه، لكان الإسلام على غير ما هو عليه. فكل شيء في البيئة والمجتمع له دوره في الإسلام. ويكاد يكون دور جبريل السماوي معدوما لولا رغبة النقيب وإيمانه الموروث.

فلا فائدة إذاً، بعد هذا التوضيح، من تساؤل النقيب عمران واعتراضه، حيث يقول:

"وإذن! فأين ذهب ورقة العالم الجليل الحكيم الخبير؟

"وأين ذهبت ترجمته عن الإنجيل العبراني؟

"وأين ذهبت مصادر الإبيونيين؟"

ويعلّق : "لن نحظى بجواب من المؤلف"(٣٦٥).

ثم يستنتج : "بعد كل هذا، نلفت نظر الجميع الى أنّ أقلّ ما يقال في تفسير هذا الاضطراب هو أنّه دليل استخفاف المؤلّف بعقل القارئ"(٣٦٥).

نقول : ليست المرّة الأولى التي شفق فيها النقيب على القارئ الذي يستخفّ به أبو موسى ويستهين (تراجع الصفحات ٦٢ و ٧٤ و ٩٦ و ١٤٢ و ٣٦٥ من كتابه).

ونقول أيضا مكرّرين : إنّ للقرآن مصادر عديدة، قد يكون آخرها السماء. فلا يضطرب النقيب ويقلق على إيماننا، إن قلنا له: ما زلنا على الأرض ومن أبناء الأرض، وما زلنا نتعامل مع التاريخ ووقائعه وأحداثه ومعطياته وتفاعلاته.. وما زلنا أبناء هذا المجتمع وهذه البيئة.. كلها فعلت في القرآن فعلها. والله، بعد ذلك، على كلّ شيء قدير.

٦٧ - ألجنس في الجنّـة

قامت قيامة الإستاذ عمران على أبي موسى الذي خشي أن يكون للأبرار في جنّة القرآن إتّصال جنسي بـ"غلمان" و "ولدان"، إذ "يطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون"[49]، أو "يطوف عليهم ولدان مخلّدون"[50]. وينصح الإستاذ النقيب أبا موسى بـ "شيء من الإنصاف والموضوعيّة عند المؤلّف. ولتهدأ خشيته، فلن تبيح جنّة القرآن ما هو مجاف للأخلاق والذوق وخلاف الطبيعة"(ص ٣٦٧).

نقول بصريح الكلام:

١ - لقد استعمل أبو موسى، حفاظا على "ذوق" النقيب عمران وجماعته، أكانوا لا يزالون أحياء على هذه الأرض، أم أصبحوا، بعد عمر طويل مليء بالأفراح والمباهج، في جنّة القرآن بين الأبرار حيث "يطوف عليهم ولدان مخلّدون"، أو "غلمان

49 سورة الطور ٢٤/٥٢.

50 سورة الواقعة ١٧/٥٦؛ سورة الإنسان ١٩/٧٦.

كاللؤلؤ المكنون"...، استعمل أبو موسى فعل "يخشى". لعلّه يأتي مفسّر يزيل عنه هذه الخشية.

٢ - وبعد أن سمع أبو موسى إعتراضات كثيرة على هذه "الخشية"، وبنوع خاصّ من قبل مسيحيّين غيورين على الله والملائكة والسماء حيث "لا يزوّجون ولا يتزوّجون"، وحسّاسين على مشاعر المسلمين الذين، لفطرتهم السليمة يأبون كلّ الأعمال الجنسيّة في الجنّة ويكرهونها، عمد أبو موسى، في طبعات لاحقة للكتاب، على إزالة ما تكرهه مسامع أهل السماء والأرض.

٣ - أمّا وإنّ الإستاذ النقيب يريد شيئا "من الإنصاف والموضوعيّة عند المؤلّف"، فهذا ما يجب أن يوضّح الآن بصريح العبارة وبكل "إنصاف وموضوعيّة". وها نحن ننقل عن الشيخ محمّد جلال كشك، في كتابه "خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة"، الذى منعه الأزهر، وبأمر القضاء أفرج عنه. جاء في كتاب الشيخ، إبنِ الثمانين :

إتّهمتِ المحكمةُ المؤلّفَ في قوله: إنّ غلمانَ الجنّة، أو ولدانَها، هم لمن عَفَّ وتطهّر في الدنيا.

وردّ المؤلّف بـ"أنّ ما أورده في كتابه عن الاستمتاع بالولدان في الجنّة إنّما هو للذين عَفّوا وصانوا أنفسَهم عن الفاحشة في الدنيا -وأنّ مجال أعمال القوانين إنّما هو في الدنيا لا في الجنّة.. وأنّه إنّما قرّر تحريم الإسلام للّواطة في الدنيا - حيث مجال القوانين"[51].

ثم حكمت المحكمة بقولها: "أمّا الاستمتاعُ بالولدان المخلّدين في الجنّة لمَن عَفَّ في الدنيا -على هذا النحو أو ذلك- فإنّه رجمٌ بالغيب، لا يعلَمُ حقيقتَه إلاّ الله- ولا يملكُ مَن ينفي أو يُثبتُ دليلا

51 الشيخ محمّد جلال كشك، خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة، ص ٢٢٢-٢٢٣.

حاسماً في هذا الموضوع يصحّ التعويلُ عليه في القول بتأثيم مَن يخالفُه شرعا وقانونا"[52].

ثم يفسّر شيخ الأزهر آيات القرآن التي تتكلّم على غلمان الجنّة وولدانها، فإذا هم "يُعرَضون في مجال التنعّم والتلذّذ بجمالهم، كجَزاء حَسَنٍ للمؤمنين... والحكمة في النصّ على الخلود، هي تأكيدُ مصدرِ المتعة في هؤلاء الغلمان لمن يشتهيهم، و(تأكيدُ) دوامِها، بعكس ما في الدنيا من زوال الفتنة بدخول الغلام سنّ الرجولة.."[53].

وحجّة الشيخ كشك هي هذه :

* "من الخطإ تقييم الحياة الأخرى بمقاييس وأحكام هذه الحياة...

* "كلّ المحرّمات في هذه الإرض تسقط في الآخرة...

* "لماذا النصّ على أنّهم غلمان وولدان.. وإذا كانت الغاية هي الخدمة الحسنة والمنظر الجميل.. فلماذا لم يكونوا ملائكة؟ وهل أجمل أو أبهى من الملائكة؟.. ليس للغلمان من صفة يتميّزون بها على الملائكة في الخدمة والجمال والتكريم إلاّ أنّ الملائكة كائنات غير جنسيّة.. من هنا نذهب للقول بأنّ لهؤلاء الغلمان مهمّةً خاصّةً استلزمتْ إنسانيّتَهم.."[54].

ويستنتج الشيخ الأزهري محمّد جلال كشك: "أيّة محاولة لإنكار تفسيرِنا لطبيعةِ هؤلاء الغلمان ستنتهي بصاحبها إلى إنكار الطابع الحسيّ لجنّتِنا، واقتباسِ التصوّرِ المسيحيّ عن جنّةٍ روحيّةٍ

---

52 المرجع الآنف الذكر، ص ١٣٢.

53 ألمرجع المذكور آنفاً، ص ٢٠١-٢٠٥.

54 ألمرجع المذكور آنفاً، ص ٢٠٦-٢٠٩.

لا أجسادَ فيها ولا اشتهاءَ ولا مِتَعَ حسّيّة".. واللّذةُ الجنسيّةُ، وهي التي قال عنها إبن القيّم، إنّها وحدَها التي ستبقى في الآخرة..

وحجّة هذا الاستنتاج هي: "كما أنّ المؤمن السويّ يستمتع بأنثى إسمها حور عِين، فكذلك مَـن ابتُلي بهوى الغلمان في الدنيا، وعَفَّ، وما تخطّى حدودَ الله، يُمتّعُه الله بكائنات مُذَكَّرَةٍ إسمها الولدان المخلّدون. أمّا أن يستمتع روحيّا أو جسديّا فهذه مزاجات شخصيّة لا نتدخّل فيها.

"والذى كبح شهوتَه، وصان عفّتَه، وحفظ فرجَه، ألا يستحقّ الجزاء؟! وما الجزاء إلاّ أن ينال في الجنّة ما اشتهى وأفضل؟... فكما أنّ "حور العين" جزاء من اشتهى الزنا ولم يقربه من خشية الله، فكذلك "الولدان" جزاء من اشتهى وعفَّ...

"فالعفّة مطلوبة، وجزاؤها التحرّر والقوّة في الدنيا.. والجنّة ونعيمها، بحُورها وولدانها، أو ما شئتَ ممّا لا عينَ رأتْ ولا أذن سمعتْ في الآخرة.. إنْ شاءَ الله"[55].

أيكتفي النقيب بهذا؟ أم ندلّه، وأفضل ما ندلّه، إلى القرآن الكريم نفسه؟

٦٨ - جـهـنّـــم

إنّ الإستاذ عمران، "لدى تحليله" العميق للفظة "جهنّم"، والرجوع الى المصادر اللغويّة، وجد أنّها لفظة عربيّة، وليس، كما قال أبو موسى، مكوّنة من كلمتين عبرانيّتين، وادي هنّوم"(٣٦٧-٣٦٨).

نقول: إنّنا نقدر جهود الإستاذ النقيب وأبحاثه العلميّة واللغويّة، إلاّ أنّنا نحثّه على أن يواصل جهوده وأبحاثه في أصول

55 ألمرجع المذكور آنفاً، ص ٢١٠-٢١٤.

"جهنّم"، فقد يلتقي، في نهاية المطاف، مع ما توصّل إليه أبو موسى، الذي حاول أن يعفيه من هذا الضنك.

٦٩ ـ نماذج من سوء الفهم

يكرّر النقيب عمران قوله بأنّ أبا موسى لا يزال يفصل ويقطع ويلصق في الآيات الإنجيليّة والقرآنيّة على السواء، حتى "تخرج من بين يديه مخلوقات عجيبة كتمثال أبي الهول"(٣٧٦). ففي سرد كلّ آية، إنجيليّة كانت أم قرآنيّة، متّهم بالتشويه (٣٧٧).

يقول: إنّ ما بين أسلوبي الإنجيل والقرآن "من بعد التجانس، لا يسوّغ لأيّ ناقدٍ إعتبار القرآن منسوخا عن الإنجيل"(٣٧٠). ثمّ ينبّه من "التجاوز الذي قام به المؤلّف على الآيات الإنجيليّة"(٣٧٥)، حتى أنّ أبا موسى "قطع ولصق حتى استخرج آية من ثلاث آيات (من الإنجيل)"(٣٧٦).

* وفي موضوع "المغفرة سبعين مرّة"، الواردة في متّى ٢١/١٨، والمقارَنة بسورة التوبة ٨٠/٩، يأخذ النقيب على أبي موسى بقوله: إنّ

-"مناسبة الآيتين (في الإنجيل والقرآن) مختلفة كلّ منهما عن الثانية،

-"والحكم الشرعي في كليهما مختلف بشكل قاطع،

-"والآية القرآنيّة تتحدّث عن المنافق، في حين أنّ الآية الإنجيليّة تتحدّث عن الأخ المخطئ في حقّ أخيه" (ص ٣٧٨).

* ويأخذ النقيب على أبي موسى مقابلته بين مَثَلِ "الحكيمات والجاهلات" (متّى ١/٢٥-١٣) ومَثَلِ "المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات" في سورة الحديد القرآنيّة (١٢/٥٧-١٥)... ألإختلاف بين النصّين، عند النقيب عمران، واضح، وهو يقوم

على ما يلي:

- في الإنجيل "مصابيح زيت"؛ أمّا في القرآن فـ"نور".

- في الإنجيل زيت يُشترى؛ وفي القرآن "نور لا يباع ولا يشترى، بل هو قرض.

- في الإنجيل "بكاء وصريف أسنان"؛ وفي القرآن "مأواكم النار وبئس المصير.. إلخ.

يستنتج بأنّ كلّ ما جاء به أبو موسى هو "من أساليب الصيد والقنص ونصب الشراك" (ص ٣٨١).

* وفي استشهاد أبي موسى بالآية القرآنيّة: "...ألركّع السجّد الذين سيماهم في وجوههم من أثر السجود؛ ذلك مثَلُهم في التوراة، ومثَلُهم في الإنجيل: كزرعٍ أخرجَ شَطْأَه..."(٢٩/٤٨)، يقول في ذلك النقيب: إنّها من "سوء القصد عند المؤلّف الذي يجمع ما لا يُجمع، ويؤالف بين ما هو غير متآلف" (ص ٣٨١).

نقول في هذه المآخذ وفي غيرها :

أوّلاً - إنّ المقارنة بين الإنجيل والقرآن ليست مقارنة حرفيّة في موضوعاتها. إنّها قد تكون استلهاما، أو استيحاء، أو تصرّفا حرّا، أو نقلا من السمع والذاكرة، أو ترجمة لأفكار لا لنصوص، أو تدبيج عظات يتكوّن موضوعها من عناصر مختلفة...

ثانياً - إنّ المقاربة لا تكون في الأمور العامّة المشتركة : فإذا قال الإنجيل، مثلا، إنّ الله خلق العالم واعتنى به، ثم قال القرآن الشيءَ نفسَه، فإنّنا لا نستطيع القول بأنّ القرآن ينقل عن الإنجيل. أمّا إذا قال الإنجيل إنّ الغني لا يستطيع دخول ملكوت السماوات إلاّ إذا دخل الجمل في سمّ الخياط (متّى ٢٤/١٩)، ثم قال القرآن الشيءَ نفسَه (سورة الأعراف ٤٠/٧)، نستطيع، عندئذ، وبالتأكيد،

القول بنقل مباشر، أشفهيا كان هذا النقل أم كتابة. هذه قاعدة لا يختلف فيها إثنان.

ثالثاً ـ ثمّ إنَّه لن يكون بوسع أحدٍ القول بأنّ المناسبة التي قيل فيها كلام في الإنجيل هي نفسها المناسبة التي قيل فيها مثيله في القرآن.

رابعاً ـ ثمّ إنّ الاختلاف بين الإنجيل والقرآن، في مجال التعبير والأسلوب واللفظ والصور الأدبيّة وغيرها... وارد. إنّما كلامنا في المقارنة والمقاربة يدور حول التعاليم الدينيّة، والممارسات، والأمثال الإنجيليّة، وموضوعات الحسنات والصدقات، وأحوال الجنّة والنار، والحساب والعقاب، واليوم الأخير وأهواله...في هذه كلّها كانت المقارنة والمقاربة كاملة.

٧٠ ـ ألإستشهاد بإنجيل مفقود

يأخذ النقيب عمران على أبي موسى إستشهاده بإنجيل مفقود، هو إنجيل العبرانيين، منذ أكثر من قرن ونصف على تنزيل القرآن! ويأخذ عليه أيضا: كيف يجوز الإستشهاد بمصادر مسيحيّة في حين أنّه يقارن ويقارب بين القرآن والمصادر النصرانيّة!!

نقول ونردّد:

أوّلاً ـ إنّ إنجيل العبرانيين كان بين يدي القسّ ورقة بن نوفل، ينقله من الأراميّة الى العربيّة، بحسب شهادة الصحيحين، البخاري ومسلم. وإنّ تعاليم هذا الإنجيل، بحسب شهادة آباء الكنيسة، معروفة.

ثانياً ـ إذا كان أبو موسى يستشهد بـ"أعمال الرسل" مثلا ـ وهو مصدر مسيحيّ- فذلك لأنّ هذا المصدر يكلّمنا عن التعاليم النصرانيّة أيضاً.. فهذا جائز. كأن نقول مثلا: يجوز أخذ أقوال أبي

موسى من كتاب النقيب عمران، إذا كان النقيب عمران ينقل أبا موسى، بأمانة ومسؤوليّة.

***

ثامناً ـ نـجــاح وفـشـــــل

٧١ ـ نجاح القسّ والنبيّ

لم يُعجب هذا العنوان النقيب عمران، إذ وجد فيه خدعة حريريّة. فالنجاح -بحسب زعم أبي موسى- يتمتّع به القسّ ورقة وحده، ولا دور فيه لمحمّد إلاّ لـ"إيجاد عامل الانتباه والجذْب لدى القرّاء.. بهذا يتحسّن تسويق الكتاب"(٣٨٩). ولهذا، سوف لا يبحث النقيب إلاّ في "نجاح القسّ ورقة بن نوفل لوحده، خلافا لما جاء في العنوان"(٣٨٩).

نقول :

لقد حصر النقيب نجاح القسّ ورقة في عمليّة واحدة فقط، هي عمليّة "الزواج من خديجة"(٣٩٠). في حين أنّ أبا موسى تكلّم على نجاح مشترك بين القسّ والنبيّ، في عمليّات مشتركة، قاما بها معا، كعملية التزويج، والتدريب، والتعليم، والخلوة، وقراءة الكتب المقدّسة، وتفسيرها، ومناصرة القسّ للنبيّ والمجاهدة، الى درجة أن قيل، عندما توفي القسّ: "ولم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي"(البخارى). فالنجاح إذاً عمل مشترك بين الإثنين.

٧٢ ـ وحده اللّــه

يقول النقيب عمران: "إنّ الذي اختار محمّدا هو الله (لا القسّ ورقة، كما يزعم أبو موسى). والوحي فجأه دون استعداد أو انتظار"(٣٩٠). ثم يقول، في الصفحة التالية: إنّ النبيّ هو الذي يعلن عن نفسه نبيّا "بوحي الله وأمرِه، وليس بوحي أو أمر من جانب آخر"(٣٩١).

نقول :

أوّلا - هذا جواب إنسانٍ مؤمن، غيور على إيمانه الموروث. غير أنّ الله، مع هذا الإيمان، يستطيع أن يستعمل الناس وسطاء بعضهم لبعض.

ثانيا - إنّ الرجوع دائما الى الله بكونه مصدر كل وحي، هو الإيمان الصحيح. غير أنّ هناك أيضا، بموجب قوانين طبيعيّة وضعها الله نفسُه في الكون، مصادر بشريّة طبيعيّة تلعب دورها في مخططات الله. وهذا أيضا إيمان صحيح.

ثالثا - ما يقوله النقيب في شأن الوحي أنّه لا يكون إلاّ من الله، لا من أيّ جانب آخر، هو قولٌ حقٌّ. غير أنّ الوحي، الذي يقول النقيب بأنّه نزل على محمّد، قد أَعْلَنَ عنه، بحسب المراجع الإسلاميّة، كلٌّ من القسّ ورقة، وخديجة، وأبي طالب، وبحِيرا الراهب، ورهبانٍ وأحبارٍ وحتى كهّانٍ وعرّافين.. والطريق المختصر للتأكّد من ذلك كتاب أبي موسى مع ما فيه من مراجع.

٧٣ - ألـخـلـوة أيضا

يعود النقيب عمران مرّة جديدة الى القول بأنّ الخلوة التي قام بها محمّد في غار حراء لم تكن مع أحد من الناس، ومنهم القسّ ورقة، وإلاّ لا تكون خلوة. ثم "كيف، بعد هذا، استطاع (أبو موسى) أن يدخل الى هذه الخلوة، ويتعرّف الى ما فيها؟.."(٣٩١)... ويطرب الإستاذ النقيب جذلان لأنّه أمسك أبا موسى في تناقضه، ويبشّر القارئ بقوله: "أمسكنا بالمؤلّف وهو يعترف (بأنّ خلوة محمّد) لم ترد في أيّ مرجع"(٣٩١).

نقول:

هل ننصح النقيب، الذي لم ينتصح بعدُ حتى الآن بأن يراجع

المراجع الإسلاميّة نفسها، كتب السِيَرِ النبويّة، والأحاديث الصحيحة، والتواريخ العربيّة والإسلاميّة كافّة؛ وإذا شاء أن يختصر الطريق فليراجع كتاب أبي موسى نفسه... ونحن، هنا، قد أثبتنا له مقصودنا في الأرقام ١٠ و٢٩-٣٠، ولن نعيدَها..

٧٤ - ألشريعة والحرّيّة

في رأي أبي موسى، إنّ الله لا يتدخّل كثيرا في شؤون الناس ليمسك عليهم حرّية التصرّف، فينزل عليهم من السماء نواميس وشرائع. هذه النواميس والشرائع هي من شأن البشر. هم الذين يسنّونها لينظّموا أمور دنياهم، وليقيموا مجتمعاتهم وجمعيّاتهم ومنظّماتهم ودولهم...

أمّا النقيب عمران فيعترض ويتعجّب ويقول : "كيف؟ كيف تكوّن هذا الرأي عند المؤلّف؟ وبخاصّة، ما هو المستنَد الذي يعتمد عليه؟ والذي أقصى بموجبه اللهَ عن الأمور التشريعيّة والحياتيّة للناس؟"(٣٩٢).

ويكمّل النقيب تعجّبَه: "كيف لم يستنكر(أبو موسى) تدخّلَ اللهِ المباشر في العهد القديم؟.. كيف لم يستنكر في التوراة، واستنكر في القرآن، مع ما هو عليه أسلوب القرآن من سموّ وجبروت ومناعة وإعجاز؟!"(٣٩٣).

نقول :

ليطمئنِّ النقيب. أبو موسى لا يصنِّفُ اللهَ مشترعا. إنّ اللهَ، في معتقده، لا يريد الإنسان إلاّ حرّاً؛ والإنسانَ لا يريد من اللّهِ إلاّ أنْ يحفظ له هذه الحرّيّة. في هذين الموقفين، كلُّ كرامة الإنسان، وكلُّ مجد الله. فما بال النقيب يمنع عن الله مجدَه، ويُخلّي الإنسانَ من حرّيته!!!

ثمّ لماذا ينعم اللهُ على أناس بشريعة سماويّة، ويمنعها عن آخرين!.. أيُنعم اللهُ على الأبرار والأشرار بالشمس والهواء والماء، سواء بسواء! ولا يُنعم عليهم بما يحتاجونه من شريعة سماويّة، إذا كان، في هذه الشريعة، خيرهم وسعادتهم!!! إنّ مفهوم النقيب وأمثاله لله وللإنسان لمما يستدعي إعادة نظر شاملة... إنّ مهمّة تنزيل الشريعة ليست من مهمّات الأنبياء الحقيقيين. وليس الأنبياءُ أنبياءَ، إنْ كانت لهم النبوّةُ بسبب تنزيلِ شرائع.

٧٥ - توحيد الكتاب

يقول النقيب: إنّ النجاح الثاني كان في "ترجمة الإنجيل وتسميته قرآنا"(٣٩٤)، في حين أنّ أبا موسى قال بأنّ النجاح كان في "توحيد الكتاب"... ويصرّ النقيب على أنّ كلمة "قرآن" لا تعني، كما عند أبي موسى، "قراءة عربيّة ميسّرة ومصدّقة للكتاب الأعجمي"، بل تعني "الجمع. وسمّي قرآنا لأنّه يجمع السور فيضمّها الى كتاب واحد"(٣٩٥-٣٩٦).

نقول:

أوّلا - إنّ القرآن يعني قراءة، وقراءة نصّ مكتوب. والقراءة هي قراءةٌ عربيّةٌ لنصٍّ مكتوبٍ. وهي قراءة عربيّة ميسّرة، أي مسهّلة للمستمعين العرب. وهي قراءة عربيّة ميسّرة ومصدّقة، أي موافقة للكتاب الأصل.

ثانيا - نوافق النقيب على المعنى الثاني لكلمة "قرآن"، أي "الجمع"؛ ولكن، ليس الجمع بين السور والآيات فحسب، كما يقول النقيب، بل، وبنوع خاص، الجمع بين الكتب المختلفة، والمتعدّدة، التي كانت في كلّ شيعة، أو كلّ قرية؛ ثم جمعها والتوحيد بينها في كتاب واحد هو القرآن الذى قام بترجمته وتدبيجه وتفصيله وتيسيره

وتصريفه القسّ ورقة بن نوفل؛ وبشّر به النبيّ محمّد جماعة العرب؛ فجمعهم على كتاب واحد موحّد.

٧٦ ـ ما في التوراة أعظم

يبرّر النقيب عمران دفاعَه عن القرآن بما يجده في التوراة. يقول: "لو التفتَ المؤلّف لوجد في مكتبه ـعلى مطال يده- أسفارَ التوراة التي ينزل فيها اللهُ عن عرشه السماوي، لينفخَ في الأسباط روح الحقد والدم والتدمير والإبادة والاستيلاء على كل شيء"(٤١٤).

ويوضح: "ترى! هل كان ذلك من خلفاء موسى -وكثير منهم أنبياء- كفرانا بالله وانحرافا عن رسالة موسى؟ أم أنّ تلقِّي المسلمين للغنائم هو وحده الانحراف وهجران روحانيّة الرسالة؟"(٤١٤).

نقول:

هل مثل هذه المفاضلة تجوز؟ هل يجب أن يعود القرآن الى ما قبل الإنجيل، ليتشبّه بشريعة التوراة؟ هل يُتّهم أبو موسى بأنّه يؤيّد ما جاء في التوراة من نسبةِ أعمالٍ مشينةٍ الى الله؟ أليست التوراة التي يأخذ عليها النقيب تعاليمها الحاقدة والتدميريّة من الكتب التي يقرّ النقيب بوحيها؟ وهل ما في التوراة من انحراف يبرِّرُ انحراف القرآن؟.. في اعتقادنا، أنّ النقيبَ أخطأ بحقّ القرآن والتوراة معا.

٧٧ ـ إيمــان محمّـد

يصرّ النقيب ويوضح بجليّ العبارة بـ"أنّ النبيّ محمّد لم يؤمن بالمسيح مثلما آمن النصارى، ولم يؤيّدهم في رسالتهم، ولم ينتسب اليهم، ولم يتقرّبْ منهم" (ص ٤١٤).

نقول : هذا الإصرار لا يُعالَج إلاّ بالأبحاث المقارنة، بين ما كان عليه النصارى في مكّة والحجاز من إيمان ومعتقد وممارسات، وبين ما جاء به محمّد وعلّم. والنتيجة الواضحة وضوح نور الشمس، أنّ إيمان محمّد ومعتقده وممارساته التقويّة هي عنده كما عند النصارى.

أهو تحدٍّ للنقيب عمران؟ أم أنّها الحقيقة تقال بعد أبحاث تاريخيّة هادئة؟ وإذا كان النقيب لا يقوم بهذه الأبحاث فمعذور لثلاثة:

أوّلا - لأنّ المراجع العربيّة الإسلاميّة صامتة،

ثانيا - والمراجع الأجنبيّة الكنسيّة تفوته،

ثالثا - ولأنّ القضيّة قضيّة إيمانيّة موروثة لا ينتصر عليها إلاّ مَن هم على غير ما هو عليه النقيب عمران من اطمئنان.

٧٨ - صفحة "عمرانيّة" عامرة

نودّ نقلَ صفحةٍ من الإستاذ النقيب، وعلى القارئ أن يفقه. جاء فيها:

"قبل مناقشة مقولات المؤلّف في القرآن، لا بدّ من تذكير القارئ بأنّ تعبير النصارى هو التعبير الوحيد الذي كان يُطلق على أتباع عيسى قاطبة. وهذا التعبير رافقهم منذ بدء دعوة المسيح. وقد اشتقّ من أحد مصدرين: إمّا نسبته الى مدينة الناصرة التي منها عيسى الناصري، وإمّا لأنّهم استجابوا له عندما قال: مَن أنصاري الى الله؟ قال الحواريّون: نحن أنصار الله.

"كما لا بدّ من لفْتِ انتباهِ القارئ الى أنّ تعبير المسيحيين لم يُطلق على أتباع عيسى في أيّ عهد من العهود القديمة، وبخاصّة إبّان الدعوة الإسلاميّة، لأنّ كلمة المسيح هي صفة لعيسى بن

مريم، وهي تعريب عن العبرانيّة لكلمة "مشيًّا"، وقد أطلقت على عيسى: إمّا لأنّه كان يمسح بيده على المرضى فينالون الشفاء، وإمّا لأنّه كان سائحا يمسح الأرضَ، وإمّا لأنّ المسيح هو الصدِّيق.

"ثم لن تجدَ في أناجيل العهد الجديد أنّ يسوع سمّى نفسه، أو وصف نفسَه، بأنّه المسيح. بل تكرّر ذكرُه مئات المرات فيها باسم يسوع.

"لذلك، بات من الممكن إدراك سببِ خلوِّ القرآن من تعبير المسيحيين، كما بات من الممكن إدراك السبب الذي لا ينادي عليه القرآنُ إلاّ باسم عيسى ابن مريم.. ولا يناديه بالمسيح منفردا، بل تأتي مركّبةً مع عيسى" (ص ٤١٥-٤١٦).

نقول للإستاذ النقيب أحمد عمران:

أوّلاً - إنّ "تعبيرالنصارى ليس هو التعبير الوحيد الذي كان يطلق على أتباع عيسى قاطبة"... بل منذ أوائل الكنيسة أُطلق إسمُ "مسيحيّين" على أتباع يسوع. وقد أثبتنا النصَّ مرارا في هذا البحث. فليراجع في مكانه.

ثانياً - نسبة النصارى هي الى مدينة الناصرة، وليس الى ما جاء في القرآن على لسان عيسى والحواريّين[56]. عيسى والحواريون، يا سعادة النقيب، لم يسعدوا بمعرفة لغة القرآن، وهم أقدم من القرآن بسبع مائة سنة؛ وعيسى لم يُعرف عنه بأنّه سأل تلاميذه هذا السؤال؛ كما لم يعرف عنه -بالرغم من كونه إلها عند المسيحيين- بأنّه تكلّم اللّغةَ العربيّة؛ ولا الحواريّون كان في مقدورهم أن يجيبوا على سؤال عيسى؛ ولا في ثقافتهم مكانٌ للغة العربيّة... فمن أين جاء عمران بهذه الفذلكة؟ من معارفه التاريخيّة، أم من إيمانه الموروث؟!!!

56 في سورة آل عمران ٥٢/٣؛ وسورة الصف ١٤/٦١.

ثالثاً - مرّة أخرى يجزم النقيب بأنّ اسم "المسيحيين" لم يُطلق على أتباع يسوع إلاّ حديثا... ومرّة أخرى نقول للنقيب: فليراجع سفر أعمال الرسل، وقد استشهدنا به مرارا. وهو، في علمنا، أقدم من القرآن بنحو سبع مائة سنة. هذا بالرغم من أنّ القرآن، في معتقد النقيب، كان منذ الأزل.

رابعاً - كلمة "المسيح" لا تعني مطلقا ما عني بها النقيب. ألدراسات البيبليّة، كما تجمع عليه، تقول باختصار: إنّ المسيح هو الممسوح بالزيت. وقد أطلقت المزامير هذا اللقب على داود وسلالته. ثم أطلق على يسوع الناصري (ليراجع النقيب المراجع في رقم ٥٦ من هذا البحث).

خامساً - يقول النقيب: "لن تجد في أناجيل العهد الجديد أنّ يسوع سمّى نفسَه، أو وصف نفسه، بأنّه المسيح". نقول: نحيل النقيب الى أبسط المراجع، أي فهارس العهد الجديد، ويبحث عن لفظة "المسيح"، فيجد مثلا قولَ يسوع: "سيأتي غير واحد، وينتحل اسمي، ويقول: أنا المسيح. ويضلّ كثيرين"(متى٢٤/٥)... ثمّ أنّ الناس، أو بعضُهم، عرفوا بأنّ يسوع هو المسيح... وكان يسوع يحوّلهم الى مفهوم آخر للمسيح يتخطّى مفاهيمهم الموروثة. ونأمل من النقيب أن يقتدي بهم.

سادساً - ثم يستنتج النقيب من هذه المقدّمات الخاطئة أمورا أكثر خطأ. يقول: "لذلك بات من الممكن إدراك سبب خلوّ القرآن من تعبير المسيحيين". نقول: هذا صحيح. إنّ القرآن يخلو من هذا التعبير، لا لأنّ الاسم لم يكن معروفا، بل لأنّ البيئة القرآنيّة لم تعرف هؤلاء المسيحيين الذين لم يكن لهم وجود في مكّة. ألذين كانوا في مكّة هم النصارى الحنفاء المسلمون.

سابعاً - ومن استنتاجات النقيب قوله: "كما بات من الممكن

إدراك السبب الذي لا ينادي عليه (أي على المسيح) إلاّ باسم عيسى ابن مريم"، لأنّ يسوع لم يطلق هذا اللقب على نفسه، فكيف بالقرآن اذاً يطلقه على يسوع!!! ثم يقول النقيب: إنّ القرآن "لا يناديه بالمسيح منفردا، بل تأتي مركّبة مع عيسى". نقول: هذا القول يكذّبه القرآن نفسه، حيث يتكلّم على المسيح بدون تركيبه مع عيسى، وذلك في قوله مثلا: "لن يستنكفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبدا لله"[57]؛ وفي قوله: "وقال المسيح: يا بني إسرائيل! أعبدوا ربّي وربّكم"[58].

ثمّ أنّ في أكثر الأحيان تأتي لفظة المسيح مع ابن مريم (٥ مرّات) أكثر ممّا تأتي مع عيسى(٣ مرّات). فمقولة النقيب عمران ساقطة، وأسقطت معها الجلالين وابن كثير، الذين يحشرهم في جهله.

٧٩ - نسيان وتحريف

في رأي النقيب عمران، أنّه "قد تمّ تدوينُ القرآن على الصحف، وجمعُه في مصحف واحد، خلال فترة زمنيّة قصيرة.. لذلك يكون احتمال النسيان أو التغيير فيها احتمالا ضعيفا"؛ في حين أنّ الفترة التي مرّ فيها تدوينُ التوراة والإنجيل كانت فترةً أطول، "تحكّمت فيها ظروف التشتّت والجهل والتجاهل والأخذ عن أساطير الجزيرة وعقائدها التي كانت معينا لا ينضب لواضعي التوراة. لهذا قال عنها لوثر: "ألم يكتفِ اليهود، مصّاصو الدماء، أنّهم حرّفوا الكتاب من الدفة الى الدفة"" (٤٢٤). ثم يستنتج النقيب بقوله: "يسهل الافتراضُ بأنّ الكثير ممّا احتوته التوراة ليس كلام الله الى موسى"(٤٢٥).

---

57 سورة النساء ٤ /١٧٢.

58 سورة المائدة ٥ /١٢.

كذلك قال النقيب عن الإنجيل: "إنّ الإناجيل الأربعة ليست كلامَ المسيح، ولا كلام الله، ولكنّها روايات التلامذة عمّا كان لا يزال يتذكّره كلٌّ منهم من أقوال وأعمال المسيح عندما كتب إنجيله". ثم يستنتج بقوله: "بمقتضى هذا الواقع، فإنّه يسهل الافتراضُ بأنّ بعضا أو أكثر من بعض ممّا قاله المسيح أو فعلَه، لم يردْ ذكره في الأخبار الرسوليّة بسبب النسيان (٤٢٥).

نقول :

كم في هذا الكلام من مغالطات لاهوتيّة وتاريخيّة ومنطقيّة؟!!!

أولاً - هل يبرِّرُ النسيانُ والتغييرُ اللّذان حدثا في التوراة والإنجيل النسيانَ والتغييرَ في القرآن؟ هل هذه حجّةٌ منطقيّةٌ سليمة يعتمد عليها النقيب ليدفع التهمةَ عن القرآن؟!!

ثانياً - إلى أيّ علم بيبليّ يستند النقيب وأمثالُه ليقولوا لنا بأنّ المسيحَ نزّلَ على العالم إنجيلا؟ ومَن قال إنّ الرسلَ حرّفوا فيه وبدّلوا؟ وأين هي النسخةُ السليمة التي على أساسها يحكم النقيب وأمثالُه بالتبديل والتحريف؟ ومن قال بأنّ الوحيَ، في الإنجيل، يعني تنزيلا؟!

ثالثاً - غير أنّ إيمان المسلمين بتنزيل القرآن واضح؛ وحكمنا أيضاً واضحٌ. نقول في علم الوحي: إنّ اللهَ لمْ يُنَزّلْ من السماء كتبا، ولم يكتبْ باللّغة العربيّة. ألله لا يتعدّى على حريّة أيّ كاتبٍ ملهَم في ما يريد أن يكتب. ألحريّة هذه هي عنوان كرامة الإنسان، وعنوان مجد الله وعظمته.

٨٠ - آيات الغلوّ في المسيح

هناك، في حساب النقيب، حوالي عشرين آية في القرآن

تتحدّث عن "تنزيه الله عن الزوجة، والولد، والعدد.. وتعتبر كلّ مَن يعتقد في الله خلافَ ذلك هو مشرك فيه.. هذه الأحكامُ القاطعة المانعة الجازمة الحازمة تنال مباشرة من كلّ مَن آمنَ ولا يزالُ يؤمنُ بألوهيّة المسيح مع الله أو بنوّتِه منه. سواء أكان نصرانيّا أم مسيحيّا"(٤٢٧). ثم يستنتج النقيب ويقول: "ولذلك يكون فهمُ ما في الآيات على أنّها اتّهامٌ للنصارى (ومقصود النقيب طبعا المسيحيين) دون سواهم، إتّهاما غير صحيح"(٤٢٧).

نقول :

آيات الغلوّ هذه تنالُ من المسيحيين، لا من النصارى؛ لأنّ إيمان النصارى، بحسب المراجع الكنسيّة، -لا المراجع الإسلاميّة طبعا- هو نفسه إيمان القرآن.. ألمسيحيون -ومنهم وفد نجران- كفّارٌ مشركون؛ يغلون في إيمانهم بالمسيح. يقولون بأنّ المسيحَ هو ابن الله، صُلب وتألّم ومات وقبر ثم قام بقدرته الذاتيّة. هؤلاء، لا محالة، في نظر النصارى والقرآن، كفّار مشركون. أمّا النصارى، أي المسلمون، فهم "الأمّة الوسط"، "أهل مودّة"، "مقتصدين ومعتدلين" في عقيدتهم. وامتداح القرآن لهم كبير.

٨١ - رهبان النصارى

عن هؤلاء يقول النقيب:

"لم يردْ في القرآن تنديدٌ خاصّ برهبان الإبيونيين، وذلك لسببين: أوّلهما: إنّ الإبيونيّة، فكرا ومفكرين، وكتابا ومعتنقين، اندثرت منذ القرن الخامس. ألثاني: لم يكن معروفا لاتّباع عيسى عامّة غير إسم النصارى..." (٤٢٧-٤٢٨).

نسأل النقيب :

هل الإبيونيّة اندثرت حقا منذ القرن الخامس؟ وهل لم يبقَ لها

ومنها أيُّ أثر؟ بأيّ رهبان يطعن القرآن في سورة التوبة، وأيّ رهبان يمدح في سورتَي المائدة والحديد؟... نقول في موضوع وجود الرهبان في مكّة وأثرهم على النبيّ محمّد، إنّه لموضوعٌ شيّق جدّا. ليت النقيب عمران يصرف بعض وقته الثمين في تبيان حقائق مذهلة! فموضوع الحياة الرهبانيّة في مكّة، قبل الدعوة المحمّديّة وأثناءها، ينير ظلمات كثيرة تغلّف نشأة الإسلام وآيات القرآن.

فلهؤلاء الرهبان دور. والقرآن لهم يشهد. وكتب السِيَرِ والأخبار مليئة بأسماء رهبان وقسّيسين كبار.. وحركة التبشير التي تمّت على يدهم كانت تجتاح مكّة والحجاز بمقابل الحركة التجاريّة التي كانت تجتاح بلاد الشام. والحركتان تفاعلتا في مكّة ويثرب ووادي القرى ومؤتة وتبّوك والبتراء، وفي أسواق الشعر والأدب والخطابة.. ولا يغيبنَّ عن بال النقيب مدائحُ القرآن للرهبان والقسّيسين. فليراجع كتابَه كفى بنفسه اليوم عليه حسيبا.

٨٢ ـ بين القرآن وعثمان وعمران

في صفحة واحدة من كتابه، ٤٣١، يقول النقيب قولين متناقضين. يقول: في آيتين (٦٧/٣، و ٦٣/٣) من القرآن "لوم وتأنيب لكليهما (اليهود والنصارى)". ثم يقول بعد قليل بأنّ اليهود "وُصفوا بشتّى الصفات التي تميّزهم بالكفر والضلال.. أمّا النصارى فلم يوصفوا بهذه الأوصاف".

في هذين القولين موقفان من النصارى: في الأوّل هم أهل لكلّ لوم وتأنيب؛ وفي الثاني هم لا يوصفون كاليهود بالكفر والضلال. نقول للنقيب: محمّد لا يساوم. عمران يساوم. وقبله عثمان والفاتحون ساوموا. ألنصارى، في قرآن محمّد، هم أهل حقّ ومودّة. وفي مصحف عثمان، هم كفّار ومشركون. نصارى قرآن

محمّد هم غير نصارى مصحف عثمان. وعلى النقيب أن يكون مع ذاك لا مع هذا.

٨٣ ـ مدح في معرض الذمّ

لقد أشرفنا الى النهاية مع موضوعَين عنوَنَهما أبو موسى "قرآنيّون أم محمّديّون!" و"اسألوا أهلَ الذكر". وعالجهما النقيب عمران بطرافة شيّقة وأسلوب غير مألوف، لا في المدح ولا في الذمّ. فالنقيب، فيهما، يثبت مواقفه من أبي موسى الذي صاغ موضوعَيه بـ"أسلوب إنشائيّ، طغتْ فيه العاطفة والخيال"(٤٣٢). عباراته وألفاظه "عبارات متوهجة، وألفاظ من يحموم"(٤٣٢). إنّها "ألفاظ كرويّة"(٤٣٣)؛ وعباراته "لعبَ فيها الخيالُ حتى داخ"(٤٣٤)، و"تنداح بين الجمهور صهيلا ودويّا وزئيرا"(٤٣٦).

أبو موسى، في رأي النقيب، "يستعرضُ عضلات بيانه، ومفاتنَ عباراته" إلى درجة أنّه، في الموضوع الأوّل، "يستحقُّ الثناءَ من حيث الإنشاء اللّغويّ والصياغة البَيانيّة والخيال المجنّح الذي لا يقرّ له قرار"(٤٣٣). وفي موضوعه الثاني، "عنوانٌ مقطوعٌ من الحجر الصّلد"(٤٣٣). و"في صياغته الإنشائيّة أباح (أبو موسى) لنفسِه أنْ يُطلق أفكاره على شكل عيارات ناريّة"(٤٣٤). فأسلوب أبي موسى، في نهاية المطاف، "لا يختلف كثيرا عن القذف بالحجارة"(٤٣٧).

نقول:

هذا الشعور الذي يبديه النقيب تجاه أبي موسى ليس، كما في ظاهره، إطراءً ومدحا؛ بل يعبّر عن حالة نفسيّة عصبيّة، بانت في حجج الدفاع عن الله والقرآن والإسلام والنبيّ والصحابة... هذا من حقّه، ومن إيمانه وقناعته الشخصيّة. وقد يطلب منه أبو موسى

بإلحاح أنْ يبقى حيث هو، على إيمانه الموروث. فالإيمان -ولو بأيّ بدل- قيمة وضرورة ليطمئنَّ النقيب الى يومه وغده ومصيره. والجهادُ من أجل هذا الإيمان فضيلة عند صاحبه الذي يأملُ في أن يكون العالمُ كلُّه على الإيمان ذاته.

٨٤ - دفـــاع أخـير

جاء الدفاعُ عن القرآن -وبالتالي الهجوم على أبي موسى- في الموضوعات التالية:

١- ألقرآنُ، بالنسبة الى الأحاديث النبويّة، "نحسّ فيه الذات الجبروتيّة الآمرة"، ممّا يقطع بأنّ مصدرَه هو الله، فيما مصدرُ الأحاديث النبويّة هو النبيّ. وليسجِّل أبو موسى ذلك في خانة الردّ عليه، وفي خانة الدفاع عن ألوهيّة القرآن.

٢- نظرة القرآن الى الكون والحياة تعجز عنها "لجانٌ من الاختصاصيين والعلماء"، وقد تحدّى القرآن فيها الإنسَ والجنّ جميعا في أن يأتوا بمثلِ سورةٍ منه.

٣- في القرآن إعجاز علمي في مواضيع الكون والفلك والرياضيات والطب وعلم الأجنّة والولادة والموت والحياة وغيرها.. لم يتوصّل العلم الى بعضها، وتأخّر عن بعضها الآخر...

ويسألُ النقيبُ، بعد هذا كلّه، "أين موقع ورقة بن نوفل؟ أو الراهب بحيرى؟ أو الراهب عيصا؟ من هذا الإعجاز؟!!"(٤٣٩).

نقول:

ليطمئنّ بالُ الإستاذ النقيب أحمد عمران :لا جواب عند أبي موسى، ولا عند ربّ أبي موسى، على قضيّة إيمانيّة تتملّك النقيبَ في الصميم. نحترمها. نجلّها. نتمنّى لها أن تستمرَّ في ازدياد. ولا يؤلمنا ذلك أبدا. كما لا نريد أن يظهر منّا أيُّ إزعاج لمؤمنٍ يدافع

عن إيمانه وإيمان أجداده. ولكن، ليت النقيب يختلي بنفسه، ويتسمّع، من حين الى آخر، الى "أهل االكتاب". فالنبيّ محمّد نفسه تسمّع الى الله يقول له: "إنْ كنتَ (يا محمّد) في شَكٍّ ممّا أنْزَلنا إليكَ، فاسألِ الذينَ يقرءونَ الكتَابَ من قَبْلِكَ"(١٠/٩٤).

ثمّ نقول للنقيب قولا أخيرا: إنّ إشراكَ الغير في البحث عن الحقيقة، مهما كانت صعبة، ليس شركا، بل مشاركة وانفتاحا وإيمانا عظيمًا.

ألفصل الثالث

حامد حسن والحريري "وجهاً لوجه"

أوّلاً - تقديم البحّاثة الدكتور مصطفى الرّافعي

ثانياً - مضمون كتاب "العالِم حسن"

ثالثاً - ألصهيونيّة! ألصهيونيّة!!

رابعاً - ألحريري وأعوانه يكمّلون المسيرة

خامساً - كلمةٌ إلى كتبة "الحقيقة الصعبة"

مقدّمة الفصل

للسيّد حامد حسن كتابٌ بعنوان "**وجها لوجه أمام التاريخ**"، مطبعة عكرمة، دمشق، ١٩٩٢، قياس (١٧*٢٤)، ١٥٨ صفحة. قدّم له "البحّاثة الدكتور مصطفى الرافعي" (٥-٩).

يعرّف الكاتبُ نفسُه بكتابه على الصفحة الأخيرة من الغلاف، فيقول: "هذا الكتابُ جاء ردّاً وجواباً على الأسئلة التي وجّهها مندوبُ جريدة "الديار" البيروتيّة إلى المؤلّف. وقد كشف المؤلّف الأغراضَ والغايات التي ترمي إليها هذه الأسئلة، وتطرّق من خلالها إلى المواضيع التالية:

١. ألصراع بين الغرب والشرق.

٢. أظهر وبالوثائق دور المستشرقين في تأريخ هذا الصراع، والعمل على استمراره، بكلّ الوسائل.

٣. فضح الدور التخريبي الذي تقوم به المنظّمات الاستعماريّة، وفي طليعتهم مؤسّسة "التخريب الاجتماعي" التي يديرها كَتَبَةُ "الحقيقة الصعبة".

٤. ألمعارضة السياسيّة في الإسلام وآثارها في التاريخ.

٥. دور الشعوبيّة في كتابة التاريخ العربي-الإسلامي.

٦. الإشارة إلى الأهداف الإنسانيّة الكبرى التي تتلاقى عندها المسيحيّة والإسلام.

٧. ألتناسخ، ألتقمّص في الأديان.

كلّ هذا تقرأه مكثّفاً، وواضحاً، وموثقاً في هذا الكتاب".

ويهمّنا، نحن، منها ما جاء تحت رقم (٣)، وما جاء طَيَّ صفحات الكتاب، وهو كثير، إذ لا يترك الإستاذ حسن مناسبةً أو ظرفاً إلاّ ويتناول أبا موسى الحريري وكَتبَةَ "الحقيقة الصعبة"، بالطعن والشتم والقدح والتهم... والدليل من النصوص. وهاكَه:

***

أوّلاً - "تقديم" البحّاثة الدكتور مصطفى الرافعي

.. والدكتور أيضا يبدأ بالطعن والشتم والذّم. وقد لا نجد عنده في أربع صفحات ونصف غيرَ هذا. ويعذرنا القارئ على ما نقدّمه له من نتاج الدكتور، ونحن نختصر ما جاء في كلمته. يقول: للإسلام أعداء: "ألصهاينة، والمستعمرون، والمستشرقون، والمبشّرون الغربيّون، ومَن تبعهم من دعاة التغريب، والعملاء المأجورين، والذين استمرأوا العمالة، والذين أغراهم المال، ودعوا إلى الإلحاد، والذين عملوا في تشكيك المسلمين ببعضهم" (٥).

ومن هؤلاء الأعداء "أبو موسى الحريري"، وهو شبيه، لخطورته، بـ"عبدالله بن سبأ" اليهودي (ص٦). وقَبل الحريري، كان "الأب هنري لامنس" الجزويتي، "الذّي أكلَ الحقدُ قلبَه" (٨). هؤلاء الأعداء، كلّهم، يعملون لمصلحة الصهيونيّة العالميّة. ومصلحتها الأولى والأخيرة تقويض الإسلام من الداخل، وذلك "عن طريق إبعاد بعض مذاهبه عنه، تمهيداً لعزله وضربه والقضاء عليه".

هذا موضوع من موضوعات كتاب "الأديب الكبير والعالِم البحّاثة الإستاذ حامد حسن". أمّا الموضوع الثاني، عند "الدكتور"

و "العالِم" معاً، هو إثبات إسلام العلويّين. وهذا همٌّ يلاحقهما، وكأنّ إسلامَ العلويّين هشٌّ إلى درجة أنّه يحتاج دوماً إلى "دكتور" و "عالم" ليدفعا عنه التهم. ففي رأي الدكتور، هناك مصادر إسلاميّة عديدة تردّ العلويّين في "أصلهم ونسَبِهم واعتقادهم وعبادتهم" إلى الإسلام. فهم طائفة إسلاميّة، و "أنّ العلويّين ليسوا سوى فئة من المسلمين" (٧). وأعداء الإسلام يعملون جهدَهم في "ما يشين سمعة هذه الطائفة، وينتقص من كرامتها.. ومنهم أبو موسى الحريري وأضرابه في هذا العصر" (٦).

نقول: قد لا يجد أبو موسى مادّة للردّ على الدكتور، لأسباب ثلاثة":

أوّلا- لأنّ كلامَ الدكتور، كما رأينا، لا يتعدّى العموميّات، ولا دليلَ على العموميّات.

ثانيا - لأنّ كلامَ الدكتور دفاعيّ، توجّهه همّةُ الدفاع عن إسلام العلويّين. وليس مَن يهاجم حتّى يجوز الدفاع.

ثالثا - لأنّ أسلوبَ الدكتور يتّصف باللّعن والشتم...وليس له عندنا مِثْل.

يكفي هذا. فالاستزادة منه مضيعة لوقت القارئ.

***

ثانياً - مضمون كتاب "العالِم حَسَن"

يتبيّن للقارئ أنّ الدافع إلى كتابة هذا الكتاب أسئلة الإستاذ نبيل فيّاض الذي كان يقول لنا بأنّ "العالِم حَسن" قد غيّر وبدّل في الأسئلة، ووضع أسئلة على هواه... ومع هذا يعالج الكتابُ أسئلةً تتناول موضوعات عديدة، مثل وضع المرأة في الإسلام، والحرّية، والحجاب، والتقمّص، ومختلف الشيع كالمندائيّة والصابئة واليزيديّين والعلويّين، في أصلهم وتاريخهم ومعتقداتهم وعلاقتهم بالإسلام (٦٩-١٥٣)؛ كما تتناول ما جاء في "سلسلة الحقيقة الصعبة"، وبنوع خاصّ، ما كتبه الحريري في "قسّ ونبيّ"، وفي "العلويّون النّصَيريّون"، وغير ذلك، وهو ما يعنينا في ردّنا هذا.

بيد أنّ "العالِم حسن" رأى من الضروري، قبل الردّ على الأسئلة، أن يقدّمَ لأجوبته ببعض المعلومات التي يملكها، مثل وثائق عديدة وجدَها خطيرة، وكلاماً على الصليبيّة والصهيونيّة والأمبرياليّة والاستعمار والاستشراق والصراع بين الشرق والغرب.. ويعنينا من هذه كلّها ما جاء تحت عنوان "الوثائق السوداء"، ألوثيقة رقم ١، ممهورة باسم أبو موسى الحريري، في كتابه قسّ ونبيّ.

جاء في هذه الوثيقة السوداء:

١. إنّ مكّة ليست موطنَ انطلاقة دعوة التوحيد والإسلام، بل مركز كنيسة نصرانيّة.

٢. إنّ محمّدا أدخله القس وَرَقة بن نوفل في النصرانيّة ليخلفَه في كنيسته هذه.

٣. إنّ القرآن هو ترجمة إنجيل متّى، وإنّ عثمان بن عفّان أدخلَ عليه تحويلاً وتشويهاً مغتنما فترةَ الحروب آنذاك.

٤. ألإسلام ليس إسلاما بالمصطلح المعروف عنه، بل عقيدة إبيونيّة.

٥. إنّ هذا الإنجيل الذي يدعوه المسلمون قرآناً وصل إلى ورقة بن نوفل باللّغة الأراميّة وبالحرف العبراني، وعرّبه القسّ ورقة بن نوفل مع محمّد بشيءٍ من التصرّف، ويمكن أن يكون لعليّ بن أبي طالب شيء من المساعدة على النقل، لأنّ أسلوبَه في نهج البلاغة يشبه أسلوب محمّد.

نقول:

أوّلاً - لا نعرف عن أبي موسى أنّه كتبَ وثائق، أو بحثَ في وثائق إسلاميّة.. جلّ ما نعرف أنّ أبا موسى كتب أبحاثاً علميّة في الإسلام، جهد ما بوسعه لكي يكون فيها موضوعيّاً.

ثانياً - لم يقل أبو موسى إطلاقاً إنّ مكّة لم تكن موطن انطلاقة الإسلام. مع أنّه كلام لا يتناقض مع أن تكون مكّة في أساسها مركزاً مهمّاً للنصرانيّة.

ثالثاً - إنّ عثمان، الذي أدخل في القرآن بعضَ ما رأى ضروريّا ومناسباً، لم يقل أبو موسى عنه بأنّه "أدخل عليه تشويهاً"، بل قد يكون أدخل عليه جديداً.

رابعاً - غير ذلك ممّا في الوثيقة صحيح. ولكنّه مقتضب ومقصّر عمّا جاء به كتاب "قسّ ونبيّ" وكتاب "نبيّ الرحمة وقرآن المسلمين"، وغيرهما من سلسلة "الحقيقة الصعبة".

***

ثالثاً - ألصهيونيّة! الصهيونيّة!!

لا يمكن لأي كاتب عربيّ حرّ أن يكتبَ في الدين أو السياسة أو الاجتماع أو الفكر الفلسفي والأدبي.. إلا ّ أن يكون وراءه الاستعمار والاستشراق والأمبرياليّة والصليبيّة والصهيونيّة والسبحةُ كلُّها.. لا يمكنُ لكاتبٍ، مهما كان نحريراً وألمعيّا، أن يتخلّص من هذه التهمة. فإذا ما صَمُتَ عن الصهيونيّة، فُسِّرَ صَمْتُه بأنّه بدافعٍ منها؛ وإذا شتمَ الصهيونيّةَ، يفسّر شتمه بأنّه يخفي وراءه علاقات مشبوهة؛ وإذا مدح، اتُّهِمَ بالعمالة...

هاكَ مثَلاً : قال "العالِم حسن": "أجل. لقد ألزمتُ نفسي جاهداً للنفاذ إلى اكتشاف ما يبطن (الإستاذ فيّاض)، واستظهار ما يُخبئ، وما يختلج في صدرِه، ويعتلج في نفسه.. أليس الرجلُ من لبنان، بلد الطائفيّة واللّهب والغضب، والعملاء، وفئات الدّسّ على سورية، والذين يعملون ليلَ نهار، وسرّاً وعلانيّة، لنقل الفتنة إليها، وفق مخطّط الصهيونيّة والاستعمار، والذي يقوم بتنفيذه عملاؤها المأجورون.." (ص ٢٢).

وفي مكان آخر من كتابه، يتساءل "العالِم حسن" عن هويّة نبيل فيّاض، ويكتشف: "أديب من لبنان! يدافع عن كاتب صهيوني (كفكا) والصهيونيّة، بواسطة أداتها وابنتها إسرائيل، تحرق لبنان سماءً وأرضاً وبحراً!! ألصهيونيّة تمطر لبنان قنابل.. وترشقه صواريخ،، وتخرّب عمرانَه، وتقتل وتهجّر سكّانَه، وتزرع الموتَ والدمار في كلّ بيتٍ وشارع.. ثمّ يأتي كاتبٌ عربيٌّ ليدافعَ عن أديب يمثّل الفكرَ الصهيوني!!" (ص ٣٠).

هذه "الأمبرياليّة والصهيونيّة عمدت إلى غزو لبنان، وزرعت البحرَ أساطيل، والسماءَ قاصفات قاذفات، والأرضَ مشاة وناقلات.. ونشطت المؤسّسات الإستشراقيّة والتبشيريّة وعملاؤها بإصدار الكتب التي تكتظ صفحاتُها بالدّسِّ على الأمّة العربيّة.. عرَفَ القرّاءُ منهم: أبو موسى الحريري، وأنور ياسين.. وفرسان "الحقيقة الصعبة" (ص ٣٦).

ولذلك "نرى لزاماً علينا، وإلزاماً لنا، والتزاماً أمام الحقيقة أن ندعو كلَّ مفكّر إلى.. أنْ يعملَ جاهداً، ويمضي مجاهداً، لكمِّ الأفواه الناعقة، وتحطيم هذه الأقلام المارقة المنافقة، وإطفاءِ لهيبِ هذه الفتن، ولجمِ شفاهِ النافخينَ فيها، وفضحِ أعمالهم، وإعلانِ عمالتِهم" (ص ٣٦).

وبالفعل، راح "العالِم حسن"، في فصل "الإستشراق والمستشرقون" (٥٣-٦٨)، يستعرض بعضَ المستشرقين، ويصفهم. منهم: "فانتور، مستشرق داهية، محنّك، متستّر.. يرصد، ويرسم، ويخطّط.. إنّه حقّاً شيطانُ نابليون، ومستشاره، وخليله" (٥٦-٥٨).وهنري لامنس، "شديد التعصّب ضد الإسلام" (ص ٥٩).

"ويأتي في المراحل الأخيرة، وتحديداً بعد ١٩٨٠، ثالثةُ الأثافي، أبو موسى الحريري، أحد فرسان "الحقيقة الصعبة" (٦٠).. "ونقول: لو انصرف هذا "الأبو موسى" ورفاقه كتّاب الحقيقة الصعبة، لمعالجة شؤون قومهم، وأبناء عقيدتهم، وإصلاح خلافاتهم، والعمل على توقّي لعناتهم.. أليسَ ذلك أجدى وأنفع، وأبرّ وأصلح!! أليسَ ذلك خيرٌ له ولأصحابه من هذه الحملات المسعورة على الإسلام، وفرق الإسلام، وخاصّةً العلويّين والدروز والإسماعيليّين!؟" (ص ٦١).

وقبل الحريري وفرسانه، كان ماسّينيون الذي "أتقنَ التسلّلَ إلى الإسلام، ولعبَ دورَه ببراعة وأجاد" (٦٢-٦٥).وقبله ريموند مارتين الذي "اختاره رؤساؤه الدومينيكان ليحسنَ التبشير والردّ على المسلمين" (٦٦)... هؤلاء كلهم خدموا الصهيونيّةَ العالميّةَ من حيث لا يدرون.

***

رابعاً - ألحريري وأعوانُه يكمّلون المسيرة

في رأي "العالِم حسَن"، ألحريري وأعوانُه "حلقةٌ في سلسلة طويلة من العداء للإسلام والمسلمين. بدأت هذه السلسلة في مدينة كليرمونْت، سنة ١٠٩٥، واستؤنفَتْ بعد سقوط القسطنطينيّة، عام ١٤٥٣، ولم تزل مستمرّةً ومتلاحقة حتى اليوم عبرَ منشورات "الحقيقة الصعبة"، وعلى أقلام فرسانها، كأبي موسى الحريري وأنور ياسين.." (ص ٦٩).

وإنّه لمن الواجب على كلّ مسلم ومسلمة أن يفضحوا هؤلاء. لنسمع: "إنّ تعريةَ أصحابِها، وفضحَ المؤامرة التي تختبئُ وراءها، والغايةَ التي يرمون إليها، وكشفَ الستارِ عن الدوائر والمؤسّسات التي تموّلُها، وتغدق عليها نعمَها، وتوحي لها، وتسهرُ عليها، لَهْيَ فَرْضُ عَيْنٍ على كلّ مخلِصٍ لأمّته ووطنِه، وقِيَمِ هذا الوطن وهذه الأمّة" (ص ٦٩).

ويلوم "العالِمُ حسَن" الإستاذَ فَيّاض، الذي يتحفّظ قليلاً في أخذ موقفٍ معادٍ من الحريري وأعوانِه، ويقول: "لماذا لم يتسرّب شكُّه إلى.. أبي موسى الحريري وأنور ياسين.. و"الشركة المساهمة" من المستشرقين والمبشّرين الجدد!! إنّ كلّ ما نُشر، ويُنشر، وسيُنشر في بيروت، مقرِّ المستشرقين والمبشّرين، حولَ العلويّين، لا يُعتدُّ به، من وجهة نظر العلم، وشرف البحث، وجدّيّة القول، والتزامِ الموضوعيّة" (ص ٩٥).

نقول: لم يقدّم لنا "العالِمُ حَسَن"، حتى الآن، أيَّ دليل على ضلال الحريري وأعوانه. كما لم يقدّم لنا أيَّ تصحيح وتقويم علميّ

لمقولات الحريري وأعوانه. جلّ ما قدّم لنا رفضاً وطعناً ولعناً واتّهاماً.. ولا يؤاخذنا القارئ إن لم نستطعْ إفادتَه بشيء يشفي غليلَه، ويُرضي عقلَه، فتكون له حجّةٌ لنا أو علينا.

***

خامساً ـ كلمةٌ إلى كَتَبَةِ "الحقيقة الصعبة"

نقدّمُ إلى القارئ خلاصةَ مآخذ "العالِم حسن" على أبي موسى و"فرسان الحقيقة الصعبة". كلّها أحكام عامّة مبرمة مطلقة على عواهنها، بدون سنَد. يتساءل ويقول:

١. "أينَ نضع كَتبةَ "الحقيقة الصعبة" بالنسبة لهذا العالَم المتّجه لإقامة مجتمع السلام والمؤاخاة والعدالة والمساواة؟؟.. أين نضعهم وقد مهّد العلم للإنسان سبيلَ التعاون والمثاقفة والمواكبة والاجتماع؟؟ أين نضع أبا موسى الحريري وأنور ياسين ورجال "الشركة المساهمة" في سلّم العلاقات الاجتماعيّة والدعوة الإنسانيّة؟؟ ماذا يوظّفون أقلامَهم في محاربة السلام؟؟ ويعملون معاولهم في هدم الإسلام؟؟ ويجهدون أنفسهم في التنقيب عن كلّ وجه سلبيّ في التاريخ؟؟ لماذا يثيرون الإحَن، ويوقظون الفتن، ويحضّون على القطيعة، ويحرّضون على الوقيعة؟؟

٢. وتأتي نصيحة "العالِم حسن" في كيفيّة معاملة هؤلاء الفرسان. يقول : "إنّنا نهيبُ بالأمّة، أفراداً وجماعات، ونستدعي كلَّ ضمير حيّ، وقلمٍ حرّ، وعينٍ ناظرة، ويدٍ عاملة، وإرادةٍ فاعلة، لإيقافِ كلِّ نشاطٍ محموم، وتطهيرِ كلِّ جوٍّ مسموم، والعمل على تحصين المدارك والعقول من خطر كلّ "وافدة" وشيطنة كلّ ماردة!! وأيّ مرضٍ أمضُّ وأعدى، وأفتكُ وأردى، وأشرسُ وأودى من تمزيق وحدة الأمّة، وتفريق إجماعها، وخلخلة تراصّها، وتحدّي مقدّساتها، والتعدّي على حرُماتها، والتصدّي لمسيرتها؟؟ لماذا هذا التجنّي على الإسلام، كدينٍ وتشريعٍ ونظامِ مجتمع؟؟.

٣. وعندما يقرأ القارئ : "والآن، ليسمح لنا القرّاءُ أن نستعرضَ بعض آراء أبي موسى الحريري الشخصيّة المخبّأة المختبئة" (١٤٣)، يتخيّل له أنّه سيقرأ ما يرضي عقلَه، ويريح بالَه، ويقابل الحججَ بالحجج، ويعرف الحقّ من الباطل... خاب أملُه. فـ"العالِمُ حَسَن" يعود إلى العموميّات. ويستعرض، من جديد، ما كتبَه في ما سمّاه "الوثيقة السوداء"، حرفاً بحرف (١٤٣).

٤. ويأتي التبرير: "نحن لا نناقش هذه الآراء الآن، لأننا نعتذر أنّه لا يوجد ثقيفٌ في العالم إلاّ ويدرك زيفها وبطلانها والغرضَ منها" (١٤٤).

٥. ثمّ تأتي النصيحة: "نقول لأبي موسى الحريري المخبّأ والمختبئ وللشركة المساهمة، إنّه كان من الأجدى لكم، والأجدر بكم أن تبحثوا آراء علماء الغرب، مؤرّخي المسيحيّة، وفلاسفتِها، وخلافاتهم الكثيرة الوفيرة، الحادّة الرادّة، الهازلة الجادّة، وتعملوا على سدّ هذا الخلل، ووضع حدّ لهذا الجدل، وذلك لو علمتم عملتم خير عمل" (١٤٤).

٦. ولأنّ "العالِم حَسَن" لا يناقش، ولا يريد النقاش، يرى نفسَه مضطرّاً إلى نقلِ المعركة من ميدان الإسلام إلى ميدان المسيحيّة، التي يختلف المسيحيّون الغربيّون على كلّ شيء فيها. ثم يعدّد، ويسترسل، ويفنّد، ويستشهد.. وفي الأخير، وبعد عناء طويل، يعود إلى أبي موسى ليسألَه عن كلّ ما استعرض من آراء حول المسيحيّة:

٧. "هل لأبي موسى الحريري، وكتبَةِ "الحقيقة الصعبة" أن يناقشوا هذه "الحقائق الصعبة"، ويصلحوا ما في البيت من تصدّع وتداع وانهيار، ويتركوا أمرَ الإسلام، ورسول الإسلام، ورسالة الإسلام، والمؤمنين بهذه الرسالة!!!

"هل لهم أن يزيلوا الالتباس عن كتبةِ الأناجيل، ويحدّدوا تاريخ كتابتها، وبأيّ لغة، ومتى، وكيف، وأين، ويظهروا سرّ هذه الفوارق بينها، وكيف تجاوزت العشرين.. وكيف اختصرت واقتصرت على أربعة فقط!!

"هل له، ولهم، وهم الباحثون، أن يزيلوا هذه الإشكالات؟؟ ويُريحوا أنفسَهم وأقلامَهم من عناء البحث والتنقيب عن القرآن وجمعِه، وجامعيه، ومتى، وأين، وكيف!!

"هل له، ولهم، أن يوضحوا أسباب تلك الزيادات اللاّحقة في أسفار العهد الجديد، ويعفوا أنفسَهم من إيراد المزاعم والفرضيّات عن القرآن وزيادته وأخطائه اللغوية، ومخالفة بعض تراكيبه للبلاغة العربيّة؟؟..

"هل له، بدلاً من هذه المزاعم، أن يقيم اعوجاج أساليب ترجمات العهد الجديد عن اللغات السريانيّة والعبرانيّة واليونانيّة والرومانيّة إلى العربيّة؟؟ ..

"ما بال أبي موسى الحريري و"شركته المساهمة" يتجاهلون كلّ هذا، ويقفزون من فوق التاريخ، وينزلون متطفّلين واغلين، ضَيَاغن على الإسلام، ونبيّ الإسلام، وتاريخ الإسلام، وفِرَقِ المسلمين، وخاصّة العلويّين والدروز والإسماعيليّين؟؟

"يغمسون أقلامَهم في دمائهم، ويُنشبون أظافرَهم في جلودهم، وأنيابَهم في أعناقهم، ويجعلون منهم -كيداً وعدواناً وافتراءً- صابئة، وفينيقيّين، وزرادشتيّين، ويزيديّين، وشَبك، ونصارى.. ولو أسعفتهم الذاكرة، وزوّدتهم الثقافة بأسماء فِرَقٍ شاذّة أخرى لما تردّدوا لحظةً واحدةً عن إضافتِهم إليها" (١٤٧-١٤٩).

هذا كلّ ما في كتاب "وجهاً لوجه أمام التاريخ"، للعالِم حامد حسن. لا يبدو الكاتبُ العالمُ صادقاً مع نفسه، ولا مع الإسلام، ولا مع أصول العلم، ولا مع مقولات الحريري، لا في رفضها، ولا في تصحيحها.. بكلمة، لم يفد، في كتابه، أحداً، سوى أنّنا قرأناه، واختصرناه، وقدّمناه لقارئ "الحقيقة الصعبة" لكي لا يكون له على كَتَبَتِها حجّة.

ونقول أيضاً : إنّ العالِم حسن لا يستطيع أن يتمادى كثيراً في الدفاع عن إسلام العلويّين والدروز. فهو، إن استطاع ذلك من أجل "الوحدة العربيّة"، وهذا شيء حَسَنٌ جدّاً، فهو لا يستطيعه من الوجهة الدينيّة. فالعلويّون النصيريّون ليسوا مسلمين، وإن اعتمدوا على مقولات إسلاميّة؛ والدروز الموحِّدون ليسوا مسلمين، وإن اعتمدوا على مقولات إسلاميّة. ولا يسعنا الآن أن تختصر للقارئ كتبَ "الحقيقة الصعبة" التي تعالج باستفاضة هذه الموضوعات.

وأخيراً، ولئلاّ يظنّ القارئ بأنّ الحريري يشتم ويلعن، نقول له: إنّ العالم حسن هو الذي يلعن ويشتم في كتابه؛ ويستعمل أسلوباً لا يليق حتى بالورق والقلم والحبر الذي يستعمله... هذا الشتم، كما يقول الدروز، لا يليق بأيِّ إنسان حتى ولو كان في مهمّة الدفاع عن الله والدين والأنبياء... فإنّ اللهَ، واللهِ، لم يكلّف العالِم حسن بالدفاع عن ألوهيّته. وإذا كان من تكليف، فهو واحد لا غير، ألا وهو واجب العالم حسن بأن يحبَّ حتّى أعداءه. هذا إذا كان يظنّ بأنّ أبا موسى الحريري عدوّاً له. والحقيقة هي عكس ذلك.

ألفصل الرابع

ألدكتور البوطي: ألنّصارى.. هذه مشكلاتـهم

أوّلاً - ألبوطي يختصر في الردّ

ثانياً - "مَن هو ورقة بن نوفل؟"

ثالثاً - "إستاذ لتعليم فنّ النبوّة"

رابعاً - "على التاريخ أن يكفّ عن بيان أمّيّة الرسول"

خامساً - "قرآن رسول الله وقرآن عثمان"

مقدّمة الفصل

وضع الدكتور محمّد سعيد رمضان البوطي كتابا بعنوان: "**هذه مشكلاتهم**"، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، طبعة أولى ١٩٩٠؛ (١٧*٢٤)؛ ٢٤٨ صفحة، طبعة ثانية ١٩٩٢؛ ٢٥٦ صفحة.

يتضمّن الكتاب ردوداً على أسئلة الإستاذ نبيل فيّاض، حول الصيرورة، والرقّ وزواج المتعة والخمر والميسر والحجاب، والدعارة والتسرّي، والمرأة والنكاح والطلاق، وعائشة والمعارضة، والميثولوجيا والإسلام، وحرّيّة التعبير في الإسلام والعلمنة، وتكفير المسلم للمسلم، وأخيراً، وهو ما يهمّنا، سؤال :

"ما رأيكم بما جاء في "قسّ ونبيّ" لأبي موسى الحريري من معلومات؟ أرجو أن تتفضّلوا بشرح دور ورقة بن نوفل في الدعوة الإسلاميّة لإزالة كلِّ التباس حول علاقة الإبيونيّة بالإسلام؟"

هذه أسئلة وجّهها الإستاذ نبيل فَيّاض لعدد من المفكرين المسلمين. منهم من استجاب ومنهم من رفض. والذين استجابوا ردّوا بأجوبة مختصرة، على أمل أن يتوسّعوا بها ليدرجوها في كتاب. هكذا صنع كلّ من الدكتور البوطي، والعالِم حامد حسن، والسائل الإستاذ نبيل فيّاض نفسه.

وكلٌّ واحد منهم كان له موقفٌ واضح من مضمون سؤال الإستاذ فيّاض حول القسّ ورقة بن نوفل، ونبوّة محمّد، وعلاقة الإسلام بالإبيونيّة، والقرآن بالإنجيل العبراني... وكلّهم أيضا كانوا

غير مرتاحين لمقولات أبي موسى الحريري. وسنبيّن الآن، رأي الدكتور البوطي.

أوّلاً - ألبوطي يختصر في الردّ

ردّا على السؤال أعلاه، يبتدئ الدكتور البوطي مباشرة بالتهشيم وبإسلوب ذاتيّ مباشر، يقول: "لقد استطعتُ أن أدركَ كيف تغدو الحقيقةُ صعبةً عندما يتمّ إخراجُها مهشّمةً ومنكّسة" (ص ٣٦).

نقول: هذا حكمٌ أطلقه الدكتورُ البوطي، باديً ذي بدء، وقبل أيّة مقدّمة، فأعلن موقفَه الرافض والعدائي، جملةً وتفصيلاً، من مقولات أبي موسى الحريري.

ثمّ يكمّل ويدخل في الموضوع الأساسي، وهو دور القسّ ورقة بن نوفل في حياة محمّد، وفي دعوته، ويحكم ويقول: "أدنى مثقّف عربي يدرك ويعلم أنّ كلاًّ من ورقة بن نوفل وبحيرا الراهب، كان ميتاً، موسّداً في قبره، منذ صدر النبوّة، وأوّل تاريخها" (ص ٣٦).

إلاّ أن الأجوبة المطوّلة والمفصّلة كانت في الكتاب، صفحة (١٨٣-١٩٩)، حيث يبدأ الدكتورُ فصلَه قائلاً: "هكذا يقرّرُ ذاك الذي سمّى نفسه أبو موسى الحريري". "هكذا"، هذه، تعود إلى عنوان الفصل، حيث "ورقة بن نوفل، أهو مؤلّف القرآن؟".

نقول:

أوّلاً - إنّه كلامٌ خطأ. إنّ أحداً لم يقل إنّ ورقة هو "مؤلّف القرآن".. بل الكلُّ يقول: إنّ للقرآن مصادر في التاريخ، اعتمد عليها، وأخذ منها.

ثانياً - إنّ اللهَ لم يكتبْ، لا بالسريانيّة، ولا باليونانيّة، ولا

بالعبريّة، ولا باللاّتينيّة، ولا بالعربيّة، ولا بأيّة لغة، مقدَّسَةً كانت أم منجّسَة. أللّه لم يكتب والنبيّ لم يكتب. فالقرآن، إذاً، كما التوراة والزبور والإنجيل، ليس من يد الله.

ثالثاً - إنّ الله لم ينزّلْ من السماء، لا كتاباً، ولا شريعةً، ولا ديناً، ولا عقيدةً، ولا صحفاً من "لوح من حجارة" ولا من "لوح محفوظ". اللهُ، واللهِ، يا دكتور، بريء من كلّ ما ينسب البشر إليه..

رابعاً - إنّ الله يحافظ على حرّيّة الإنسان، أيِّ إنسان، حتّى ولو كان نبيّاً مرسَلاً. بهذا يصون اللهُ وحدانيّتَه وعلوَّه، ويحافظ على عظمة الإنسان وكرامتِه وحريّتِه. بهذا، فقط، يكون الإنسانُ كبيراً ويكون اللهُ "أكبر".

خامساً - أبو موسى، إذاً، لم "يقرّر"، ولا يسعه أن يتّهم اللهَ بأي دينٍ، أو كتابٍ.. لهذا، ومن أجل هذا، وسعياً وراء هذا، يبحث أبو موسى ليجدَ للقرآن في التاريخ محلاًّ، ومنزلةً لائقةً به.. وها هو قد وجد قبلَ القرآن الإنجيلَ العبراني، وقبل محمّد ورقة بن نوفل، وقبل الإسلام النصرانيّة الإبيونيّة.

سادساً - هذه الثلاثة: الإنجيل العبراني، والقسّ ورقة، والإبيونيّة، هي من تراث الكنيسة النصرانيّة في مكّة والحجاز، في القرون المسيحيّة الإولى حتى القرن السابع...

سابعاً - ليس في نيّة أبي موسى، بعد هذا، تحطيمَ أحد: لا الله، ولا الإنسان، ولا محمّد، ولا أيّ شخص آخر.. بل مَن يقولُ بأنّ الله أنزل على الإنسان كتاباً، أو شريعةً، أو ديناً.. هو هو الذي يحطّمُ الله والإنسان معاً.

ثانياً - "من هو ورقة بن نوفل؟"

يسأل الدكتور البوطي هذا السؤال ليجيب عليه مختزلا حياة القسّ ورقة بن نوفل ببضعة أسطر، فيقول: إنّ القسّ ورقة لا دور له في نبوّة محمّد، لأنّه كان قد أصبح "شيخاً كبيراً قد عمي"، "وكان يكتب اللغةَ العربيّة بالحروف العبرانيّة"، و"أدرك أوائل عصر النبوّة ولم يدرك الدعوة"، وإنّه "لم ينشب أن توفّي" (ص ١٨٤).

نقول:

أوّلاً - كان القسّ ورقة بالقرب من محمّد منذ بدء حياته محمّد: لقد تعرّف عليه طفلاً دون الثامنة من عمره، في بيت جدّه عبد المطلب، لأنّ ورقة كان "نديما" لعبد المطلب، على ما تقول كتب السِيَر النبويّة كلّها -أجل كلّها- وعن بكرة أبيها. ولا يشذّ منها كتاب.

ثانياً - كان القسّ ورقة، إبن عمّ خديجة، يلازم محمّدا، عندما كان محمّد يعمل في تجارة خديجة... عندها تعرّف عليه شابّاً، وسيماً، ذكيّاً، فطناً، مخلصاً، أميناً، كريماً، ثائراً، منتقماً من كلّ شيء... فرغب فيه، وحطّ عليه أنظاره... وما إن بلغ الخامسة والعشرين حتّى توجّه القسّ إلى خديجة يطلبُ منها أن تجد في محمّد زوجاً لها. فكان له ولها ما رام القسّ منهما. فتزوّجا. والقسّ زوّجهما... وعندها كانَ القسّ والنبيّ وخديجة وأبو طالب أيضاً، وربما أبو بكر الصدّيق، يعملون معاً، يخطّطون، يترقّبون، يتحيّنون فرصةً ما لإعلان ما يجب إعلانه. وفي هذه الفترة، بين الخامسة والعشرين إلى الأربعين، خمس عشرة سنة، كان القسُّ

والنبيُّ يختليان شهراً كاملاً من كلّ سنة في غار حراء، يعلّمه ما لم يكن يعلم، يدرّبه، يقرأ عليه التوراة وبعض تفاسيرها، ويصومان معاً، ويصلّيان، ثم يدوران حول الكعبة في نهاية شهر رمضان... إلى أن بلغ محمّد عمر الأربعين، وهو سنّ الكمال، والأعمال الجريئة. فكان أن بدأ، فعلاً، بإعلان ثورة على "أعزّة" مكّة، و"الملأ الأعلى" من قريش، والمترَفِين والميسورين الذين يأكلون أموال اليتامى والفقراء... فنجح محمّد.. وتلا النجاح النجاح.. والقسّ ورقة كان لا يزال حيّاً، يراقب، ويشجّع، ويبارك.. عسى الدكتور البوطي يوافق على ذلك. فإنّها من كتبِ التراث عنده.

ثالثاً - ونعود قليلاً إلى الوراء لنجد القسَّ ورقة وخديجة يلعبان دوراً مشتركاً بارزاً في إعلان الدعوة الجديدة. كلاهما، ومعهما أبو بكر الصدّيق وأبو طالب عمّه، اشتركوا أيضا في التدابير الإلهيّة. ومع الجميع أيضا وأيضا كان الراهب بحيرا، والراهب عدّاس النينوي، والراهب عيص من الشام... كلّهم، منهم مَن شفى محمّداً من بعض علله، ومنهم من تنبّأ على مستقبله، ومنهم من شاء له النجاح في مهمّته... وعسى الدكتور البوطي يوافق أيضاً لأنّ هذا كلّه من كتبِ التراث عنده.

رابعاً - ولا يضطربنّ الدكتور إن قلنا له بأنّ الحركة النبويّة كانت شيئاً مألوفاً في الجماعات الإبيونيّة، اليهوديّة-النّصرانيّة. هذه الحركة النبويّة كانت حركةً رؤيويّة، إصلاحيّة، تصحيحيّة، رائدة، قام بها أناسٌ كبارٌ.. ولو يعلم الدكتور بأنّ النبوّة ليست هذه العطيّة الإلهيّة التي لم يحظ بها إلاّ أولئك الأنبياء المذكورون في التوراة.. وموسى نفسُه تمنّى على الله لو تكونُ أمّتُه كلّها أنبياء. قال: "ليتَ كلَّ شعب الربّ أنبياء، بإحلالِ الربِّ روحَه عليهم" (عدد ٢٥/١١)، وفي يوئيل أيضا: "أفيض روحي على كلّ بشر، فيتنبّأ بنوكم وبناتُكم" (١/٣).. وعسى الدكتور يوافق على أنّ النبوّة، في

الإبيونيّة، تعبيرٌ مألوفٌ، يُطلق على كلّ قائد مصلح، يريد خيرَ شعبه، كمحمّد نفسه.

خامساً - أمّا قول الدكتور بأنّ "القسّ ورقة كان يكتب اللغةَ العربيّة بالحروف العبرانيّة"، فهذا ما لم نسمع به، ولم نطّلع عليه، ولم يَقُلْهُ أحدٌ أبداً.

سادساً - أمّا قول الدكتور البوطي بأنّ ورقة "أدرك أوائل عصر النبوّة، ولم يدرك الدعوة "فهو قولٌ غير صحيح. فورقة كان قد أدركَ عصرَ النبوّة، بل هو الذي أعلنها، وأقنعَ محمّداً بموجباتها، وأرشدَ خديجة، وثبّتها في ما هي عازمة عليه. وابنُ هشام نفسُه كان قد قال عن خديجة، بأنّه كان لها كلّ هذا "بإرشاد من ورقة". وكتب السيرة كلّها تُميت ورقة في السنة الرابعة من الدعو ة. وعندما مات "فَتَرَ الوحي"..

سابعاً - ويستشهد الدكتور بما قاله صحيح البخاري، دون أن يذكر المرجع طبعاً، لئلاّ ينكشف سرُّ الدكتور. يقول: "ثم لم ينشب ورقة أن توفّي". ويصمت الدكتور. وكأنّ قلمَه عجز عن استكمال كلام البخاري، وهو كلمتان فقط لا غير، هما "وَفَتَرَ الوَحْيُ"... ومقصود البخارى هاتان الكلمتان. والمعنى لا يتمّ إلاّ بهما. ويريد البخاري أن يقول: لمّا مات ورقة فتر الوحي. يعني أنّ لورقة دوراً في الوحي والنبوّة والكتاب... ونقول للدكتور: إستكمالُ الجملة لا يعني نقصاً في نبوّة محمّد، بل يعني أنّ مسيرةَ محمّد كانت أكيدة، لأنّ وراءها مرشداً خبيراً عليماً، "انتهى إليه علمُ النصرانيّة"، هو القسّ ورقة بن نوفل، ابن عمّ خديجة، زوج النبيّ، وهو من سادة العرب وقادتِها... عسى الدكتور ألاّ يقّلل من دور القسّ، أو من نبوّة محمّد بسبب مساعدة القسّ له!!!

ثالثاً - "إستاذ لتعليم فنّ النبوّة"

يقول الدكتور البوطي بسخرية: "إذا كنتَ لا تعلمُ إلى الآن أنّ النبوّة أيضا فَنٌّ يُكتسب عن طريق المدرِّبين والأساتذة الماهرين، فافتحْ عينَيك جيّداً لتعلمَ ما لم تكنْ تعلمه، أنتَ ولا أجدادكَ، ولا الدنيا كلُّها، حتّى جاء إستاذُ الأساتذة، اليومَ، ملفوفاً ومخبوءاً، تحت إسم أبو موسى الحريري، ليعلمَكَ ما لم تكن تعلم من أنّ محمداً تعلّمَ فنَّ النبوّة، وأخذَ أصولَها، وتمرّسَ بقواعدها، على يد إستاذه البروفيسور ورقة بن نوفل!"(ص ١٨٦)...

نقول:

كان على الدكتور ألاّ يأخذ على خاطره، وينفعل، فالنبوّة مهمّة رياديّة، يختار اللهُ لها أناساً روّاداً، كباراً، مثقّفين، عالمين، خبراء في شؤون الناس... وإلاّ كان اللهُ يقلبُ علينا المقاييسَ كلّها. وبتنا لا نعرف كيف التعامل معه، وكيف نعمل مشيئته، ونطيع أوامره، وننصاع لنواهيه... ولا يتعجّبُ الدكتور إن قلنا له إنّ النبوّة، أجل، فَنّ يُكتَسَب، وأصحابُها قد يكونون تلاميذاً لأساتذة. هكذا كان باروك تلميذا لإرميا، وإليشاع تلميذاً لإيليّا، ويشوع بن نون تلميذاً لموسى، وداود تلميذاً لشاوول، وشمعون تلميذاً لعيسى... أفيتعجّب الدكتور من ذلك؟! وهل في ذلك حطٌّ من نبوّة محمّد، إذا كان له مرشدٌ عالمٌ خبيرٌ، من سادة العرب وقادتها، كالقسّ ورقة! أم يكون له اعتبارٌ أكبر!!!

لقد كان على الدكتور أن يعرف بأنّ أبا موسى لا يطعن بنبوّة محمّد. بل هو يجلّ محمّداً لمثل هذا الدور الرائد الذي لعبه. ولم

يكن له ذلك لولا القسّ ورقة. وكان عليه ألاّ يتعجّب من اعتبارنا محمّداً "نبيّاً"! وكان عليه أن لا ينصح أحداً بمثل ما نصح: "على كلٍّ من المنطق والعقل أن يخرسَ" (١٨٧).

***

رابعاً - "على التاريخ أن يكفَّ عن بيان أمّيّةِ الرّسول"

يسخر الدكتور قائلا: "أجل! هذا هو الأمرُ الذي يُصدرُه أبو موسى للتاريخ!.. وليس على أبي موسى إلاّ أن يأمرَ. وليسَ على التاريخ إلاّ أن يخضعَ ويُطيع!.."(ص١٨٧).

نقول:

حظّنا مع الدكتور تعيس. نحن لا نستطيع الردّ عليه بالمثل، لأنّنا لا نملكُ ناصية التاريخ، ولا نعرف المستقبلات، ولا يسعنا أن نتحوّل عن معالجة موضوع "الأميّة" إلى شخص الدكتور، لنسخر منه، ونتّهمه..

نقول للدكتور: "ألأمّيّ"، في القرآن، لا يعني مَن يجهل القراءة والكتابة؛ بل هو بمقابل "الكتابيّ". يعني، في اللّغة البيبليّة التي تأثّر بها القرآن جدّاً، الكتابي هو مَن له كتابٌ منزل، كاليهودي والنصراني، مثلاً، والأمّيّ هو مَن ليس له كتابٌ منزل، كالعربي واليوناني والروماني، وسائر الأمم، أي "الغوئيم"، بحسب التعبير التلمودي..

هذه المقولة، سنقولُها، ولو للمرّة الألف، وسنردّدها هي نفسها، دون أيّ تغيير فيها. والأدلّة عليها يجدها الدكتور، وسواه ممّن يرون رأيَه، وباتوا -والحمد لله قلّة بين الباحثين المسلمين أنفسهم- يجدها في كتاب "قسّ ونبيّ". ليته يقرأ هذه الصفحات، ليجد أنّ لفظة "أمّة" ومشتقّاتها في القرآن هي لفظة دينيّة، وليست لغويّة أو سياسيّة.. ألا فليخفّف الدكتور على نفسه عبء البحث. نحن نتحمّل الأعباء عنه.

والغاية من الإصرار على "أمّيّة" محمّد، بالمعنى "البوطي"، معروفة. وهي من أجل القول بأنْ ليس لمحمّد في كتابة القرآن إصبع. أمّا اليوم، فلسنا نحتاج إلى هذا المعنى حتى نصل إلى الغاية نفسها. فلا غضاضة، والحالة هذه، أن يكون النبيُّ قارئاً وكاتباً وحاسباً ومثقّفاً وعارفاً بمجريات الأمور وبالأعمال التجاريّة الرابحة... وليخفّف الدكتور من حدّته، ودفاعه عن النبيّ، فنحن بالنبيّ أولى منه، لأنّه، وقرآنه، من تراث الكنيسة الإبيونيّة التي كانت في مكّة في القرن السابع للميلاد.

وليخفّف عن نفسه قليلاً، فلا يتّهم أبا موسى بالعبث بالمقدّسات والرعونة، وبأنّ "صاحب الحاجة أرعن" (١٨٩). نقول: أبو موسى، يا دكتور، ليسَ صاحبَ حاجة في النبيّ، ولا في الدكتور. لا يهمّه مدحُ النبيّ أو ذمُّه. كما لا يعنيه رضى الدكتور أو إزعاجُه. أبو موسى يهمّه الكشف عن حقائق علميّة، تاريخيّة. وليت الدكتور يساعده، أو يصحّحه، أو يحاوره!!! أمّا أن يستمرّ على ما هو عليه فإنّ النبيّ نفسه لن يكون راضياً عنه، ولا حتّى أزواجَه في الجنّة يكنّ معه بخير.

ألدفاع عن نبوّة محمّد، وعن "أمّيته"، وكتابه، ورسالته، ودعوته، واختيار الله له... لا يقوم على شتم مَن يبحث فيها، ويعطيها بعدَها التاريخي الصحيح... ألدفاع عن محمّد يقوم، أوّلاً وآخِراً، على محبّة محمّد وربّ محمّد وما من أجله جاء محمّد، أي الإنسان... ولا يظنّنّ الدكتور بأنّ قَتْلَ الآخرين شريعةً إلهيّة، بقدر ما هي شريعة قَبَلِيّة عشائريّة بدائيّة، كان الهدف منها شدّ أواصر القبيلة والعشيرة بعضها إلى بعض. واللهُ منها براء.

***

خامساً - "جلال الربوبيّة في القرآن"

"جلال الربوبيّة" دليلٌ "بوطيٌّ" آخر على أنّ القرآن هو من عمل الله. أي -ردّاً على أبي موسى- لا شأنَ فيه، لا لمحمّد، ولا للقسّ ورقة، ولا لأبي موسى ومصادره النصرانيّة الإبيونيّة. هذا الدليل "البوطي" يقوم على أسلوب القرآن المعجز، الذي لا يستطيع إنسانٌ، مهما علا كعبُه، أن يأتي بمثله.

لهذا يقول الدكتور: "أفيمكن أن ينطقَ عثمان، أو ورقة، أو محمّد، أو أيّ كان من البشر، بمثل هذا الكلام؟!.. وليقم أيُّ فرعون من الفراعنة المتألّهين، ثمّ ليجرّب أن ينطقَ بمثل هذا الكلام.. فسيأتي بكلامٍ فيه محاولة التمثيل، وليس فيه إتقانُه"... وبالتالي، ليس أمام أبي موسى، والحالة هذه، إلاّ أحد الاحتمالَين: إمّا أن يكون اللهُ هو صاحبُ القرآن، وإمّا أن يكون عثمان، أو ورقة، أو محمّد، إلهاً.

نقول:

إنّ الذين يرون في كلّ كلمة من كلمات القرآن "آية"، هؤلاء يرون الله هو منزّلُ هذه الآية.. إلاّ أنّ كثيرين لا يرون ذلك. أو قل: -وقد أوشكنا على قول كلمة الفصل- مِن الناس مَن يؤمن بأنّ "آية آيات الله" هي في الإنسان في ما وضع اللهُ فيه من حريّةٍ، حرّيةٍ حتّى من الله نفسه؛ إلى درجة أننا نستطيع القول: إنّ عظمة الله تكمن في خَلقه الإنسانَ حرّاً، وعظمةَ الإنسان تكمن في البحث المستمرّ عن الله حرّاً... كلمة الفصل هذه لا تريح الدكتورَ البوطي وهو متعلّق بالتنزيل والتأويل..

ألفصل الخامس

نبيل فيّاص والإبيونيّون..والقسّ ورقة

مقدّمة الفصل

أدلى الإستاذ الصديق نبيل فَيّاض بدلوه في موضوع القسّ ورقة بن نوفل وعلاقته بالنبيّ محمّد، وعلاقة الإسلام بالإبيونيّة، والقرآن بالإنجيل العبراني، موضوعات كتاب "قسّ ونبيّ" لأبي موسى الحريري. وجاء كلام الصديق فيّاض في كتابه "**حوارات في قضايا المرأة والتراث والحريّة**"، دار أسامة، دمشق، ١٩٩٢، قياس (١٧*٢٤)، ٢٦٨ صفحة.

يتناول كتاب الصديق فيّاض معالجةً جديدة للأسئلة التي طرحها على مفكّرين مسلمين.. وهو يعتبر أنّ السبيل إلى الحقيقة هو الحوار. ولا بديل عن الحوار. ويجيد الصديق فيّاض الحوار، لأنّه يقصد أربابَ المعرفة. يسألهم. يسمعهم. ينقل آراءهم بأمانة. ويعتبر أن لا شيءَ بلغ، مهما بلغ، نهايةَ المطاف. فالكلّ يبحث. والحوار بابٌ مفتوحٌ لا يُغلق. ومنهجٌ وحيدٌ لا يُستبدل.

ولكن، كم يصعب الحوار على إنسان معجب بنفسه، ومأخوذ بعقله... ألكلّ يتبارى في الكلام الجيّد الممتاز عن الحوار. لكن، ليس واحدٌ يتخلّى قيد شعرة عن رأيه وموقفه. فبقدر ما يكون الحوار عظيما، تكون الطريق إليه شبه مستحيلة. وأشهد أنْ هذه الطريق لا يسلكها إلاّ القدّيسون المتجرّدون.

على هذا، تناول الصديق فَيّاض، في كتابه (ص ٢٥١-٢٦٥)، موضوعات أبي موسى . وحاول أن يكون، لا مع أبي موسى، ولا مع الدكتور البوطي، ولا مع الإستاذ حامد حسن،

ولا حتى، مع كتبة السِيَرِ النبويّة.. إلاّ أنّه، أيضا، لم يكن مع الحقيقة، ولا مع السبيل إليها. لنبدأ بالبداية.

١ - قال الصديق فَيّاض: "وافترض (الحريري) أنّ ورقة بن نوفل، قسَّها في مكّة (أي قسّ الإبيونيّة)، أقام محمّدًا نبيّاً!!!!" (ص ٢٥٢، س ١).

نقول: لم يقل الحريري، لا افتراضاً ولا تأكيداً، بأنّ القسّ ورقة هو الذي أقام محمّدا نبيّاً.. هذا كلام افتراء على القسّ ورقة، وعلى النبيّ محمّد، وعلى الحريري معا.. لا يوجد، في رأي الحريري، في تاريخ الكنيسة، أنْ أقام أحدٌ نبيّاً، قسّاً كان أم غير قسٍّ... كتبُ السِيَر النبويّة كلُّها هي التي جعلت القسَّ ورقة، والراهبَ بحيرى، وسواهما، يتنبّأون على محمّد، ويُعلنون للملأ، وقبل أوانه، عن نبوّة محمّد.. وكان على الحريري أن يقول بأن ليس من حقِّ أحد أن يتنبّأ على نبيّ في هذه الحال، ألمتنبّي هو النّبي، بل أعظم من نبيّ، على ما قال يسوع عن يوحنّا المعمدان الذي بشّر بقدومه.

٢ - ويكمّل الصديق فَيّاض: "وهذا ما لم يثبت قط في أيِّ مرجع إسلامي أو غير إسلامي" (ص ٢٥٢، س ١-٢).

نقول: إنّه كلامٌ اعتباطي. ألمراجع الإسلاميّة كلُّها، عن بكرة أبيها، قديمها وحديثها، أثبتتْ نبوّةَ محمّد على لسان القسّ ورقة بن نوفل، وسواه. وذلك في صفحات عديدة وطويلة. وإنّي في حِلٍّ من تسمية أيِّ مرجع، طالما أنّني أجزم، وأؤكّد بأنّ مرجعاً إسلاميّاً واحداً لم يتخلّف عن ذكر تنبّؤات القسّ ورقة على محمّد... ولكن، أن تكون هذه التنبّؤات حدَثاً واقعاً فهذا شيء آخر. ولا شأنَ لنا به الآن.

٣ - ويكمّل الصديق فَيّاض: "إضافةً إلى انقطاع أخبار تلك الجماعات منذ القرن الميلادي الرابع" (ص ٢٥٢، س ٢-٣).

نقول للصديق فَيّاض: إنّه لا يملك من حقيقة ما يقول في الإبيونيّين معلومةً واحدة. إنّ الإبيونيّة، وهي الشيعة الكبرى في النصرانيّة، كانت منتشرةً، فاعلةً، حاضرةً في مكّة والبتراء ووادي القرى وشرقي الإردن في زمن ظهور محمّد، أي في أواخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد.. والدليل على ذلك، تلك الأبحاث، بالمئات، عن النّصرانيّة، وأخصّها ما تقوم به مدرسة الرهبان الفرنسيسكان في القدس. وقد جمعَ أحدُهم بيبليوغرافيا عن النصارى في كتاب واحد تعدّى المائتي صفحة.. وما حيلتنا إن لم يكن المجالُ هنا في استعراض هذه الجماعات، حتّى لا يقول الصديق فَيّاض، ولا سواه، بـ"انقطاع أخبار تلك الجماعات منذ القرن الرابع".

ونضيف إلى هذا أنّ محمّدا، عندما نجحَ في دعوته، التي هي دعوة إبيونيّة واجتماعيّة معا، انخرط النّصارى كلُّهم، إبيونيّين كانوا أم قيرنثيّين أم ألِكْسائيّين أم غيرهم في الدعوة الجديدة التي أصبح اسمُها الإسلام..

٤ - ويكمّل الصديقُ فَيّاض: "وخلوّ كلِّ المصادر الإسلاميّة من أيِّ ذكرٍ للإبيونيّين" (ص ٢٥٢، س ٣).

نقول: تُرى هل كان من المتوقّع أن يُذكَرَ في المصادر الإسلاميّة غيرُ القرآن!! هذا الكتاب الذي وحّد الكتبَ كلَّها، وجمَعها فيه، وقضى على كلِّ شيء سواه... ثمّ هو أمرٌ طبيعي جدّاً أن لا نجدَ كلاماً في المصادر الإسلاميّة عن الإبيونيّين. والمصادرُ الإسلاميّة نفسها تعود إلى ما بعد الإسلام بأكثر من مائتي سنة. وكان، في هذه الفترة، قد قُضيَ على كلّ شيء، لأنّ «الإسلامَ يهدم

ما قبله»؛ ولأنّ في القرآن خَبر ما قَبلكم، ونبأ ما بعدكم..

ونقول أيضا ً: ليست المصادر الإسلاميّة هي المرجع المناسب لمعرفة أيِّ شيءٍ عن الإبيونيّين. هؤلاء لا تجد لهم ذكراً إلاّ في المراجع النصرانيّة، في تاريخ الكنيسة، وعند آباء الكنيسة. ولا نطلبُ، لا من الصديق فَيّاض، ولا من الدكتور البوطي، ولا من الإستاذ حامد حسن، أن يكونوا ملمّين، أو متخصّصين في التاريخ الكنسي، أللهمّ إلاّ إذا شاءوا أن يقوموا بأبحاث علميّة معمّقة في جذور الإسلام ومصادر القرآن... وفوق ذلك لممّا يُتعب.

٥ - يكمّل الصديق فَيّاض: "إنّ الحريري استخدم أسلوباً استفزازيّا محرّضاً" (ص ٢٥٢، س ٤).

نقول: كنّا نتمنّى على الصديق فَيّاض أن يعطينا دليلاً واحداً على ذلك. ونقول له أيضا: كما نحن ننقل كلامَه، حرفاً بحرف، لنردَّ عليه ونحكم، كان عليه هو أيضاً أن يصنع كذلك. فحكمُه هذا مردود مرفوض. ونقول له أيضاً: لئن كان أسلوب الحريري أسلوباً أدبيّاً سهلاً ممتعاً، فهو يبقى أسلوباً علميّاً رصيناً بعيداً عن الذاتيّة والعواطف.. وسببُ ذلك يكمن في أنّ الحريري لا هو في مجال الدفاع عن القسّ ورقة، ولا هو في مجال التهجّم على النبيّ محمّد. فالإثنان عنده سيّان. أنجح مع القسّ أم فشل مع النبيّ. والعكس صحيح.

٦ - ويكمّل الصديق فَيّاض، بما ليس فيه شيء من تواضع العلماء: "إنّ الردَّ على أعمال الحريري، وقبلَه (على الإستاذ يوسف درّه) الحدّاد، سَـهْلٌ" (ص ٢٥٢، س ٦).

نقول لصديقنا فَيّاض: هذا أيضاً كلامٌ عامٌّ شاملٌ، لا يرتدُّ إلاّ حكماً قاسٍ على قائله. إذ فيه ما فيه من الادّعاء ومن الجهل معا... "سَهْلٌ"! كيف؟ دليلٌ واحدٌ فقط على ذلك. كيف يكون الردُّ سهلاً،

وقد أحصينا الآن خمسة كتبٍ، عدا عن عشرات المقالات، ردّاً على كتاب "قسّ ونبيّ". وكنّا نردُّ على كلّ كتاب منها بكتاب. فالموضوع، يا صديقَنا، يستحقّ؛ والطرحُ جديد؛ والخوضُ فيه شيّق؛ والحوار واجب؛ والدخولُ في تفاصيله وتجاعيده فيه إفادة ونفع... ومع هذا، لم نجد، في ما كتبَ الصديق، أيَّ ردٍّ يشفي غليلاً، أو أيَّ طرحٍ جديدٍ يستحقّ التوقّف عنده. وقد نجرأ على القول، آملاً ألاّ تُمَسَّ روابط الصداقة بيننا، أنّ ما عنده مأخوذ عن الحريري نفسه.

٧ - ويقول الصديق فَيّاض : "لا إثبات موضوعيّ دامغ يدلّ على وصول اليهود-المتنصّرين إلى الحجاز" (ص ٢٥٢، س٦-٧).

نقول لصديقنا: نأسفُ جدّا لمثل هذا الكلام العامّ. قلنا، ونردّد القول: على صديقنا، وغيره، أن يراجع تواريخ الكنيسة، وبنوع خاصّ "بيبليوغرافية اليهود-المتنصّرين"، وهو عنوان كتاب يحتوي على مئات الكتب التي تتتبّع خطوات هؤلاء الجماعات في مكّة والحجاز ووادي القرى وشرقي الاردنّ والبتراء عاصمتهم.. وليقرأ صديقُنا ما كتبه دانيالو، وباغاتّي، وشوبس، وكتُبهم مدرجة كاملةَ التعريف في مراجع "قسّ ونبيّ".. هؤلاء كلُّهم يجزمون، - أجل يجزمون- بأنّ الجماعات النّصرانيّة -أي اليهوديّة-المتنصّرة- وجدت سبيلَها إلى الإسلام. وإصبح معتنقوها هم المسلمين الأوائل. والقسّ كان منهم، وبنتُ عمّه أيضاً، والنبيّ أيضاً، و"الحمس" من قريش، "وقريشٌ كلُّها كانت من الحمس". وفي "قسّ ونبيّ" الدليل.

٨ - ويكمّل الصديق فَيّاض متسائلاً: "هل هناك دليلٌ واحد، غير الافتراض، يُثبتُ أنّ ورقة بن نوفل كان إبيونيّاً؟" (ص ٢٥٢، س ٨-٩).

نقول: حتّى الآن، لا نبيل فَيّاض، بالرّغم من صداقتنا، يعرفُ بعمقٍ ما نؤمن به؛ ولا نحن نعرفُ عن إيمانه وتوّجهاته وانتماءاته وتمنّياته شيئاً!! فكيف يريدنا أن نحكم على رجل، عاش منذ ألف وأربعمائة وعشرين سنةً، حكماً علميّاً ملموساً، في معتقداته وتوجّهاته!!! ومع هذا، لم نبخلْ على الصديق بـ "إشارات" -ولا نقول "أدلّة"- تفيد الكثير عن هويّة القسّ ورقة بن نوفل، وذلك من خلال نسبه، ومناقبيّته، وصفاته، وتعاليمه، وهمومه، ومهمّاته، وممارساته التقويّة، ومعتقداته الإيمانيّة، والإنجيل العبراني الذي ينقله، وهو كتاب الإبيونيّين بامتياز، بحسب شهادة آباء الكنيسة الذين تتبّعوا هذا الموضوع... وإن شاء الصديق أكثر؟ فما عليه إلاّ إعادة قراءة كتابَي"قسّ ونبيّ" و"نبيّ الرحمة" في سلسلة "الحقيقة الصعبة"رقم ١ و ٢.

٩ - ويكمّل الصديق فَيّاض: "كيف يمكن تفسيرُ استمرار الدعوة (أي دعوة؟ مدلول النصّ يفترض الدعوة الإبيونيّة) هذه المدّة الطويلة (طويلة أو قصيرة بالنسبة إلى ماذا؟)، وهو لم يستمرّ في حياة النبيّ إلاّ فترة تكاد لا تُذكر؟" (ص ٢٥٢، س ٩-١٠).

نقول: والصديقُ أيضا يقع في ما يقع فيه بعض المسلمين. نسأل: أيّة فَترَة هي التي لا "تُذكر" في حسابات الصديق فَيّاض وفي حياة النبيّ والقسّ!! ألا يقرأ الصديق كتبَ السِير النبويّة، عن بكرة أبيها، بأنّ القسّ ورقة بن نوفل كان، "نديمَ عبد المطلب"، جدّ النبيّ! أي كان أقلّه موجوداً حاضراً عندما كان عبد المطّلب في نهاية حياته، وحفيدُه عنده، في كفالته، عاشَ معه حتّى السنّ الثامنة من عمره!!

ألم يقرأ الصديق أيضاً بأنّ القسّ ورقة كان ابنَ عمّ خديجة، ومحمّد كان يعملُ عند خديجة، منذ سنته الثالثة عشرة!!

ألم يقرأ بأنّ القسّ إيّاه هو الذي زوّج خديجة من محمّد، وكان لمحمّد من العمر خمسٌ وعشرون سَنة؟!

ألم يقرأ بأنّ القسَّ والنبيّ، بعد اقتران هذا بخديجة، كانا يصعدان إلى جبل مكّة، ويختليان شهراً كاملاً كلّ سنة في غار حِراء، في شهر رمضان، يصلّيان، ويصومان، ويقرآن التوراة، ويفسّر القسُّ للنبيّ ما يراه مناسباً لمخططٍ، بات بعد حدوثه مكشوفاً ومعلوماً!!!

ألم يقرأ أنّ القسَّ، قُبيلَ الدعوة، وقد أوشكَ النبيُّ على الأربعين من عمره، كان يُعلنُ ويعلن عن مخططه، ويعلن ويعلن عمّا سيكون عليه محمّد، ويعلن ويعلن لخديجة بأن تصبر وتدخل في برنامجهما الإصلاحي المرتقب!!!

ألم يقرأ بأن القسّ مات في السنة نفسها التي ماتت فيها خديجة وأبو طالب، أي في أواخر الرابعة، أو السادسة، من الدعوة، أي سنة ٦١٦ م، أي بعد أن عاشَ محمّد معه مدّة لا تقلّ عن خمس وأربعين سنة!!!

وهكذا. فما رأي الصديق نبيل فَيّاض في هذا الحساب!! ثم يقولون : "مدّة لا تُذكر. فما عساه يتعلّم فيها؟!!".. إنّنا، واللهِ، نعرفُ بأنّنا في مَيادين الإيمان، لا نملكُ أعجوبةَ زحزحةِ إنسانٍ واحدٍ عن مسلّماته وثوابته الإيمانيّة. هذا لا نملكُه. وهو ضعفٌ أوجده اللهُ فينا. فليكن علينا مأخذاً، لا على سوانا.

١٠ - ويكمّل الصديق فَيّاض: "تكاثرت الأضواء في السنوات الأخيرة حول هذه الشخصيّة"، أي شخصيّة ورقة بن نوفل، تناولها المغرضون والطائفيّون كنقطة ضعف في الإسلام. فردّوا عليها بطريقة غير موضوعيّة ولا منطقيّة.. "لذلك، يقول الصديق، ارتأينا أن نقدّمَ دراسةً شاملةً لشخصيّة ورقة بن نوفل في

المراجع الإسلاميّة، نتبعُها بدراسة مختصرة وافية للجماعات اليهوديّة-المتنصّرة، التي تحدّثت عنها التواريخ الكنسيّة" (ص ٢٥٢، س ١٢-٢١).

نقول: برنامج الصديق نبيل فَيّاض كبيرٌ جدّاً، يقتضي له سنوات من العمر وآلاف الصفحات في عشرات الكتب. والذين كتبوا فيه وصلوا إلى هذا القْدر. فهل يُقنعنا الصديق بأنّه، في اثنتَي عشرة صفحة ونصف الصفحة، يستطيع أن يقدّم لنا "دراسة شاملة" عن هذا البرنامج!! لقد بتنا مع هذه المقولات لا نعرف العلمَ كيف يكون عند هؤلاء القوم.

ويضاف أيضاً على هذا البرنامج، الوقوف في وجه المدافعين والمهاجمين والمنتقدين والمغرضين والطائفيّين والمرتدّين والرافضين والخائفين والمذهولين والمدّعين والجاهلين... وما إليهم... ونحن نحسدُ صديقَنا على مهاراته المتنوّعة والعديدة.

مرّة أخرى نُحيل صديقَنا إلى كتاب "بيبليوغرافيا اليهود-المتنصّرين"، ليقرأ فقط عناوين الكتب التي صدرت في هذا الموضوع. ثم يقول لنا -ونأمل ألاّ يكون بالأسلوب نفسه- ما "يرتأي"!! وكم ستأخذ "الدراسة الشاملة" من الوقت!!

١١ - وفي الصفحات التالية من كتاب صديقنا فَيّاض نقلٌ مقتضب جدّاً عمّا قاله أبو موسى في كتابه "قسّ ونبيّ". ألجديد العجيب فيها الحكمُ على أبي موسى، بعد أن يأخذ عنه حججه كلّها. والجديد الغريب أيضا إعتباره أبا موسى خصماً للمسلمين، يريد النيل منهم ومن النبيّ.

هنا أيضا، نريد أن نقول لصديقنا: يخطئ مَن يظنّ بأن أبا موسى لا يولي الإسلامَ والنبيَّ اهتماماً يفوق اهتمامَ المسلمين أنفسهم. أبو موسى يعتبرُ الإسلامَ حركةً دينيّةً إجتماعيّةً ثوريّةً

نصرانيّةً في قلب مجتمع مكّة في القرن السابع للميلاد. ولهذا فهو يعتبرُ القسَّ والنبيَّ رائدَين لها، مؤسّسَيها، اللّذين وحّدا العقيدة، والأحزاب، والكتاب.. وأبو موسى، والحالة هذه، لا يسعه إلاّ اعتبار الإسلام والنبيّ والقرآن من تراث نصرانيّة مكّة، التي لا يمكن فهمُها أو التبرّؤ منها.. هذا هو موقفُ أبي موسى من ألفه إلى يائه.

ألفصل السادس

أحمد علي حسن وإرهاصات الحريري

أوّلاً - مقدّمة أديبَين

ثانياً - تقديم الدكتور مصطفى الرّافعي

ثالثاً - أسلوب السيّد أحمد علي حسن

رابعاً - عيّنات من منطق السيّد حسن.

مقدّمة الفصل

لم يحمل السيّد أحمد علي حسن "الميزان"، بل رمى بـ "أضواء" كاشفة على "سلسلة الحقيقة الصعبة"، وبيّن "إرهاصات أبي موسى الحريري"، في كتابٍ سمّاه: **"أضواء على الحقيقة الصعبة. أو إرهاصات إبي موسى الحريري"**، لا دار نشر، ولا تاريخ، سوى ما نجده في نهاية المقدّمة، ألصفحة ١٥؛ أي: ١٠/١٠/١٩٩١؛ قياس (١٧*٢٤ سم)؛ ١٧٦ صفحة.

***

أوّلاً - مقدِّمة أديبَين

قدّم للكتاب الأديبان الشيخ أحمد حمزة عبد الباقي مدرّس الشريعة في طرطوس، وزوجته الدكتورة أمينة يحيى من طرطوس (ص ١٥). قرأنا لهذين الأديبَين، في كتاب النقيب أحمد عمران، المذكور سابقاً. وهما، هنا، يركّزان على "أنّ السهام الموجهة إلى قلب الإسلام... هدفها لا يتغيّر، وهو القضاء على هذا الدّين، وتشويه تاريخ رجالاته، ولا يألون من النّيل من شخصيّة صاحب الرّسالة العظمى محمّد (ص) تارة، ومن القرآن تارة أخرى".

والذين يقومون بهذا الهدم هم "أصحاب الأهواء والأغراض الخسيسة"؛ وعلى رأسهم أبو موسى الحريري في كتابه قسّ ونبيّ" (ص ١٥).

هذا كلّ ما في جعبة الأديبَين الزّوجين.

ثانياً - تقديم الدكتور مصطفى الرّافعي

ثمّ قدّم لكتاب السيّد حسن "البحّاثةُ الكبيرُ العلاّمةُ الدكتورُ مصطفى الرّافعي" (ص ٧-١٤). والدكتورُ إيّاه قدّم لكتاب العالم "حامد حسن"، موضوع الفصل الثالث من هذا البحث.

يبدأ الدكتور بالقول: إنّ أبا موسى الحريري "ينصرف إلى مهاجمة الدّين الإسلامي"، وإلى "تفريق كلمة المسلمين، وتهييج الضغائن، ونبش الدفائن" (ص ٧).

عملُ الحريري هذا هو عمل "عميلٍ لئيم، أو مفترٍ أثيم" (٧). "وما أكثر أوجه الشبه بين هذا الدّعيّ (الحريري) وذاك الدّعيّ الآخر المسمّى جار الله التركستاني[59]. هذان "التوأمان الخبيثان، ألحريري وجار الله... قصرا جهدهما في هذه الحياة على السعي في الأرض فساداً بما يرتكبان من جرائم خلقيّة... عَبرَ ما ينشران من الآراء الفاسدة والعقائد المضللة"... "إنّهما يدّعيان الإسلام بالإسم والإثم معاً" (ص ٨).

مصيرهما، مع رحمة الدكتور وشفقته، أن يُطبّق عليهما قولُ الله تعالى: "إنّما جَزاءُ الّذينَ يُحاربونَ اللهَ ورسولَه، ويَسعَونَ في الأرضِ فساداً، أنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا، أو تُقَطَّعُ أيدِيهم وأرجُلُهم من خِلافٍ، أو يُنفَوا من الأرضِ. ذلك لهم خِزيٌ في الدّنيا، ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم"[60] (ص ٨).

59 صاحب كتاب "نقض الوشيعة في نقض عقائد الشيعة"؛ تصدّى له الإمام العلاّمة السيّد محسن الأمين في كتابه "نقض الوشيعة. أو: ألشيعة بين الحقائق والأوهام".

60 سورة المائدة ٣٣/٥.

ويكمّل الدكتور: "يؤسفنا كلّ الأسف، أن يخرجَ من الصفّ الإسلامي الواحد المؤلِّفُ المزعوم لكتاب قسّ ونبيّ، والذي يزعم أنّ الدّافع الحقيقي له إلى وضع هذا الكتاب إنّما هو الغيرة على الإسلام والإنصاف للتاريخ" (٩).

كيف يكون الحريري غيوراً على الإسلام، وفيه ما فيه "من كوامن الأحقاد والضغائن على الإسلام والمسلمين" (ص ١٤).

نقول ونردّد:

لم يفهم الدكتور العلاّمة شيئا ً من طروحات الحريري وأهدافه. ألحريري لا يريد هدمَ الإسلام، ولا يعمل له. بل يدافع عن إسلامٍ له علاقة بالتاريخ والإنسان والمجتمع والأهداف النبيلة؛ ولا يريد إسلاماً معلَّقاً بالجوّ، بجبريل، بـ "اللّوح المحفوظ"، بالأزل، بـ "الأفق الأعلى"، بـ "عمد السماء"، وبركاب الأنبياء...

كم نريد للدكتور أن يتابعنا في طروحاتنا الإسلاميّة. فنحن نبغي من طروحاتنا شيئاً. وهو باختصارٍ يفهمه الدكتور العلاّمة بدون صعوبة:

أوّلاً - إنّ الله وضعَ لهذا الكون نظاماً عظيماً، وليس في مشيئته أنْ يغيّرَه ساعة يشاء إنسان. فالله لا يتحدّى ذاته في صنع الأعاجيب كيفما كان.

ثانياً - إنّ الله لم ينزّل كتباً من السماء، ولا شرائع، ولا ديانات، ولا معتقدات. خلق اللهُ الإنسانَ حرّاً حتّى من ذاته، حرّاً من كل قَيد ولو سماويّ.

ثالثاً - إنّ الله لم يُعطِ للإنسان تصنيف البشر إلى مؤمنين وكافرين ومشركين وذمّيّين وأهل كتاب... ألكلّ عند الله يستحقّ رحمته. وهو وحدَه فاحص الكلى والقلوب، ويقضي بين البشر..

فالجهاد المقدّس ليس من الله في شيء. وحدَها الحرّيّة هي من عند الله. والله لا يريد من الإنسان إلاّ أن يحافظ على حرّيّة أخيه. وسوى ذلك من عمل الأبالسة.

***

ثالثاً ـ أسلوب السيّد أحمد علي حسن

يبتدئ السيّد أحمد علي حسن كلامَه بقوله: "بين يديّ الآنَ كتاب قسّ ونبيّ لمؤلّفٍ يدعو نفسه أبو موسى الحريري. هذا الأبو موسى لا أظنّه مسيحيّاً، لأنّه خضع لتجربة الشيطان" (ص ١٦).

في هذه البداية إشارةٌ إلى أنّ المعركةَ بين إبي موسى والسيّد حسن ليست سليمة المنطق والمنهج والأهداف.

يؤكّد ذلك أسلوبٌ فظٌّ اعتدناه . يقول: لقد كان عمل الحريري: "مفضوحاً، وتعليله عليلاً" (١٧). وتبيّن أنّ "معلوماته أمسكتْ بالنخالة وأهملت الدقيق" (١٧). وأنّ صاحبها ممّن "ينشرح صدره للكراهيّة والتجريح وتشويه الحقائق" (١٧). وهو "يتعمّد الإخلال بالحقيقة وتعطيل العقول" (١٨). وهو "المتعصّب لغير الحقائق والمهرول بقلمه وراء الأباطيل" (١٨).

ذهن أبي موسى، في رأي السيّد حسن، "محشوٌ بالثأر" (٧٨). وهو "يكتب ليرضي حفنةً" (٧٦)؛ وفي ما يكتب "يتعسّف في المتاهات" (٨١). "ويهذي" (٨١). و "لا يخجل من حماقته" (٩٣).

وفي يقين السيّد حسن "أن هذا الإسراف في العداوة لنبيّ الإسلام، عند بعض مؤرّخي النّصرانيّة، وعند أمثال أبي موسى، ما هو إلاّ نكاية بالّذين اتّبعوه من النّصارى" (٩٠).

ولهذا يخاطب السيّد حسن أبا موسى: "إنّ كتابك هذا مبنيٌّ من أساسه على الضلال المكنون في عقلك ونفسك وتفكيرك... وأنتَ

تعلم أنّ الذي كتبتَه لم ينطوِ إلاّ على نفسيّة مريضة، لا يشفيها إلاّ تشويه الإسلام ونبيّه" (٨٣).

ويستمرّ في مخاطبته: "يا أبا موسى! كفاكَ دجْلاً" (١١٣)... "ولا يهمّك أنْ يُشارَ إليكَ أنّكَ سَفيهٌ أو محمّق" (١٢٦)...

نقول:

أوّلاً - لا يفيد القارئ الاسترسال في إظهار أسلوب السيّد أحمد علي حسن. إنّما الإفادة في أنْ يتأكّد بأنّ هذا الأسلوب الفظّ هو المتّبع...

ثانياً - وليتَ أبا موسى يستطيع واحدةً: أن يطلبَ من الّذين تناولوه بالردّ بأن يرحموا القارئَ، ويحترموا ذوقَه الأدبي السليم، ويناقشوا مقولات الحريري بهدوء. فإنّهم، لا هم ولا آباؤهم، ولا أولادهم مكلّفون بالدّفاع عن الله والنبوّة والقرآن والإسلام... هذه الموضوعات كلّها هي من تراث أبي موسى الحريري الذي يعمل في إظهارها لمن يريد أن يفقه.

ثالثاً - ثمّ إنّنا نريد للقارئ، من خلال ما نقدّم له من عيّناتٍ من أساليب الردّ، أن يضع في جعبته رسالَتَين نوجّههما إليه بكلّ إخلاص: رسالة من مفهومنا للدين لا يمكن أن تقوم على مثل هذا الكلام المنسوب إلى الله ظلماً؛ ورسالة خلقيّة تتولّى محاربة السباب والشتائم.

رابعاً - نركّز ونشدّد على رسالتَينا هاتَين، وفي نيّتنا محبّة الإنسان كوسيلةٍ إلى الله؛ وليس العكس. ولا نُخفي، في تشدّدنا هذا، وجوبَ التزامنا أبوّة الله للبشر. هذا الإله لن يكون إلهاً، ولا يُفيدنا شيئاً، إنِ استمرَّ بعيداً متعالياً صمداً، لا يُدركه أحد، ولا يتشبّه به أحد. هذه، والحقّ يُقال، قمّتنا ما في قناعاتنا الإيمانيّة العميقة..

رابعاً ـ عيّنات من منطق السيّد حسن

يتناول السيّد حسن موضوعات كتاب قسّ ونبيّ موضوعاً فموضوعاً، بالتصميم والتسلسل نفسيهما؛ مع زيادة كلمة "ضوء على المبحث...".

ومن المستغرب أنّ بحثاً واحداً من أبحاث الحرير لم يسلم من نقض السيّد حسن؛ حتّى ولا فكرة حريريّة أرضتْ الأفكار الحسنيّة. فكلّ ما عند الحريري، على ما يبدو، وفي رأي السيّد حسن، باطلٌ، وتلفيقٌ، وتعطيلٌ للعقل.

إنّنا لا نقدر أن نطعن بغيرة السيّد حسن، ولا بعلويّته التي يدافع عنها باستمرار. وقد كتب فيها "المسلمون العلويّون في مواجهة التجنّي"، ردّاً على كتاب "العلويّون النّصيريون". ولكن، لا نقدر أيضاً السكوت عن منطقٍ غير سليم يبدأ به السيّد حسن كتابه وينهيه على الوتيرة ذاتها.

١. فهو يبدأ بالسؤال عن هويّة القسّ ورقة؛ فيقول: "لماذا كان هذا التاريخ المتعلّق بورقة بن نوفل مطموراً دون سائر الشخصيّات التي لعبت دوراً أيضاً في بدء الرسالة والدّعوة المحمّديّ؟!.. لماذا التاريخ لم يغفل سلمان الفارسي؟.. وكعب الأحبار؟.. والرّاهب بحيرا؟... لماذا التاريخ حافظ وحفظ كلّ هذا، ولا يتعصّب إلاّ ضد ورقة بن نوفل فطمر وأخفى تاريخه؟..." (١٨-١٩).

نقول:

إنّ التاريخ ذكر القسّ ورقة وأنصفه، بدليل الصفحات التي كتبها الحريري في كتابه؛ وبدليل دور القسّ في حياة النّبيّ، في تزويجه من خديجة، وتدريبه، وتعليمه، وقراءة الكتب عليه، حتّى أنّه "لمّا توفّي فترَ الوحي". هذا الحديث، الّذي نجده في صحيح البخاري، لا يقبل به السيّد أحمد علي حسن "ألنُصَيريّ الدين، الجُندُبيّ الرأي، الجُنبُلانيّ الطريقة، الخُصَيبيّ المذهب، الجُلّيّ المقال، الميمونيّ الفقه"[61].

٢. وفي هويّة القسّ ورقة، يقول السيّد حسن أيضاً: "ورقة هو الذي دخل تحت تربية محمّد.. وليس محمّد هو الذي كان ربيباً لورقة" (١٧). وردّد ذلك أيضاً فقال: "والذي أراه أنّ النّبيّ هو الذي روّض ورقة ودرّبه على الخلوة والتحنّث في غار حراء. وليس العكس" (٢٦).

في رأي السيّد حسن أنّ أبا موسى، في جعل ورقة معلّمَ محمّد ومدرّبَه، "يريد أن يُقنع العالم النّصراني المسيحي بفضله على العالم الإسلامي بدلاً من أن يكون للإسلام الفضل الأكبر على العالم المسيحي" (ص ٢٦).

نقول:

إنّ نقضَ مثل هذه الأقوال بيّنٌ لكلّ بصيرة. فورقة، كما هو واضح من كتب السيرة النبويّة، هو الذي زوّج محمّداً، ودرّبه، وعلّمه، واختلى به في حار حرّاء، وأعلنه نبيّاً... وحاز، بعد طول عمر، على رضى النبيّ. إنّ ألقسم الأوّل كلّه من كتاب "قسّ ونبيّ"

61 راجع ذلك في السورة الحادية عشرة، واسمها الشهادة، من كتاب المجموع، الذي هو دستور العلويّين النّصيريين. أنظر ذلك في كتاب "العلويّون النّصيريّون"، رقم ٥ من سلسلة الحقيقة الصعبة، ص ٣٠ و٣٥٤.

يدور حول مسؤوليّة ورقة في حياة محمّد. والأدلّة على ذلك من الكتب الإسلاميّة كلّها، بدون استثناء. وجهل ذلك لا يُعطي السيّد حسن العلوي براءةَ ذمّة من إخوانه المسلمين.

٣. في رأي السيّد حسن أنّ مهمّة القس ورقة في ترجمة الإنجيل العبرانى إنّما هو النبيّ نفسه الذي كلّفه بها. قال: "والصحيح، إذا كان هناك مهمّة (للقسّ ورقة)، فإنّ النّبيّ، بعد أن استعرضَ الأناجيل الأخرى، كَلَّفَهُ بترجمةِ الإنجيل العبراني، وتوزيعِه على نصارى مكّة، حتّى لا يُؤخَذوا بأباطيل الأناجيل الأخرى، وحتّى يكونَ الدينُ كلُّه لله. فلا يجتهد أبو موسى، وغير أبي موسى، فيما هو واضحٌ لجعلِهِ غيرَ واضح. وكان النّصارى من المكّيّين يختلفون فيما بينهم على أيّ الأناجيل أحقّ بالاتباع؛ **فيكون القسّ ورقة هو الذي استعان بالنّبي على الأخذ بالإنجيل العبري، وليس العكس.** ولهذا لم يتعرّض القرآن بالذكر إلاّ لإنجيل واحد" (ص ٤٧).

نقول:

كم عندنا من سؤال وتساؤل على هذا النّص الذي يُفيد علمَ الحريري جدّاً. ولكن، ويا للأسف، لا يستطيع الحريري أخذَ حرفٍ واحدٍ منه، لكثرة ما فيه من مغالطات وافتراضات لا سند لها في أيٍّ من كتب التاريخ الإسلامي. والسيّد حسن لم يشرْ إلى مرجعٍ واحد لنتمسّكَ به شاكرين مدى الدّهر.

ولكن، فلنقل: لا النّبيّ عُرف عنه استعراضه الأناجيل، ولا هو الذي كلّف ورقة بترجمة واحد منها؛ ولا القسّ ورقةكان له حرّيّة اختيار واحد...

٤. ثمّ يعود السيّد حسن عن رأيه، ويوافق الحريري في إغفال التاريخ للقسّ ورقة. ويقدّم لنا السببَ لهذا الإغفال، فيقول: إنّ

النّصارى أنفسهم هم الّذين أهملوا القسّ ورقة بسبب اعترافه بمحمّد، وإيمانه برسالته؛ "هذا الإيمان كان سبباً لحرمان ورقة وغيره من الكنيسة في بعض المجامع المسيحيّة" (١٧-١٨). ولهذا، كما يؤكّد السيّد حسن : "إنّ المسيحيّين رفضوا مذهبَه وأخرجوه من الكنيسة" (ص ٤٩).

نقول:

حقّاً إنّ السيّد أحمد علي حسن زايدَ على التّاريخ وذكرَ عن القسّ ورقة ما لم يذكره التاريخ نفسه. أين مراجع السيّد حسن ليأخذ الحريري بمقولاته، فهي تخدمه كثيراً لتدعيم حججه. ولكنّ العلمَ الصحيح لا يُؤخَذ من هكذا أقلام.

٥. في ظنّ السيّد حسن أن القسّ ورقة بن نوفل لم يكن شيئاً يُذكر. كان رجلاً عادياً. يقول: "ولذلك نعود لنكرّر أنّ ورقة بن نوفل لم يكن قسّاً، ولا رئيسَ كنيسة في مكّة؛ وإنّما كان رجلاً عادياً، ذَكرَ لويس شيخو أنّه توفّي سنة ٩٩٢ م" (ص ١٥٦).

نقول:

نأمل بأن يكون الرقم (٩٩٢م) خطأ مطبعيّاً. ولكن، كما يبدو، من الاستشهاد بلويس شيخو، هو الرقم المقصود. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ أخطاء السيّد حسن تتراكم إلى درجة أنّنا نعجز عن ملاحقتها. حتّى هذه الأخطاء، لو كانت نتيجة جهلٍ، لكنّا نعمل مع السيّد حسن، على تفاديها. ولكنّها، كما يبدو، ليست جهلاً بقدر ما هي تجاهل يخفي نيّاتٍ غير سليمة.

٦. في مجال تهمة المسيحيّين برفض القرآن والإسلام، يعلن السيّد حسن بأنّه أصبح عنده "قناعة صحيحة، (وهي): إنّ الخوف من القرآن هو الذي جعل هؤلاء المؤلّفين المسيحيّين يتعرّضون له

بالسوء؛ وإنّ الخوف من رسالة محمّد هو الذي جعلهم يتعصّبون ضدها" (ص١٦١).

نقول ونردّد:

إنّ قناعة أبي موسى تقوم على أنّ القرآنَ هو من تراث النصرانيّة المكيّة، وليس من تراث جبريل الذي نزّله من "اللّوح المحفوظ"؛ وأنّ الإسلامَ حركةٌ روحيّة في قلب المجتمع المكّي، وليس ديناً معلّقاً بـ "عمد السماء". والمسيحيّون، اليومَ، وبالأمس، وغداً، وبعد غد، يعتبرونَ القرآن والإسلامَ من تراثهم الديني والاجتماعي. وليس السيّد حسن إلاّ معتدٍ على التاريخ والتراث .

٧. وثمّة عيّنة أخرى من منطق السيّد حسن، تقوم على قلّة إدراكه وتمييزه في ما بين الحنيفيّة والنّصرانيّة. ففيما يقول الحريري بأنّ الحنيفيّة هي صفة لنصرانيّة مكّة، وتتميّز بالسماحة والاستقامة وحسن التعبّد؛ يأتي السيّد حسن ليقول: إذا كان السماحة تميّز النّصرانيّة، فـ "لماذا لا تنطبق الحنيفيّة على تعاليم كرشنا، وبراهما، وبوذا، وغيرهم من المصلحين!" (١١٨).

نقول:

كان بودّنا التوسّع هنا لولا تناولنا لهذا الموضوع في مواضع عديدة من كتابنا هذا. وفي كلّ حال، إنّ العودة إلى آيات القرآن، حيث ترد لفظة "حنيف" ومشتقاتها، خير مَن يحسم الأمر. فالقرآن، في آياته كلّها، يعتبر الحنيفيّة صفةً مميّزة للنصرانيّة المكيّة، التي لا كلام معها إلاّ بالحسنى: "ولا تجادلوا أهلَ الكتاب إلاّ بالّتي هي أحسن"[62]. و "أهل الكتاب" هنا هم "النّصارى" لا اليهود؛ لأنّ هؤلاء أيضاً، في أمكنة أخرى من القرآن، هم من "أهل الكتاب".

---

62 سورة العنكبوت ٤٦/٢٩.

٨. وفي خاتمة السيّد حسن، يقول لنا: "أوردنا هذه النّصوص، لنقيمَ الدليل على أنّ الحقد على الإسلام، والخوفَ من تأثيره، هو الذي أملى على أبي موسى الحريري، وعلى مَن شايعه وتابعه، هذه الافتعالات التاريخيّة، لتبقى فجوة الخصومة العقائديّة غير سهلة الردم بين المسلمين والمسيحيّين، وليحولوا دون انبهار العالم بالرّسالة الإسلاميّة وتشريعها الإنساني" (ص ١٦٢).

نقول ونردّد:

"الحقد"، لفظ يستعمله عادةً مَن يمارسه. فمن تعمر المحبّةُ قلبَه لا يمكنه اتّهام الآخرين بالحقد إطلاقاً. والحقد إنّما يكون رذيلة شخصيّة بين شخص وآخر، لسبب كراهيّة حاصلة بينهما. فتعبير "ألحقدُ على الإسلام"، بحدّ ذاته، تعبير خطأ. وأكثر خطأ منه اتّهام المسيحيّين جملةً به. هؤلاء المسيحيّون، ومنهم أبو موسى الحريري، لا يريد أن يُهلكَ نفسَه بسبب أيِّ حقدٍ على أيِّ أحد. بل يريد خلاصه بوسيلة واحدة لا غير، هي المحبّة، محبّة الإنسان، أيِّ إنسان، قبل محبّة الله، وكوسيلة لمحبّة الله.

هذه المقولة الأخيرة قد تثير شعورَ السيّد حسن ، ولكن، فليتأكّد بأنّ اللهَ لا يريد غير ذلك. وفي تعاليم أحد أحبائه هذا القول الرّائع: " إنْ قالَ أحَدٌ: إنّي أُحِبُّ اللهَ، وهُوَ يُبغِضُ أخاه، كان كَذّاباً. فمَن لا يُحِبُّ أخاهُ الّذي يراه، لا يَسَعُه أنْ يُحِبَّ اللهَ الّذي لا يراه... إنّ مَن يحبُّ اللهَ يُحِبُّ أيضاً أخاه".

ليس لنا ردٌّ على مقولات السيّد حسن غير هذا.

ألفصل السابع

ألشيخ شفيق يمّوت وأهل الذمّة

" أَوْقِدُوا النّار "

لن نتركَ قارئَ "الحقيقة الصعبة" مرتاحاً، بسببِ ما له علينا من حقّ. وحقّه هو أن نقدّمَ له كاتباً آخر، هو سماحة الشيخ شفيق يمّوت، في كتابه "**أهل الذّمّة في مختلف أطوارهم وعصورهم**"، ألشركة العالميّة للكتاب، دار الكتاب العالمي، والدار الأفريقيّة العربيّة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١، قياس (١٧*٢٤،٥٠)، ٢٨٠ صفحة.

.. ولسماحة الشيخ كلامٌ على أعداء الإسلام، وهم أيضا وأيضا الصهاينة والمستشرقون والمبشّرون والمستعمرون.. فها هي "اليهوديّة ظهرت على السطح، لتنشبَ أظافرَها وأنيابَها في الجسد العربي الإسلامي.. وقد وصل الأمرُ بأعداء هذه الأمّة إلى التطاول بِقحة على المقدّسات، فأخذت عشرات الكتب تظهر في السوق.. ضد الإسلام.. وقد أحصينا عددَ الكتب المحرّرة بأقلام صهيونيّة ومتصهينة، منذ عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٨٤، فإذا بها تتجاوز العشرات، إذا لم نقل المئات..

هذا، "وليس مَن يسأل عن تسلّل العدوّ الذي يركض على كلّ الأسوار، ويدخلُ البيوت، ويجلسُ في صحن الدار، ويسرب حتى إلى أعمق القيم وإلى قدس الأقداس.. ألم يصل إلى أسماع العرب والمسلمين ما يطبعونه من كتبٍ فاجرَةٍ ضدّ الإسلام!! ويُريدونَنا أن نؤمنَ بالسلام، ونكفرَ بالقتال والجهاد، وهما من فريضة الله!!!

"نحن الآن نصرخ: أوقدوا النار. إنّ القضيّة أخطر ممّا نظنُّ. إنّ الحملةَ الأمريكيّة اليهوديّة على الإسلام والمسلمين والعرب

قاطبةً، تعتمد اليومَ على أحدث ما ابتكرتْه التكنولوجيا الحديثة من أداة!..

"ويسألونك بخبثٍ متهوّد: لماذا تخافون الحقيقة، نحن ننشرُ الكتبَ لإفساحِ المجال أمام الحوار العلمي لكي يأخذَ طريقَه!..

ولكن، "هل عرفتم الآن لماذا بدأوا منذ عام ١٩٧٥ يغزون الأسواقَ بكتبِ السفهِ والكذب عن الصراع المسيحي-الإسلامي منذ ظهور الإسلام؟ (٧-١١)

ثمّ يروح سماحة الشيخ يعدّد كتبَ "الحقيقة الصعبة"، ويتّهم، كعادته، وعادة مَن سار على دربه، بأنّها كتبٌ تُخفي وراءها أصابعَ يهوديّة صهيونيّة عالميّة. يقول :

"اغتنم اليهودُ والمتهوّدون فرصةَ الأحداث في لبنان، وغياب الدولة، فأصدروا من الكتبِ الحاقدة ضد الإسلام ومعتقداته، وتناولوا الفِرَقَ والمذاهبَ الإسلاميّة بالتشويه الفاضح، مستهدفين إشاعة الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، ومعتمدين ملء صفحات هذه الكتب بالأكاذيب والافتراءات التي لم يسبقْ أنْ جُمعتْ في كتب.

من هذه الكتب "كتاب قسّ ونبيّ.. وُزّعَ على نطاق واسع وبأسعار خَياليّة"، و"كتاب بين العقل والنبيّ".. و"كتاب العلويّون النّصيريّون".. وغيرها.

ويقول سماحة الشيخ أخيراً: "وبعد الاطّلاع على هذه الكتب، يتّضحُ الهدفُ من إصدار هذه الكتب" (حاشية١، على صفحة ٨).

***

نقول:

هذا كلّ ما في جعبة سماحة الشيخ شفيق يموت، في كتابه المذكور: صهيونيّة، يهوديّة، إستعمار، عداء للإسلام والمسلمين.. إتّهامات بدون دليل، طعن بدون مبرّر، دعوة إلى الجهاد بدون سبب... وبتنا لا نعرفُ كيف العلم مع هؤلاء. نقدّم لهم أبحاثاً، نجهد في أن تكون علميّة، موضوعيّة، رصينة بمقدار ما يولينا الرّبُّ صبراً، فيقدّمون لنا ما يلي: "مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُم"[63]؛ "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ"[64].

إذا كان في عقيدة الشيخ يمّوت أنّ هناك معتدين على القرآن والإسلام والمقدّسات، فلا بدّ من أن يكون الثمن اعتداءً عليهم بـ"مثل" ما اعتدوا. والثمن واضح جدّاً، والخوف من سماحة الشيخ بات مؤكّداً. فلا يطمعنّ أصحاب "الحقيقة الصعبة" بما للشيخ من سماحة.

فمن كان يخطو خطوات "أعداء الإسلام"، من صهاينة، ومستشرقين، ومبشّرين، ومستعمرين... فما عليه أن يَلقى "المثل"... ومَن طبع كتباً "فاجرة ضدّ الإسلام"، ما عليه إلاّ أن يتهيّأ للقتال والجهاد، فـ " هما من فريضة الله " على كلّ مسلم مؤمن.

هؤلاء الذين يُوقدون النار تحت الإسلام والمسلمين، ليس لهم إلاّ أن يسمعوا صرخة سماحة الشيخ : "أوقدوا النار. إنّ القضيّة أخطر ممّا نظنّ ".

---

63 سورة البقرة ٢/ك١٦٤.

64 سورة النحل ١٢٦/١٦.

دعوة الشيخ تضمر شرّاً، يطالها الحقّ العام في بلدان العالم الحرّ. ودعوته غير صحيحة، لأن مؤلّفي "الحقيقة الصعبة" لم يتوخّوا من عملهم الفكري الحرّ إلاّ كشف الحقائق التاريخيّة المدفونة، وإظهار ما به مقتنعون.

وعملهم، في النتيجة، أبحاثٌ علميّة، مجرّدة. لا هم مع هذا الجانب بدون حجّة؛ ولا هم ضد ذاك الجانب بتهوّر... قد لا يملكون الحقيقةَ؛ ولكنّهم يعملون من أجل الوصول إليها. لم يُدركوها. ولم يقولوا أنّ الحقَّ كلَّه في جانبهم؛ ولكنّهم يحاولون تلمّسَه.

في نيّة مؤلّفي "الحقيقة الصعبة" البحث عن الحقيقة؛ لأنّهم متأكّدون أنّهم لا يملكونها. والبحث عن الحقيقة تستهويهم أكثر من الحقيقة نفسها. والحقيقة، والحقّ يقال، لا توجَد في دنيانا ساطعةً، واضحةً وضوح النهار.

ألإنسان إنسانٌ لأنّه يبحث عن الحقيقة. ويُصبح إلهاً يوم يمتلكها. ألله هو الحقّ. والإنسان ساعٍ إليه. والأدوار لا تنقلب إلاّ مع المتديّنين المطمئنّين إلى أنّهم يمتلكون الحقَّ كلّه، وهم على هذه الأرض.

هذا كلّ ما نبغيه لسماحة الشيخ يمّوت. نبغي له البحثَ معنا، لا صدّنا. ونرغب إليه أن يساعدنا بعلمه، لا أن يحرقنا بناره.

ألفصل الثامن

ألدكتور حَوْمَد ودَعوة الإيمان

دعوة الدكتور حَومد

الدكتور أسعد محمود حَوْمَد، «**دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب. ردّاً على "قسّ ونبيّ"**»، لا دار نشر، دمشق، ١٩٩٨؛ (١٧*٢٤)، ٣٣٥ صفحة.

عرّف الدكتور كتابَه، في الصفحة الأخيرة من الغلاف، فقال:

"ما فتئ أعداءُ الإسلام يشنّون حرباً لا هوادة فيها على الإسلام والمسلمين، سلاحها الدسّ والكذب والتلفيق.

"ومن واجب المسلمين أن يتصدّوا لهؤلاء الأعداء بالردّ والفضح والتشهير. ولا يستطيعون ذلك ما لم يتسلّحوا بدعوة الإيمان التي لا يستطيع هؤلاء الأعداء إنكارَها، ولا إنكار أنّها دعوة الله الخالدة التي جاء بها رسلُ الله وأنبياؤه جميعاً.

"وفي هذا الكتاب يبدأ المؤلّف في التصدّي لجماعة من الكذبة والملفّقين الذين حاولوا في كتابهم "قسّ ونبيّ" أن يشوّهوا دعوة الإسلام، وأن يسيئوا إلى نبيّ الإسلام "[65].

وكذلك جاء في مقدّمة الكتاب: لقد "نوّعت الكنيسةُ أساليبَ العمل في محاربة الإسلام، وتركتْ واجبَها في دعوة الملايين التي لا تُحصى[66] من الوثنيّين في الأرض، دون أن تتّجه إليهم بالدّعوة، واتّجهت إلى السعي لتحويل المسلمين عن دينهم.. ولصرف غير المسلمين عن الدخول في الإسلام..

---

65 أ. حومد، دعوة الإيمان، صفحة الغلاف الأخيرة منه.

66 ولكنّ الكاتب، كما يبدو، أحصاها بالملايين (!!!).

"واستجاز بعض رجال الدين المسيحيّين لأنفسهم، في حربهم مع الإسلام، التلفيقَ والكذبَ والاختلاقَ والتزييف، وقول غير الحقّ. وعدّوا كلَّ سلاح، يظنّونه ناجعاً في حربهم مع الإسلام، سلاحاً مشروعاً " (ص ٧).

ويكمّل الدكتور حومد:

"وكان آخر ما توصّلوا إليه كتاب وضعتْه مجموعةٌ من القسس، سمّوه "قسّ ونبي"، وقد توسّعوا فيه كثيراً جدّاً في الكذب والتلفيق والتحريف... وقد عرضنا.. كتابَ "قسّ ونبي"، وكشفنا زيف ما قاله مؤلّفوه، وما لفّقوه، وحرّفوه، وشوّهوه " (ص ٨).

نقول للدكتور حومد:

أوّلاً - إنّ الـ "مجموعة" من المؤلّفين لكتاب "قسّ ونبي" هي شخصٌ واحد لا غير؛ والمسؤولين عن سلسلة "الحقيقة الصعبة"هو أبو موسى الحريري وحدَه لا سواه.

ثانياً - إنّ "أبا موسى الحريري"، أخفى إسمَه الحقيقي لسبَبين لا ثالث لهما: أوّلاً، لأنّ الأحداث في لبنان كانت تقتضي منه ذلك، بسبب غياب الدولة وأجهزتها الأمنيّة والقضائيّة.. وثانياً، لأنّ المتطرّفين من الإخوة المسلمين، لا يرتاحون كثيراً لمن يخالفهم في الرأي. والأدلّة على ذلك من التاريخ الإسلامي، كثيرة جدّاً. ولا مجالَ لإعطاء الأمثلة غير التي يجدها القارئ في كتاب "الردود" هذا.

وما يُقال من أنّ إخفاء الإسم الحقيقي هو دليل على أنّ الأبحاث التي يقوم بها الحريري لم يقتنع بها هو نفسه.. هو قولٌ ينقضه اعتماد الإسم الحقيقي في مصر والولايات المتّحدة، وفي ترجمات أجنبيّة.

ثالثاً - إنّ تعابير "التلفيق والكذب والاختلاق والتزييف والتحريف والتشويه والدسّ والفضح والتشهير..."، ممّا ورد في كتاب الدكتور، يجعلنا نخاف، لا على الآراء الواردة في "قسّ ونبي"، وهو ما نجاهد له، بل على حياة صاحب "قسّ ونبي". وقد قالها بعضُ مَن ورد اسمه في كتاب "الردود" هذا، كما أوعز صاحبُ مقالات "صوت العروبة"، "باللّجوء إلى السموم، والمبيدات"، و "حملة تلقيح عامّة "[67]... والنّجّاد، صاحب هذه المقالات، كإخوانه في الدين، يتمّمون شرعاً إلهيّاً: "قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ الله"[68]؛ و"قَاتِلوا أولياءَ الشَّيطان"[69]؛ و"قَاتِلوا أَئِمَّةَ الكفْر"[70]؛ و"قاتلوا الذين لا يؤمنون با لله، ولا باليوم الآخِر"[71]؛ و"قَاتِلوا المشرِكين كافَّةً"[72].. فـ "إنّ اللهَ يُحِبُّ الّذينَ يُقاتِلونَ في سَبيلِهِ"[73]؛ لأنّ "الّذين آمنوا يُقاتِلون في سبيلِ الله"[74][75].

***

ثمّ ينتقل الدكتور حَومَد إلى تفصيل ما جاء في كتاب "قسّ ونبي"، من صفحة ١٣ حتّى صفحة ٨٣ من كتابه. أمّا باقي الصفحات فتتناول المسيحيّة جملة وتفصيلا... يأخذ الدكتور على الحريري ما يلي:

١. يقول: إنّ مؤلّفي "قسّ ونبي" يقولون بمسيحّيتَين:

67 أنظر مقالات "صوت العروبة "، الموقعة باسم "النّجّاد"، ١٦-١٩٧٩/٧/٢٠.

68 سورة البقرة ١٩٠/٢ و٢٤٤؛ سورة آل عمران ١٦٧/٣...

69 سورة النساء ٧٦/٤.. و"أولياء الشيطان" هم الذين لا يؤمنون بالإسلام..

70 سورة التوبة ١٢/٩.

71 سورة التوبة ٢٩/٢.

72 سورة سورة التوبة ٣٦/٩... أنظر: ١٢٣/٩؛ ٩/٤٩؛ ١٩٣/٢؛ ٣٩/٨؛ ١٤/٩..

73 سورة الصفّ ٤/٦١.

74 سورة النساء ٧٦/٤...

75 هذا وإنّ القتل والقتال والتقتيل وأمثالها من ألفاظ ترد أكثر من ١٧٠ مرّة.

ألنّصرانيّة "التي تتّفق مع اليهوديّة والإسلام... والمسيحيّة التي "لا يفيضون في الحديث عنها، لأنّها تتعارض مع دعوة الإيمان"(ص ١٥؛ ص ٦٩). وهو كلام صحيح.

ويقول أيضاً بأنّ المؤلّفين قد "ركّزوا كثيراً على الخلاف بين النصرانيّة والمسيحيّة ". وهذا أيضاً صحيح. ولكنّه يكمّل فيقول: "ولا يخفى علينا أنّه تقوم اليوم في العالم المسيحي حركة نشطة للموحّدين المسيحيين تدعو إلى العودة إلى الأخذ بالتوحيد الذي جاء به المسيح وحواريّوه... ". (ص ١٥).

نسأل الدكتور:

أين توجد هذه الحركة النشطة اليوم؟ ألكنائس المسيحيّة اليوم كلّها، أورتوذكسيّة، وكاثوليكيّة، وبروتستانتية على اختلافها تقول بالإيمان النيقاوي-القسطنطيني...

ثمّ، إذا كان "مؤلّفو قسّ ونبي" سكتوا عن "المسيحيّة" فلأنّ بحثَهم في كتابهم هذا لا يُوجب عليهم الخوض في المسيحيّة. فالموضوع هو موضوع النصرانيّة لا المسيحيّة؛ لأنّ النصرانيّة هي الإسلام، ولا فرق بينهما في شيء.

وهذا أيضاً لا يعني بأنّ المسيحيّة هي التي حلّت محلّ النصرانيّة؛ بل الإسلام هو الذي حلّ محلّها، وعلّم تعاليمَها. أمّا المسيحيّة فقد كانت منذ البدء تنمو وتتفاعل مع حضارات العالم، ما عدا العالم الإسلامي الذي طابتْ له النصرانيّة في الجزيرة العربيّة أكثر من المسيحيّة.

٢. ثم يجزم الدكتور ويثبت بـ "أنّ محمّداً لم يقتبس شيئاً من الكتب السابقة، وإنّما جاء بها وحياً من ربّه " (ص ١٨).

نقول:

إنّ موضوع كتاب "قسّ ونبي"، الأساسي، من أوّله إلى آخره، هو، كما عبّر عنه عنوان فصلٍ من فصوله: "حقّ القسّ على النبي"، الذي يعالج المقارنة، في عشرات الصفحات، بين تعاليم القرآن وتعاليم المصادر النصرانيّة. فإذا هي واحدة. يأخذ بها القرآن عن النصرانيّة، في معظم موضوعاته، في : مريم، ومولدها، وحياتها، ونذرها لله، وبشارتها بعيسى؛ وفي عيسى، وميلاده، وعجائبه، وموته، وشبهة صلبه؛ وفي الختان، والصلاة، والصوم، والامتناع عن الخمرة ولحم الخنزير؛ وفي الصدقات وأعمال البرّ مع الفقراء والمساكين... وما إلى ذلك... كلّها موضوعات واحدة، مشتركة؛ أخذها القرآن عن المصادر النصرانيّة؛ وعمّمها، وفرضها على أتباعه...

٣. ويأخذ الدكتور على الحريري قوله بأنّ "القسّ ورقة كان يُقيم التوراة والإنجيل"، بحسب ما جاء في آية :"يا أهلَ الكتابَ ! لستم على شيء حتّى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزل إليكم"[76]؛ فيقول : "ولا يعلم مَن يقيم كتابَ الله، حقَّ إقامته، إلاّ الله وحده، لأنّه هو الذي يعلم سرّ الناس وعلانيّتهم " (ص ٢٢).

نقول:

صحيح أنّ الله وحدَه يعلم السرائر؛ ولكنْ، لا شأنْ لهذا المبدأ بما يقوم به القسّ ورقة من التوراة والإنجيل. وبالتالي، لا يحقّ للدكتور أن يتّهم الحريري بما قال: "ومؤلّفو كتاب "قسّ ونبي".. نراهم لا يُقيمون الديانتَين (اليهوديّة والنصرانيّة)، لأنّهم يستجيزون لأنفسهم الكذب والتلفيق والتحريف والتزييف " (ص ٢٢).

76 سورة المائدة ٦٦/٥.

٤. ثمّ يشدّد الدكتور على أنّ المتنصّرين في مكّة كانوا إثنين فقط؛ فكيف يكون عليهما قسٌّ يرعى شؤونَهما الروحيّة! و "المؤلّفون يريدون أن يجعلوا عدد النصارى كبيراً في مكّة " (ص ٢٣؛ ص ٣٠).

نقول:

لن نعيد ما قاله كتاب "قسّ ونبي" في عدد القبائل العربيّة التي تنصّرت، والتي يذكرها إبن قتيبة، والجاحظ، واليعقوبي، وغيرهم. وليت الدكتور يقرأ كتاب د.سلوى بالحاج صالح-العايب، **ألمسيحيّة العربيّة وتطوّراتها،** من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[77]؛ فيدرك مدى الوجود النصراني، حتى في البيت النبوي.

٥. ثمّ يردّد الدكتور، كالمسلمين عامّة، بـ "أنّ القرآن لا يعرف، ولا يمكن أن يعرف إلاّ إنجيلاً واحداً " (ص ٢٨)...

ونحن نردّد أيضاً :

إنّ الإنجيل، منذ أن عُرف في المسيحيّة، كان متعدّد الروايات... وبأنّ المسيح لم ينزل بإنجيل من السماء... وبأنّ المسيحيّة لا تقوم على كتاب... وبأنّ المسيحيّين ليسوا، كما يسمّيهم القرآن "أهل كتاب"... هذه مسلّمات تاريخيّة قد لا يأخذ بها مَن يقول بأنّ الله هو الذي كتبَ كتاباً، وأنزله إلى الأرض، وحفظه من كلّ تبديل وتغيير...

٦. وفيما تُجمع كتب السِّير النّبويّة على أنّ القسّ ورقة كان ينقل الإنجيل العبراني من الأراميّة إلى العربيّة، يأتي الدكتور حَومَد ليقول لنا: "لم يقم ورقة بترجمة الإنجيل، لأنّ الأمر يحتاج

77 دار الطليعة، بيروت ، ١٩٩٧، (١٧*٢٤)، ٢٤٠ص.

إلى جهد يفوق جهد الشخص الواحد؛ بل يحتاج إلى مؤسّسة في أعمال الترجمة. ولماذا يقوم ورقة بترجمة الإنجيل مع أنّه لم يكن في مكّة غير اثنين من النصارى؟ " (ص ٣٢).

أمّا نحن فنسأل الدكتور حومَد : لماذا يقتضي هذا "الجهد" للترجمة؟ ثمّ إنّ الترجمة تعني بأنّ هناك جماعةً نصرانيّة كبيرةً تستحقّ أن يُترجَم الإنجيل من أجلها. وهو دليل آخر على كثرة عددها. وهو ما يرفضه الدكتور رفضاً.

٧. ويكمّل الدكتور رفضَه لترجمة الإنجيل، فيقول : إنّ "ورقة يعلم أن ديناً جديداً سيشرق قريباً جدّاً على الجزيرة العربيّة، وعلى العالم، وسيبطل ما عداه من ديانات، فلماذا يضيّع وقتَه في ترجمة لا قدرة له عليها، ولا فائدة منها، والنصارى ثلاثة؟ " (ص ٣٣).

نقول:

إنّنا نرفض رفضاً جازماً معرفة القس ورقة بـ "أنّ ديناً جديداً سيشرق قريباً جدّاً "؛ وذلك، كما قلنا ونردّد القول بأنّ القسّيسين لا يعرفون المستقبلات، لا في الماضي ولا اليوم ولا في المستقبل. فمن أين لورقة ذلك؟ وكذلك من أين للراهب بحيرا ذلك أيضاً...

٨. ومع ذلك يصرّ الدكتور فيقول: جاءت خديجة تسترشد ورقة، "فبشّرَها ورقة بأنّ محمّداً هو نبيّ العرب المنتظر " (ص ٣٤).. ويكمّل الدكتور : "وقد اتّضح لورقة بصورةٍ لا تقبل الجدل فيها أنّ محمّداً هو النّبيّ الذي ينتظره النّاس... ولذلك حرصَ ورقة على أن تقترن خديجة بمحمّد " (ص ٣٥).

نقول للدكتور:

نخشى أن يكون "حرص ورقة"، لا بسبب معرفته بنبوّة محمّد، بل بسبب مخطّط عظيم قام به هو وخديجة وأبو طالب ومحمّد نفسه. هذا المخطّط قد تكلّم عنه مطوّلاً كتاب "قسّ ونبي"، وهو الذي عبّرعنه كتّاب السِّيَر النبويّة، وبأسلوبهم، بتنبّؤ القس ورقة والراهب بحيرا عن نبوّة محمّد، منذ صغره.

٩.   غير أنّنا نأسف لانزعاج الدكتور بسبب قولنا عن محمّد، عندما كان فتىً، بأنّه كان "خادماً" أميناً لخديجة. فيقول : "محمّد لم يكن أبداً خادماً. ولا يمكن أن يكون عبداً، ولا خادماً لغير الله "... "خادم"! إنّه "تعبير خالٍ من التهذيب ". وعلى مؤلّفي "قسّ ونبيّ" "أن يحترموا عقائد الناس في مجتمع يعيشون فيه، لكيلا تكون فتنة يوقدون نيرانها بألسنتهم السفيهة " (ص ٣٧).

نقول :

نأسف لفهم الدكتور للفظة "خادم". غير أنّ التاريخ هو هكذا. فأبو طالب قال يوماً لمحمّد: "يا ابنَ أخي! أنا كثير العيال قليل المال، وليس لنا ما نعتاش به. إذهب إلى خديجة واعمل عندها فتعطيك أجراً كما تعطي الرّجال". فذهب محمّد يعمل عندها طوال اثنتي عشرة سنة، إلى حين تزوّجتْه...

١٠. وفيما نقول بأنّ ورقة ومحمّداً كانا يختليان معاً في حار حِرَاء، بحسب ما تجمع عليه كتب السِّير، نجد الدكتور ينتفض ليقول: "لم يَعْتَدِ الناسُ على أن يرافق أحدٌ شخصاً آخر في عمر جدِّه ومن رفاقه " (ص ٣٩)...

نقول:

كان ورقة نديم عبد المطلب جدّ محمّد. وكان يمارس الخلوةَ

مع الحنفاء من قريش. ولمّا شبّ محمّد، وتزوّج من خديجة، لازم ورقة محمّداً حتى وفاته. فلا مندوحة بأن يكون المرشد، وهو ورقة، "في عمر جدّه"، كما يقول الدكتور.

١١. ثمّ يستفيض الدكتور حَومَد بالدفاع عن القرآن، وبالقول بأنّه كتاب لا ريب فيه، لا تبديل فيه ولا تحريف... في الوقت الذي خشي ألخليفة أبو بكر من أن يضاف إلى القرآن شيء، فقال لزيد بن ثابت: "إنّك رجل شاب عاقل لا نتّهمك " (ص ٥٤).

وكذلك فزع حذيفة بن اليمان من التحريف والتبديل، فقال لعثمان بن عفّان: "يا أمير المؤمنين! أدركْ هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب إختلاف اليهود والنصارى " (ص ٥٥)...

نقول:

هذه الأقوال ينقلها الدكتور في كتابه، ويستشهد بها ليستدلّ على أنّ القرآن لم يُحرّف... ولكنّها تعني أيضاً خوفاً كبيراً من أن يكون قد حُرِّف. لهذا، ولكثرة المصاحف، تدارك عثمان الأمر، وصنع مصحفاً واحداً، وقضى على المصاحف الباقية، رغم انتسابها إلى صحابةٍ ورعين[78].

١٢. وأخيراً يجد الدكتور مرجعه الأكيد عن المسيحيّة في إنجيل برنابا الذي يعتبره إنجيل المسيح المنزل؛ وقد أخفتْه الكنيسة منذ البدء، و "أصدر البابا جلاسيوس الأوّل، المنصّب عام ٤٩٢م، أمراً بتحريم إنجيل الموحِّدين المعروف بإنجيل برنابا " (ص ٧٨).

نقول :

إنّ المعروف عند أهل العلم بأنّ إنجيل برنابا لا تعود نشأته

78 موضوع جمع القرآن وتدوينه، تجده في كتاب "عالم المعجزات. بحث في تاريخ القرآن"، سلسلة الحقيقة الصعبة، رقم (٣).

إلى قبل أواسط القرن السادس عشر. والمقالات العلميّة حوله كثيرة جدّاً؛ وميسّرة لكلّ قارئ. وعلى الد كتور أن يبحث في قصّة هذا الإنجيل بنفسه. فهو سهلة عليه وميسّرة[79].

79 يُنظر فصل في إنجيل برنابا في كتاب نزعنا القناع؛ فهو أقرب منال للدكتور.

ألفصل التاسع

ألدكتور سامي عصاصة

القرآن ليس دعوة نصرانية

القرآن ليس دعوة نصرانية

د. سامي عصاصة، **القرآن ليس دعوة نصرانية (ردٌّ على كتابَي الحداد والحريري: القرآن دعوة نصرانية و قسّ ونبيّ)**، (١٧x٢٤)، ٢٠٤ ص، دار الوثائق، دمشق، ٢٠٠٣.

يستوقفني في كتب الردود على أبي موسى الحريري والاستاذ الحداد والياس المرّ وغيرهم، أسلوب الرد لا المضمون. أسلوب يتميّز بالعنف، بالشتم والسبّ واللعن والطعن والقذف، أكثر مما يتميز بمعالجة القضايا المختلف عليها. هذه الردود، أقلّ ما يقال فيها، إنّها لا تتصف بالأخلاق، ولا باللياقة والأدب والتهذيب واحترام الآخرين.

شذّ عن هؤلاء الدكتور سامي عصاصة، صاحب كتاب "القرآن ليس دعوة نصرانية"، الذي أتمنّى التعرف عليه بسبب خروجه من لائحة الشتامين. ولكني أتمنى منه أن يعيد النظر ببعض ما لا يعجبه من موقفي من محمد والقرآن والإسلام والإنسان المسلم. وأتمنى عليه أن يقرأ كتابي "وجهة نظر مسيحيّة في الإسلام" ليعرف موقفي بالتمام من مختلف القضايا الإسلامية.

يقول د. عصاصة مثلاً : "الإسلام هو الذي يعتبر عيسى نبياً، بينما لا تعترف المسيحية بالإسلام وبمحمد. فهل هذا هو الموقف المنطقي السليم؟" (ص ١٧).

أقول: لا يوجد اليوم مسيحيون يعتبرون يسوع نبياً. يسوع، عندهم، هو إله، صُلب، ومات، وقام، وحرّر الإنسان، وسامحه،

وغفر له خطاياه، وافتداه، وخلّصه، ثم جعله متّحدا بالله... هذه أمور ليست في متناول عقل المسلم وإيمانه على الإطلاق.

ثم إنّ يسوع والمسيحية كانوا قبل محمد والإسلام بأكثر من ٦٠٠ سنة، فكيف يمكن أن يتناول المسيدحيون الإسلام والمسلمين ومعتقداتهم؟!

إن يسوع، في عقيدة المسيحيين، هو الألف والياء، هو الأول والأخير، لا كلام لله بعده مع أحد. أي لا نبيّ ولا مسيح ولا مخلّص يمكن أن يكون وسيطاً غيره يعرّفنا على الله، كما قال يسوع عن نفسه: "لا أحد يعرف الآب إلا الابن".

يقول الدكتور عصغصة: "الإسلام لا يفرض نفسه على أحد" (٢٠).

أقول: بلى. لقد فرض محمد وخلفاؤه الإسلامَ على الناس بالقوة، بالسيف. لقد اجتاحت جيوشه بلدانا كثيرة. غزاها. قتل رجالها. سبى نساءها. دمّر حضاراتها. نهب خيراتها. استغلّ محاصيلها...

يقول : "لو كان الأمر كذلك (أي النصرانية هي الإسلام) فلماذا لم يعتنق الكاتبان (أي الأستاذ الحداد وأبو موسى الحريري) الإسلام؟" (٩٤).

أقول: لأنهما لا يريدان ذلك لما في الإسلام من "دواعش"، ولما في سيرة الرسول من مخازٍ، ولما في الجنة من شهوات وفواحش مع حور عين وغلمان ... أي إنه دين دنيوي لا دين سماوي.

ويقول: "لماذا تذهب خديجة (ر) إلى بحيرى في بلاد الشام البعيدة إن كانت هي النبيّة! أو إذا كان ورقة النبيَّ الحقيقي... وماذا

كان يفعل عداس النينوي، القس الثاني، إلى جوار ورقة في مكة التي لا يوجد فيها جالية نصرانية لها أي شأن أو أي دور؟" (١٠٧)

نقول: هذا ما في كتب المسلمين، أي في كتب الحديث، والسيرة النبوية، وتفاسير القرآن. والمسلمون كافة يتبنون ما ورد في هذه الكتب، ويعملون بوحيها، ما عدا قلة بدأت تظهر على شبكات الانترنت والتواصل الإجتماعي. وتعلن جهراً ما كانت تخفيه سرّاً.

ألفصل العاشر

حسني يوسف الأَطيَر
لا علاقة لمحمد بورقة

لا علاقة لمحمد بورقة

حسني يوسف الأَطيَر، **نقض الاشتباه بتعلّم الرسول من ورقة بن نوفل**، سلسلة **موسوعة الردود الإسلامية على الشبهات المسيحية** (٣)، (١٦x٢٢) (٤٢٦ ص)، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٧.

يصف الأطيرالكاتبَين يوسف درة الحداد وابو موسى الحريري، بأنّ "هذين السفيهين" (ص ٣)، "الخصمَين" (٣،٥)، "الكاذبين (هما) من خصوم الإسلام" (١٣)، إنهما "مثال الخسة والضعة، والكذب والتزوير" (٣٠). إنّ "هذين الخنزيرين"، و"الكلبين" (٣٠) "يدّعيان الوحي؛ وما علمنا قط أن السماء توحي بأسرارها، وتلهم الكلاب والخنازير... أرباب التحريف والتزوير" (٣٠-٣١).

و"الحداد، رأس الكفر، وداعية الضلال" (١٠)، "رائد الخسة واللؤم والكذب والتزوير، وأحد النماذج القذرة لتنصير المسلمين" (٢٨). هذا الصليبي العميل" (٤٥). والحريري "هذا الخصم المختلّ، ومعلمه الحداد القذر" (٣٦)، "هذا المزوّر الكذاب" (٣٦). إنه "خصم ضالّ وحائر ومعاند للحقيقة" (٣٦). لقد قُدّر لنا أن نعيش في هذا "الزمن الموبوء بوجود أمثال هذا الوقح" أبو موسى الحريري (٣٠)، "المؤلف المأجور من هؤلاء الكذبة عبدة الشيطان" (٣٠)، المعتوه" (٤)، "المختل" (١٢، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٥)، "المضلل" (١٣)، "الوقح" (١٣)، "المخنث الداعر" (١٦)، المميّز في "تعنته وجهالته، وسوء نظره، وضحالة علمه وتحصيله" (٩). إنه "من أصحاب الطبائع الممسوخة من

قبيل هذا الداعر، وإخوانه من الدواعش المحسوبين على الصورة البشرية" (١٧).

"هذا الوقح الخسيس ينظر في العلاقة بين الذكر والانثى... فلا نظن مخنثا مثله يحق له أن يعرض لهذا الجانب... وقد كان محمد ذَكَراً... هلاّ فهمت من ذلك شيئاً أيّها المخنّث، سواء في ذكورة محمد الرجل السويّ، أو في صدقه وأمانته؟!" (١٩-٢٠).

"ومن المضحك بشأن هذا المعتوه صاحب "قس ونبي... ولا أدري ما يعنيه هذا الداعر... وماذا يعني هذا الديّوث؟" (٢١)، و"هذا الخسيس؟" (٢٥)، صاحب "الخرافة القذرة" (٢٦)، "الخصم أي الحريري) يزوّر حقائق التاريخ، ويدّعي وجود تنظيم سرّي يقوده ورقة بن نوفل بشأن محمد" (٢٩). "والصواب الذي يجب أن يعلو فوق منطق الأهواء والأغراض وسفاهات الهمج من هؤلاء الدواعش الذين ليس لهم من الآدمية إلا مجرد الصورة الزائفة" (٣٩).

"إن الخصم (أي أبو موسى الحريري)، أيّاً كان شخصه، داهية خبيث، وغدّار قذر في حربه ضد الإسلام" (٤٣). "مدّعيا ذلك بوقاحة بالغة، ومتابعا فيه لسادته المستشرقين والمبشرين من خصوم الإسلام، والعاملين على حربه بكل سبيل" (٤٣).

"حذار، ثم حذار، أيها المسلم، أن يستغفلك مثل هذا الشيطان (أبو موسى الحريري) بكلمات مزوّقة ورائقة، حتى تتراخى في مواجهته.." (٤٣). أبو موسى هذا "خنزير الصليبيين" (٤٦)... "الخنزير المزوِّر" (٤٨) "المضلل" (٤٨)...

"من يكون هذا الخصم المسيحي، أو ماذا يكون، وهومجهول الشخص والاعتبار.. مع ما ينضح به كتابه هذا من كذب وتزوير.. فكيف مع هذا كله. مع كونه حقيراً نكرةً، وعميلاً مأجوراً، وعدوّاً مجاهراً... ترى بماذا أوهمتك نفسك، أيها الوثني العميل، كلب

عديم الشأن والاعتبار... أيها الصليبي الخسيس" (٧٦)، "الخصم العميل" (٧٦)، "الخصم الصليبي" (٨١)، "الصليبي العميل" (٨٣)، "المعتوه صاحب قس ونبي" (١١١).

أبو موسى هذا "المزوّر الكذّاب، أنت ومعلمك ذلك الحداد، رائد التزوير والكذب والاختلاق، شأن كل ديّوث، لا يعترف بأي دين أو خلق أو قيم أو ضمير؟!" (٨٣). "الداعي العميل" (٨٣)، "السفيه" (٨٧). هذا "الأحمق صاحب قس ونبي" (١٥٢)..

"وها نحن قد كشفنا سفاهة الخصم وسفاهة أمثاله من بني ملته وبني ملتنا على السواء" (٩١)... ولعل القارئ الكريم أن يكون قد استبان من دعاوى الخصم، وخلال كلماته، مدى تجاوزاته، وكذبه، وتزويره للحقائق، واستخفافه بذكاء القارئ، وما يتسم به من تخبّط وتناقض، وما يدفع إليه الناس من بلبلة، وحيرة، في نهجه، وتفكيره..." (١١٤) .

"فأردنا التنبيه مرة أخرى للتحذير من أولئك المجرمين، محترفي الكذب والتزوير للتاريخ وللأديان" (١٦٦). "الخصم الكذوب" (١٨١)، الأستاذ الحداد. "وجاراه في الأخذ به ذلك المعتوه صاحب قس ونبي. ولم يفطن الخسيسان (الحداد والحريري) أنهما في نفس الذي يرومان فيه النيل من الإسلام بهذه التفرقة المصطنعة، فإنهما يضربان أيضا تاريخ قدماء قومهما من المسيحيين العرب، ويثيران البلبلة حول مذاهبهم" (٢٧٩). "هذا الزعيم الأحمق الذي قال به الحداد وتابعه المخبول صاحب قس ونبي" (٢٨١)... "ليأتي هذا الخسيس (أبو موسى) فيضللهم كيف شاء...هذا الخنزير الصليبي العميل" (٢٨٦) الديوث (٢٨٧) "الأفّاك الوقح" (٢٨٨)... "وكان ذلك الوسيط عند هذين النابحين (أبو موسى والحداد) هو ورقة بن نوفل" (٣٠٩) "أنت كذّاب قذر" (٣٢٣) "لكنكم كذبة ومزوّرون، تدّعون بلا بيّنة، وتخدعون

العامة والسفهاء، وتبغون الفتنة والفوضى لإشباع انحرافاتكم وشذوذكم وأهوائكم الضالّة في الإيقاع بالمساكين الذين لا علم لهم ولا اختصاص بهذه الأمور، وتفرحون أنكم اصطدتم صيداً كل ذنبه أنه أحسن الظن بكم، فإذا بكم وحوش فاتكة، وكلاب مسعورة، وذئاب خاطفة..." (٣٢٣-٣٢٤).

"ماذا بقي من دعوى الخصم واحتياله الخسيس" (٣٦٩) "والأيام بيننا يا عبدة الصليب" (٣٦٩) "الداعر" (٣٢٤) "المختل صاحب كتاب قس ونبي" (٣٣١،٣٧٥). كلام الحريري هو "من أعجب مغالطات الخصم، وأشدها فجوراً" (٣٩٣)...

"ولو أن مسلماً قد فعل بعض ما فعله هذين الرجلين: الحداد وتابعه المعتوه، في التعامل مع نصوص الإنجيل، أو العهد القديم، لثارت الدنيا على الإسلام" (٤٠٠).

أقول : لا أبغي الردّ على صاحب هذا الكلام لئلا يلحقني منه أذى لا أتوقّعه، أو يزيد العيار، وذلك شفقةً على القارئ، وخشيةً من ضرر ما. ويبدو أن في جعبته أكثر. ولكني لن أفوّت الفرصة المتاحة لي لأقول: أكبر دليل على دنيويّة الإسلام هو عند هؤلاء المسلمين العلماء الشتّامين.

خاتمة عامّة

طروحات الحريري الإسلاميّة

سببُ المواقف المختلفة عند أصحاب "الحقيقة الصعبة" و"أصحاب الردود" واضح: هؤلاء يريدون الإسلامَ معلّقاً بـ"الأفق الأعلى"، والقرآنَ بـ "اللّوح المحفوظ"، والنّبيَّ بـ "عمد السماء"؛ وأولئك يبحثون عن مصادر ومراجع للإسلام والقرآن والنبيّ العظيم في التاريخ. وكلا الفريقين، على ما يبدو، لن يلتقيا. والحوار بينهما بابه موصد...

وليسَ هذا ممّا يُشين، إذا استمرّت الأبحاثُ قائمة، والاحترامُ متبادَلاً، والحرّيّةُ مصانةً، والانفتاحُ جارياً، والسلامُةُ سليمةً، والوئامُ سائداً، والمحبّةُ هدفَ الجميع. ولو شاء اللهُ لصنعَ البشر في قالبٍ واحد، لا يتمايزون ولا يختلفون. ولكنّه، لغناه الواسع، ميّز كلَّ إنسان.

ومع هذا، لا بدّ من توضيح المواقف، ومن قول كلمةِ الفصل، ومن البحث الدؤوب عن الحقيقة مهما كانت صعبة. وعرضُ النظريّات عند الفريقَين أصبح، بعدَ الذي رأيناه في كتاب "الردود" هذا، واضحاً وكافياً. والمزيد منه ضياع وقت، وترداد؛ بل لذّة في التحطيم والتجريح والحرب السجال...

إنّ موقف معظم المسلمين واضح: يزعجهم تفكيرُ سواهم في الإسلام. ويرفضون أن يُعرض على البحث؛ أو أن يلتزم متغيّرات

التاريخ. وينتفضون ضدّ كلّ من يمسّ مقدّساتهم، وتراثهم، ومسلّماتهم، وتقاليدهم، وعاداتهم، وثوابتهم... فهم على استعداد للتضحية بكلّ شيء في سبيل ثباتها، وسماويّتها، وربطها بالأزل، والاستشهاد من أجلها واجبٌ مقدَّسٌ.

أمّا فريق "الحقيقة الصعبة" فمن مقدّساته احترام إيمان الآخرين احتراماً كبيراً. ولكن، مع احترامهم هذا يختلفُون عن المسلمين اختلافاً كبيراً، من حيث البحث عن المصادر التاريخيّة لهذا الإيمان. فهو، إذاً، من البداية، لا ينكر هذا الإيمان، ولكنّه، إيضاً، لا يعلّقه بالله وبـ"عمد السماء"... إنّها وجهة نظر باحثٍ في ما وراء الأشياء، أي في التاريخ، في المصادر النصرانيّة نفسِها؛ لأنّ هذه المصادر هي أقرب ما تكون من تعاليم الإسلام.

ونكرّر. إنّ فريقَ "الحقيقة الصعبة" بحثَ فوجد ورقة وراء محمّد؛ والإنجيلَ العبراني وراء القرآن العربي؛ والإبيونيّةَ وراء الإسلام.. بحث. ووجدَ ضالَّتَه، دون أن يرتكب ضلالاً.. بحث. ووجدَ الإسلامَ حركةً دينيّة روحيّة إجتماعيّة ثوريّة إنقلابيّة في قلب الكنيسة النّصرانيّة العربيّة المكّيّة.. بحث. ووجدَ القرآن المكّي إنجيلاً من أناجيل النصرانيّة المنحولة، تعتمدُ المسيحيّة عليها اليومَ في الكثير من ممارساتها الطقسيّة. بحث. ووجدَ أصولَ المعتقدات، والأركان، والممارسات هي هي في النصرانيّة الإبيونيّة والإسلام.

وسؤال فريق "الحقيقة الصعبة" لمن يريد سماعه هو هذا: أيكون أبو موسى، ومَن معه، كافرين مرتدّين إن هم وجدوا لمرتكزات إيمانهم في التاريخ مصادر موثوقة؟ أم هم مؤمنون، وأعمق إيماناً من الذين يشتمونهم، لأنّهم يعملون على تحرير إنسان هذا الشرق من المسلّمات ومن "أساطير الأوّلين"؟ وأيضاً على تحرير الله نفسه من مسلّمات المؤمنين المذهولين المطمئنّين!!

إنّنا لا ننكر بأنّ مثل هذا الموقف لا يرضي، لا المسلمين ولا المسيحيّين: فالمسلمون يعتبرون أنفسَهم أنّهم أُنْزِلُوا عَنِ التَّنْزيْلِ درجةً، والمسيحيّون يعتبرون أنّ العودة إلى الإبيونيّة هي عودةٌ إلى الوراء. ففريق "الحقيقة الصعبة" لا يسعه أن يرضي لا هؤلاء، ولا أولئك.

ألنتيجة الحتميّة لهذا الموقف إذاً : أنّ كلّ حوارٍ بين المسيحيّة والإسلام ضياع وقت. أي الحوار في المعتقدات والممارسات الدينيّة... كلّ شيء عند الفريقَين، ولو كان مشتركاً بالإسم والنيّة، مختلفٌ فيه... ولكن هذا لا يعني إيقاف الحوار واللّقاء كسبيل إلى الحقيقة. بل يعني نقلَ الحوار من مستوى المعتقدات الدينيّة إلى الحوار في "حقوق الإنسان" والأوطان والمجتمعات...

ألأصوليّة الدينيّة، في حقيقتها، التزام عبادة الله في عمق أعماق شخصيّة الإنسان، المعتزل عن العالم في سبيل إصلاح نفسه فقط، أي حيث يتأكّد وجود الشرّ فيها، ويعمل على محاربته، والانتصار على نزواته وغرائزه الطبيعيّة. وبالتالي، ليست الأصوليّة تطبيق مستلزمات الدين على الآخرين، أو أيضاً محاربة الشرّ الذي فيهم قبل محاربته في النفس. المتديّن الأصولي، مسلماً كان أم مسيحيّاً، هو الذي يكافح الشرَّ الذي فيه، وينظرُ إلى الآخرين وكأنّهم لا شرَّ فيهم. هذا هو الدين القيّم. وهؤلاء هم القدّيسون.

لقد عرف القدّيسون في المسيحيّة هذه الطريق. ولم يعرفوا سواها. والذين ضربوا في البرّيّة، والتزموا المحابسَ والمناسكَ على قمم الجبال، أو غاروا في كهوف الوديان، بعيدين عن المجتمع البشري الصاخب، وعن إقناع الغير بما هم به مقتنعون، هؤلاء هم حقّاً العارفون مشيئة الله والعاملون لها، ألمحاربون للشرِّ

حيث يتأكدّون من وجوده في أنفسهم، وفي أنفسهم فقط.

وكلّ من يروم الدفاع عن حقوق الله في سلبه حقوقَ البشر، أو حتّى قبل الدفاع عن حقوق البشر، هو هو الشيطان الرجيم. ألله لا يحتاج إلى مَن يدافع عنه. ولم يكلّفْ أحداً بحماية حقوقه. ولم يطلب من الإنسان، أوّلاً وآخِراً، إلاّ محبّةَ أخيه، في أي موقع إيمانيّ كان أخوه. فالشرّ ليس في ما يؤمن به الإنسان، أو ما لا يؤمن به؛ بل الشرّ كلّ الشرّ ، وبالتأكيد، في ما يعالجُ به المؤمنُ أخاه الذي لا يؤمنُ إيمانَه.

وفي النهاية، نريد أن نقول لهؤلاء المدافعين عن حقوق الله أن يتركوا مجالاً لله ليدافعَ هو بنفسه عن نفسه. ولتكن محبّةُ الإنسان، قبل محبّة الله، غاية كلّ عقيدة ودين.

محتوى الكتاب